

العددان
٢٨٦ - ٢٨٧

١ ـ العَقد

٢ ـ عمدة حي سانيتا

تأليف : ادواردو دي فيليبو
ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان
مراجعة : د. كليليا تشركوا

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يناير ١٩٩٧

اهداءات ٢٠٠٢

المجلس الوطني للثقافة و الادب

الكويت

العددان
٢٨٦ ـ ٢٨٧
(مارس/ أبريل ١٩٩٥)



١ ـ العَقد

٢ ـ عمدة حي سانيتا

تأليف : ادواردو دي فيليبو
ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان
مراجعة : د. كليليا تشركوا

سلسلة شهرية تصدر عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة. الكويت 13100

العقد

تأليف : ادواردو دي فيليبو
ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان
مراجعة : د. كليليا تشركوا

العنوان الأصلي للمسرحية

Il Contratto

مقدمة

يطرح ادواردو دي فيليبو في مسرحية «العقد» قضية من قضاياه المتعددة تضاف إلى القضايا التي سبق أن طرحها في أعماله التي نشرها في سلسلة من المسرح العالمي . . . ومنها مسرحيات عائلتي والأشباح وأصوات الأعماق ونابولي مليونيرة وغيرها من المسرحيات .

ويمكن القول إن القضايا التي يتطرق إليها المؤلف هي في مجملها قضايا اجتماعية وإنسانية وإن اختلفت الطرائق والزوايا التي يتناولها منها كأنها كلها مفردات في قاموس شامل أو حبات عقد يعمل على التآمها هوينا هوينا حتى تكتمل سلسلة الآراء والاقتناعات التي يبتغي استظهارها وإخراجها إلى النور.

والقضية المطروحة في هذه المسرحية تقوم على محورين أساسيين هما : محور المال والخداع، ومحور الحب والموت، والعلاقة في المحور الأول علاقة انتهازية تبادلية تقوم على شحذ الذهن، وابتكار أساليب المكر، والخداع في نهب الأموال والممتلكات، وفي المحور الثاني يدفع الخوف من الموت والطمع في مضاعفة العمر إلى الارتباط بعلاقات عائلية موتورة تبدو في الظاهر قائمة على المحبة والتراحم وتنطوي في الباطن على المقت والبغض والأنانية، والمحوران متداخلان ومرتبطان ببعضهما، ويدوران في إطار النزعات البشرية والعلاقات الإنسانية والمتغيرات الاجتماعية، وتغليب الحياة المادية على الحياة الوجدانية .

ومسرحية العقد تكتسب بعدا فنيا خاصا ، ومذاقا إبداعيا متميزا بفضل الحبكة الفنية الأصيلة التي صاغها فيها المؤلف، وبفضل ما يتمتع به من قدرة

على تطويـع أسلوب الحوار، وابتكار الحيل التقنيـة، وخلق جو مـن الغموض والفكاهة والجرتسك والمفاجآت المذهلة.

ومن ناحية أخرى جعل المؤلف من الريف المكان الذي تجري فيه الأحداث الدرامية للمسرحية، والـريف هو المكان الأمثل في هذه الحالـة لتسليط الضوء على العناصر الأساسية المحركة لعجلة القضية، ولقد صور ادواردو جو الريف تصويـرا فنيا صادقـا أبرز من خـلاله الجوانـب السلبية التي تعكـس العادات والتقاليـد المتوارثـة، والتي تجســم المعتقدات الســاذجة والشغـف بالخرافـات والسحر والشعوذة.

وقد انتقى المؤلف شخصيات المسرحية من نماذج ريفية أيضا ليست هي في واقع الأمر إلا نماذج بشرية تعج بها كافة المجتمعات، وتطفو منها على السطح بصفة خـاصة طائفـة الأغنياء الجدد الذيـن أثروا ثراء فـاحشا وكدسـوا ثروات طائلة في زمـن قصير مستخدمين أساليب أقلهـا مشروع وأكثرها غير مشروع، ثم تحولوا من بعد نحو السعـي وراء الرفاهية والترف والجري وراء اللذات بشتى أنـواعهـا وصنوفهـا دون الارتكـاز على ثقـافـة مـا، أو على قيم أخـلاقيـة، أو اجتماعية، أو روحية تدعم مسيرتهم في الحياة.

وإذا تطـرقنا بـالحديـث إلى جيرونتا سبتـزيـو بطـل المسرحية لـوجـدنا أنـه شخصيـة شاذة، فـريـدة من نـوعها. . فهـو رجـل يزعـم أنـه يبعث الموتـى ويحييهم، أو بمعنـى أدق يقوم بدور الـوسيط بين الموتى وذويهم ليعيـدهم إلى الحياة، وجيرونتا هذا لا يدعي لنفسه التمتع بقوى دينية خارقة أو قوى سحرية عجيبة تـأتي بالمعجزات وتحقـق المستحيل، وإنما يزعـم أنه يؤلـف بين القلوب ويجمع بينهـا بأواصر المحبـة والمودة والإخلاص، وينسـب إلى هذا سر «بعثـه الموتى» إلى الحياة.

والمدهـش في الأمــر أن جيرونتـا لا يمارس عملـه في الخفـاء كـالسحـرة

والمشعوذين، وإنما يقوم به في العلن وعلى رؤوس الأشهاد. . فالصحافة المحلية والقومية تكتبان عنه وعن معجزاته، والشرطة تقوم بين الحين والحين بتفتيش بيته والتحقق من عدم قيامه بأعمال تقع تحت طائلة القانون كما أن المتعاملين معه يؤمنون بصدق صلاحه ويحيطونه بهالة من الاحترام والتقدير والإجلال، أما هو فدائما واثق من قدراته ومستعد لمواجهة المتشككين والشاكين، ويدعم موقفه بالأدلة الدامغة وهي تتمثل في صور كبيرة لأشخاص أحياهم بعد الموت ومذيلة بكلمات الشكر والعرفان والاعتراف له بمنحهم فرصة أخرى للحياة، والصور كلها موقعة من أصحابها بخط أيديهم على أن أكبر دليل يراه الناس أمامهم على صدق قوله هو ازيدورو، أخوه بالتبني، الذي أحياه بعد الموت أمام حشد من الأصدقاء والجيران والمعارف في ظروف لا مجال فيها للغش والتحايل.

فهل هذه فعلا هي حقيقة جيرونتا؟

الواقع أن جيرونتا كان في مطلع حياته رجلا طيب الخلق حسن النوايا بشكل يدعو للعجب، ورغم أنه لا يكاد يعرف القراءة والكتابة إلا أنه سليل أسرة عريقة ميسورة الحال، وقد ورث عن أبيه ثروة طائلة كانت تتيح له حياة سهلة مترفة، وكان حبه للناس واعتزازه بهم وثقته فيهم فيضا متدفقا لا يعوقه عائق فمد يده لهم وأحسن معاشرتهم، ولكن لم تلبث الحياة أن كشفت له عن سذاجته وعن سيطرة الشرور والمطامع وتغلغلها في المحيطين به فإخوته سلبوه ميراثه وممتلكاته وابن أخيه سلبه زوجته، وسلبه الاثنان معا ماتبقى له من مال، وزوجته هذه كان قد انتشلها من غائلة الفقر والهوان ورفعها إلى مصاف السيدات المنعمات، وأحاطها بأسباب الرعاية والمحبة، وخرج من تجربته هذه بشعور مرير بالخيبة والخسران فاهتزت ثقته واقتناعاته اهتزازا شديدا وعكف على إعادة النظر في دعائم حياته «وأدرك أنه في مجتمع مثل مجتمعنا إذا لم يلتهم

الإنسان غيره، فإن غيره سوف يلتهمه فالقيم الأخلاقية المزعومة تخفى وراءها الجشع والنفاق من أولها إلى آخرها، فأدرك مدى فداحة الثمن الذي دفعه، والورطة التي نالت منه فاشتعلت في صدره عوامل الحقد والغل وأضمر في نفسه الانتقام»(*).

وفي الوقت الذي بقي فيه جيرونتا وحيدا منعزلا عن الناس يجتر آلامه وأحزانه ويتدبر أمره وقع له حادث غريب لم يكن ليخطر له على بال فذات يوم جاءه من ينعي له ازيدورو الإنسان الوفي الوحيد الذي بقي له في الدنيا فانطلق كالمجنون لا يصدق أن رفيق حياته قد مات، وحين رآه مسجى على فراش الموت وسط جمع غفير من الناس يبكونه ويترحمون عليه، استجمع كل قواه وبثها حسرته وفجيعته وصرخ يناديه ويحثه على النهوض وعدم الاستسلام للموت. . فهب ازيدورو من فراشه ونهض وسط فرحة الناس وذهولهم أمام المعجزة التي وقعت على يدي جيرونتا!

وطبيعي أن في الأمر سوء فهم فليس من المعقول أن يُبعث ازيدورو حيا بصرخة حب أو صرخة ألم أو غيرهما، وإنما الحقيقة أنه كان يعاني من حالة إغماء أو غياب عن الوعي ولكن الخرافات المسيطرة على تفكير المحيطين به جعلتهم يتوهمون وقوع معجزة فنسبوا إليه القدرة على إحياء الموتى.

وكانت هذه الواقعة هي مفترق الطرق في حياته. فقد هبطت عليه هذه الذريعة من السماء ليتحول من رجل طيب إلى رجل خبيث يحركه المكر والدهاء، والرغبة في الثأر لنفسه، وتفتق ذهنه عن حيلة عجيبة تحقق له انتقامه، ويسترد ما نهب منه من أموال وممتلكات، وتقوم هذه الحيلة على الحصول على جانب كبير من التركات التي يوصي بها أصحابها إلى ورثتهم بعد

* ماريو منيوني، مسرح ادواردو دي فيليبو، تريفي، روما ص٢٦١ (بالإيطالية)

موتهم وذلك باستغلاله مظهره في الاستقامة وكرم الأخلاق الذي عهده فيه الناس. وتجدر الإشارة هنا إلى أن القانون الإيطالي ينص على أن التركة تقسم إلى ثلاثة أنصبة متساوية، نصيبان منها مشروطان ولا يستطيع الموصي إلا أن يخصصها لمن حددهم القانون، أما النصيب الثالث فهو نصيب حر غير مشروط ويستطيع الموصي أن يهبه لمن يشاء.

وهكذا أذاع جيرونتا بين الناس أن «بعث» ازيدورو للحياة تم بفضل دائرة المحبة التي انعقدت حوله لما كان يكنه له الناس من مشاعر حب صادقة، ونتيجة لما يتمتع به من طيبة وأريحية وسخاء، وأدخل في روعهم أن هذه حقيقة عامة يمكن أن تقع لهم كما وقعت لازيدورو، ولكن بشرط أن يغيروا ما بأنفسهم، وأن يوقعوا معه عقدا أخلاقيا يتضمن الالتزامات التالية:

البند الأول: يلتزم السيد/ التزاما غير مشروط بالآتي:

أ- حب أسرته حبا صادقا.

ب- قطع أية علاقة عادية، أو عاطفية بأية امرأة خلاف زوجته.

جـ- أن يأوي أقاربه في بيته، وأن يكفلهم بالود والترحاب حتى وإن اعتبرهم من قبل غير أهل لكرمه لارتكابهم آثاما في حقه، أو تعديهم عليه، وظلمهم له.

د- أن يراعي العدل في كتابة وصيته سواء بالنسبة لزوجته أو أبنائه، وألا يغفل كل من سهر على خدمته من المحتاجين الذين تجاهلهم من قبل.

هـ- أن يخصص النسبة غير المشروطة في الوصية إلى الصهر، أو القريب الذي قام بتحمله في حياته واعتبره متطفلا.

البند الثاني: يجب تسجيل الوصية وتسليم نسخة منها في ظرف مغلق إلى أفراد الأسرة، ويكلفون بفضه عقب الوفاة مباشرة، ويجب وضع ورقة في نفس

الظرف تضـم تنبيها بالاتصال فـورا بالصديق العـزيز جيرونتا سبتزيـو تليفون رقم: ٧٨١٦١٧.

البنـد الثالـث: إذا تـم تنفيذ الشروط الـواردة في البنديـن السـابقين بدقـة وبالحرف الواحد يتعهد السيد/ جيرونتا بـإحياء الميت بشرط أن يتم استدعاؤه في وقت لا يزيد عن خمس ساعات.

البنـد الرابـع: لا تقـدم أيـة أتعاب مهما كـان نـوعهـا أو طبيعتها للسيـد جيرونتا سبتزيو مقابـل وفائه بالتعهد المشار إليه في البند الثـالث نظـرا لأن ما يؤديه من خدمات لا يقـدم إلا بالمجان ويعتبر السيد/ جيرونتا نفسه راضيا كل الـرضا بعد أن يحصـل على صورة تذكـارية بسيطة تسجـل الواقعة وتـذيل بإهداء يتضمن العرفان بصنيعه(*).

ولـو ألقينا نظـرة متأنيـة على هذا العقـد وشروطه لتبينـت لنا مجمـوعة مـن الحقائق. فـالعقد في ظـاهره يحض على الخير والتقـوى، ويدعـو إلى الصلاح والإصلاح، ولكنه في ذات الوقت ينطوي على خدعة محكمة التدبير استلهمها من إدراكه لطبائع البشر، ودخائل أنفسهم.

وفي هذا الصدد يمكن رصد عـاملين يلفتان النظر: الأول منهما هو الخوف من الموت، والأمل في العيش حياة أخرى لمواصلة التمتع بالثراء والجاه. والثاني هو الإيمان بافتقاد المحبـة بين الناس، وأن ما يبدو منها ليس إلا تظـاهرا يخفي وراءه المصالح والمطامع والهوى «فأمام الموت نجد أنـاسا من أمثال نابليوني بوتا يـرجعون إلى الحق، ويسلكـون طـريق الخير فيتـزوجـون مـن أرملة مجرم عتيـد ويتبنون أبناءه الـذين لا يخذلون أباهم في شيء، ويأوون في بيـوتهم ذوي قربى مجهولين يبحثون عن أسمائهم في دفاتر الفيش والتشبيه»(**).

---

* انظر المسرحية «الفصل الأول».

** أندريا بيزيكيا ـ دعوة إلى قراءة ادواردو، مورسيا، ميلانو ١٩٨٢، ص١١٤ (بالإيطالية)

أما عـن افتقاد المحبة بين النـاس فيكفي الإشـارة إلى مشهد أسرة جايتـانو تروتشينا بعد وفاته لتتضح لنا حقيقة المحبة بين أفراد الأسرة. فما أن سجوه على فراش الموت حتى تبخرت كل القيم الإنسانية والأخلاقية، وبدلا من أن تبكيه زوجته وأبناؤه انطلقـوا في سباق مع الزمـن لتجريده من كـل غال وثمين سواء كان يـرتديـه أو كان يحتفـظ به في بيته، ثـم انكبوا على تنـاول العشاء يـأكلون ويشربون بشهية مفتوحة، ويخوضون في سيرته وينتقدون أوجه سلوكه في الحياة الصالح منها والطالح على السواء. وعندمـا لاحت لهم فرصة إعادته إلى الحياة «أبدوا تـرددهم وطلبوا مهلـة للتشاور، وعندمـا اتفقوا فيما بينهم بنـوا اتفاقـهم لا على رغبتهـم في عـودته إلى رحـابهم، وإنما على مـا تحققـه هذه العـودة مـن مصالح ومنافع يحرصون عليها».

ويقول أندريـا بيزيكا «إن مشهد أفراد أسرة جـايتانو الذين هبـوا كالذئاب الجائعة لينهبـوا كل ما يقـع تحت أيديهم بينما الـرجل لا يزال راقـدا على فراش الموت لمشهد مـن أعظم المشاهد المسرحيـة، سواء من حيث القـدرة على فضح افتقاد المشاعر الإنسانية، أو من حيث خلق جو كوميدي بارع الصنع»(*).

وهذان العاملان هما الأساس الذي ينصب به جيرونتا شباكه حول ضحاياه بناء على قواعد محسوبة، كما يتضح ذلك من حواره مع الصحفي تشيكينولا في الفصل الأول، كأن تكـون ميتتهم ميتة طبيعية وليس بنـزيف في المخ مثلا، أو بـورم خبيـث، أو نتيجـة لحادث مـؤلم، أو كـأن يكـونـوا مـن غير المثقفين أو المتعلمين فهؤلاء على حد زعمـه «متميزون في الحياة» ولن يفيدهـم العيش حياة أخرى، ولكـن المهم أن يكـونوا مـن الأثريـاء المحدثين ممـن لهم قريـب ضال يضمونه إلى الأسرة ويعيش بينهم.

---

* المرجع السابق ص١١٤.

وهذا القريب بالذات هو محور نجاح خطة جيرونتا فهو دائما شخص معدم أو رقيق الحال، فاشل أو منحرف، ممقوت من أهله، ولا يلقى إلا الكراهية والبغضاء لاقتناعهم بأنه متطفل ودخيل عليهم خاصة بعد أن يكتشفوا أنه يحظى بالنصيب غير المشروط في الوصية.

فإذا كان أقرب الناس إلى الميت لا يحرصون على «إحيائه»، ويبدون الطمع في أملاكه وأمواله فإن الآخرين ليسوا أفضل منهم حالا، ولا غرو أن يتطلع كل منهم للاستحواذ على ما تطوله يداه.

فجاكومنيو القريب الذي انتشله جايتانو من حياة الفقر والضياع وأغدق عليه العطاء لم يدخر وسعا في الفوز بثلث التركة الذي كتبه له، وسلك في سبيل هذا كل الطرق المتيسرة من اللجوء إلى النيابة إلى التهديد برفع الأمر للقضاء ومن محاولة رشوة جيرونتا أو التحالف معه إلى الفرار بالنقود خارج بلاده.

والصراع التقليدي بين جاكومينو وكارميلوتشو الذي ينتهي عادة بالعزم على قتل الغريم وحرمانه من نصيبه في التركة، أو لاستقطاع نصيب الأسد منها هو في نهاية الأمر آلية من آليات حب المال والتكالب عليه، وإن كان من الصعب أن تتفجر في الأحوال العادية فإنه من المؤكد أنها تتفجر ويتسع نطاقها في الأحوال غير العادية كالتي يثيرها جيرونتا.

وطبيعي أن دائرة المحبة التي يطلب جيرونتا من أهل الميت عقدها حوله لأداء مهمته المزعومة إن هي إلا اللمسة الأخيرة في تدبيره الماكر، ومادامت دائرة المحبة لا تلتئم أبدا حوله فلا غبار على جيرونتا وعلى سلامة موقفه. فالذنب ليس ذنبه وأهل الميت أنفسهم هم الذين يرضون له بالفناء الأبدي.

وبعد أن تتكشف كل الخيوط، وتظهر الحقيقة يلوح بوضوح أن كلمة

«البعث»، وإعادة الحياة، وما شابهها يدخلان هنا في باب اللعب بالألفاظ وتتعلقان في واقع الأمر بالأقرباء الضالين الذين يستفيدون من النصيب غير المشروط في الوصية والذين يستدرجهم جيرونتا بعد الفراغ من حيلته إلى كتابتها على الصورة الكبيرة التي يعدها لهم مسبقا بحجة الاحتفاظ بها كذكرى لهذه المناسبة.

وإذا انتقلنا من دائرة جايتانو تروتشينا وعائلته إلى دائرة نابليوني بوتا ومدعويه لتبين لنا بُعد آخر من أبعاد المسرحية من شأنه أن يحيل الموقف من الخاص إلى العام، ومن الفردي إلى الجماعي، ويكشف عن عدم اقتصار هذه المثالب على عائلة بعينها، وإنما على انتشارها كظاهرة في مجتمع بأكمله.

فلو نحينا جانبا الطرق التي حقق بها نابليوني ثروته الطائلة، وهي واضحة كل الوضوح شأنها في ذلك شأن خوفه من الموت، وإلحاحه على جيرونتا لتوقيع العقد، وهو في هذا لا يختلف كثيرا عن جايتانو تروتشينا، وكذلك لو مررنا مرور الكرام على الحفل الذي أقامه بمناسبة زفافه، والذي أنفق عليه ببذخ شديد وسفه ملحوظ، توقفنا قليلا عند المدعوين لوجدنا أنهم جمع غفير من أهل البلدة يشمل شرائح من مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية من الأجراء إلى السماسرة ومن العمال إلى التجار إلخ. ويمثل هذا الحشد صورة بليغة للطمع والجشع وعدم القناعة، ويتجلى هذا في التهافت على الطعام والشراب وعلى التهامه واحتسائه بنهم يفوق الحدود، وعلى الإغراق في الملذات والشهوات. ويرى راؤل راديس في معرض حديثه عن هؤلاء الناس «أن البطل الحقيقي للمسرحية ليس جيرونتا سبتزيو، وإنما ذلك الحشد المشين من البشر الممثل في فئات متنوعة من الناس الذين يجمع بينهم جميعا الجشع والدناءة»(*) وعندما يرفع جيرونتا الكأس إيذانا بشرب النخب يعبر في تهكم لاذع عن الأوضاع المؤسفة للناس. ففي النهاية يمنح جميع الهدايا التي بعثرت تحت

---

* في فيورنتزا دي فرانكو ـ مسرح ادواردو، اونيفر سالي لاتيرسا، باري، ١٩٧٥ ص٢٠٧.

قدميه إلى المدعوين فلا ينتظرون مجرد انتهـاء النخب، وإنما يندفعون للاستيلاء على كل شيء في شراهة منقطعة النظير.

وفي النهاية يفلـح جيرونتا في بلوغ مأربه، وفي الانتقـام لنفسه، ولا يكتفي فقط بـاسترداد أموالـه وأملاكه المسلـوبة، وإنما ينهـب كما يستطيع مـن أموال الآخـريـن، كما يستعيد مكـانتـه الكبيرة المتميـزة في المجتمع، ويحيطهـا بهالـة ضخمة من الاحترام والإجلال تصل إلى درجة التقديس.

على أن جيرونتـا ليس إلا مثـلا مـن أمثلة كثيرة ومتعـددة يفـرزها المجتمـع ويصطدم بها مـن آن لآخر، ولقد أتقـن ادواردو دي فيليبو رسم صـورته والجو المحيط بـه والألاعيب العجيبة التـي يمارسها، كما سعـى إلى تعرية مـا يختبىء تحت سطح العلاقات الإنسانية من ظواهر، ومظاهر للفساد الأخلاقي.

ودون اللجوء إلى الحبكـة البوليسيـة أخفى المؤلـف الحقيقة حتـى منتصف الفصل الثالث تقريبا، وركـز في المشهد الأخير على المعنى الذي أراد أن يؤكده في ثنايا المسرحية «فالمشهد الأخير يترجم ببراعـة الرمز إلى صورة، ويمحو بجوه السريالي الأشبه بجو الأحلام كل ماهو آلي وكـل ماهو محسوب بدقة متناهية في تسلسل الأحـداث وفي بناء المواقف وتتـابعها، وكـل ما سرده المؤلف مـن قبل يتفجر بعنـف في هذا المشهد في صـورة اتهام شديد موجـه ضد مجتمع يـدنسه الغش والنفاق والشراهة وضعف المشاعر الإنسانية»(*)، ويسلط ادواردو دي فيليبو الضـوء على هذه الحقيقة بإسـدال ستار النهاية على ذلـك الحشد الكبير من المدعـوين، وهـم ينكبـون على انتزاع الليمـون والبرتقال من السـلال وكل منهم يكدس أمامه الدجاج والبط والديوك الرومية المحمرة والمشوية.

---

* ماريو منيوني، مسرح ادواردو فيليبو، تريفي، روما ص٢٦٦ (بالإيطالية).

شخصيات المسرحية

ازيدورو

جيرونتا سبتزيو

مساعد الشرطة

جوفاني تشيكنيولا

المصور

نابليوني بوتا

سليفيا تورتشينا

جاكومينو تروتشينا

باليرا تروتشينا

كارميلوتشو تروتشينا

مفتش الصحة

سلفاتوري كومو ـ وكيل النيابة

شرطيان

نونتزياتا

بريجيدا

لنشانو

أنجليليكا توزيللي

مادلينا ترينفو

رومينكو

فرانشسكيللو

بسكوالي سالينس

«جمع من أهل البلدة والفلاحين والأجراء وأصحاب المحال والسماسرة وعائلاتهم جميعا»

الفصل الأول

قاعـة ضخمة في بيـت ريفي من البيـوت المنتشرة على طول الطـريق المليء بالتلال المفضي من ماسة لوبرنتسي إلى بوزيتانو.

منتصف الصيـف والليل منعـش، وهواء البحـر المفعم بعبير بسـاتين الموالح النضرة المزدهرة المحيطة بـالبيت يتسلل من النوافذ المفتـوحة، وينثر مزيجا عليلا من روائحها حول المكان. قطعتا الأثاث الرئيسيتان هما دولاب للأرشيف مشحـون بملفات مرتبة بنظـام دقيق ودولاب للبطاقات. بـاقي قطع الأثاث غير متجانسة، وإن كانت كلها مصنوعة من الأخشاب المتينة غـالية الثمـن. مصبـاح كيروسين متنقل على المكتـب، وآخـر يتدلى مـن السقف.

الظلام يخيـم على المكان في الخارج، وانعكـاس الأضواء يكشـف كتلة بساتين الموالـح التي تنحدر مـن التل نحو البحر حيـث تخفت بالتـدريج ألوان الأفق وحيويته.

عند رفع الستـار تظهر القاعة خـالية غارقة في صمـت مطبق لا يتخلله إلا نباح كلب بعيد ونباح كلب آخر أبعد بكثير يـرد عليه. تسمع فجأة من الغرفة المجاورة جلبـة كراسي تنقلـب، أو تصطدم بقطـع الأثاث والجدران، تعترض شخص أثناء جريه فيتخلص منها. يـرتفع صدى حذاء ضخم في جميع أرجاء البيت، ثم يسمع لهث الرجل، وأخيرا يرتفع صوته في رعب.

ازيدورو : (من الـداخل) الـرحمة أيتها العـذراء! الغوث يـاقديـس انطونيـو! أنا أخطأت ولكنـي لم أتعمد الخطأ . غفـرانك ياربي! غفرانك ياربي! (يقتحم الغرفة لاهثا ويحتمي وراء المكتب الـذي يجد فيه مهربـا. ازيدورو يبلغ مـن العمر خمسين عامـا ولكنه شاخ قبـل الأوان. شاحب الـوجه، زائغ البصر).

يظهر جيرونتـا سبتزيـو على عتبة البـاب. رجل طـويل القامة نحيل الجسد يبلغ الخامسة والخمسين من العمر.

جيرونتا : دنيء!.. قذر! مغفل!.. حقا إنك لمغفل خائن!

ازيدورو : كلا.

جيرونتا : بل نعم.

ازيدورو : كلا!!!

جيرونتا : إذن أبله! اختر بينهما ولكنك لن تستطيـع الاختيار لأنك خائن وأبله معا وسيلتبس عليـك الأمر. فمادمت خائنا فلـن تسلم بـأنـك أبله ومـادمت أبلـه فلـن تفهم أنـك خائن.

ازيدورو : أنا أحبك.

جيرونتا : اخرس! لقد ذهبت عند الحلاق أيها الحقير الدنيء لتجدد سحنتك . . نعم ذهبت ولم تضيع الوقت أملا في أن يلتقطوا لك الصور وأن ترى وجهك الكالح في صحف الغد. ماذا قلت لدون انطونيو القاضي؟ تكلّم . .

ازيدورو : لا شيء.

جيرونتا : تعال هنا .

ازيدورو : جيرونتا . .

جيرونتا : قلت لك تعال هنا!

ازيدورو : (يلحق به متلعثما) جيرونتا . .

جيرونتا : اركع على قدميك!

ازيدورو : حاضر (يركع بين يدي جيرونتا)

جيرونتا : انظر جيدا في عيني .

ازيدورو : حاضر.

جيرونتا : إذا كان عليك أن تشكر الله على أنك جئت إلى الدنيا لأول مرة، فيجب أن تشكرني أنا لأنك عدت إليها مرة أخرى وأنك تستطيع أن تتكلم، وأن تتنفس وتمشي في الطرقات .

ازيدورو : لا شك.

جيرونتا : وعليك أن تشكرني لأنك تستطيع النوم في الليل، وتشعر برطابة ملاءة السرير على جسدك، وتنام في وداعة، وتستيقظ في الصباح على الجو المنعش في الربيع وعلى الشمس في الصيف، وأن تأكل المكرونة بالطماطم الصابحة والبيض الطازج والفاصوليا وأن تحتسي النبيذ الأبيض والأحمر وتشبع من كل الخيرات التي وهبتها لنا الطبيعة.

ازيدورو : أشكرك.. أشكرك..

جيرونتا : وإذا كان الله قد وهبك الحياة ثم انتزعها منك وأعدتها أنا إليك فمن صاحب الفضل عليك بعد الله؟

ازيدورو : أنت..

جيرونتا : قبّل قدمي.

ازيدورو : حاضر (ينبطح على الأرض متعجلا ويقبل قدمه).

جيرونتا : القدمين! (ازيدورو يسرع بتقبيل القدم الأخرى) والآن تكلم. أريد أن أعرف كل شيء.. هل أفرطت في الكلام؟

ازيدورو : أنت تملكك الخوف ولكن الـ..

جيرونتا : أجب عن سؤالي . . هل أفرطت في الكلام؟

ازيدورو : قليلا . . قليلا .

جيرونتا : ومن كان مع دون انطونيو القاضي؟

ازيدورو : لا أحد . لقد اعترض طريقي بالقرب من محل ألبان ماريا جراتسيا وتحدثنا وحدنا فقط . كانت الساعة حوالي السادسة والربع وكنت في طريقي إلى البيت بينما كان هو عائدا لتوه من البلدية . وكان قد عرف أن رجال الأمن كالعادة عبارة عن مساعد شرطة وجنديين وأنهم قادمون لإجراء مزيد من التحقيقات والتحريات . ولما أخبرني بهذا قلت له : أهذا معقول؟

أمازال هناك من يشكك في موقف جيرونتا سبتزيو؟ أهناك حاجة إلى مزيد من الأدلة والصحفيين؟

جيرونتا : لماذا . أهناك صحفيون مع رجال الأمن؟

ازيدورو : وماذا يهمك؟ أليس في وسعك أن تطويهم؟ لقد جاء في السنوات الثلاث الماضية الكثير منهم واستطعت أن تطويهم ببساطة ، فاطو أيضا من يأتي منهم اليوم . هل يخيفك الصحفيون؟

جيرونتا : ما أسخفه من سؤال؟ أنا لا أخاف إلا الله ، فهل تظنني أخاف من صحفي؟

ازيدورو : هذا هو رأيي . . وطبيعي أن الكلام ساقنا إلى حكايتي فقال لي : لعلك كنت فاقد الوعي في تلك الساعة .

جيرونتا : وأنت بماذا أجبته؟

ازيدورو : أجبته بـ . .

جيرونتا : بأنك كنت تسمع صوت السيارات وعربات النقل . . وأنك كنت تسمع بكاء الناس من حولك وكلامهم .

ازيدورو : وكنت أعي مايقولون . .

جيرونتا : يا إلهي! كيف تعي ما يقولون مادمت كنت ميتا عندما لحقت بك؟

ازيدورو : كنت ميتا ولكني كنت أعي كل شيء .

جيرونتا : اسكت يا أبله! إنها ضجة وأصوات سمعتها في حياتك الأولى ومازلت تسمعها في حياتك الثانية ولكنك تظن أنك كنت تسمعها في تلك الساعة . أنت حيوان ومن المؤكد أن تأتي الشرطة لتتحرى والصحفيون ليطلعوا ويتقصوا الأخبار مادمت قلت بغبائك المستحكم إنك كنت تسمع أصوات السيارات وعربات النقل . لو كنت قد تأخرت عليك نصف ساعة لكنت الآن مدفونا تحت التراب .

طرق على الباب الخارجي

ازيدورو : البوليس! (يجري نحو نافذة ويطل منها) من هناك؟

مساعد الشرطة : (من الخارج) أين الكلاب يا ازيدورو؟

ازيدورو : مربوطة (يتجه إلى جيرونتا) ماذا أفعل؟

جيرونتا : دعهم يدخلون.

ازيدورو : تفضلوا. الباب مفتوح وأنتم تعرفون الطريق.

جيرونتا : الصول وحده.

ازيدورو : كلا.. إنهم خمسة.

جيرونتا : الصول وشرطيان وصحفي.. فمن الشخص الخامس؟

ازيدورو : لعله المصور.

جيرونتا : افتح الباب.

ازيدورو : هل أقول لهم إننا تربينا كأخوين شقيقين وأنك أطعمتني وآويتني؟

جيرونتا : قل الحقيقة.

ازيدورو : الحقيقة التي لا شك فيها هي أنني سمعت أصوات عربات النقل، والناس يبكون من حولي.

جيرونتا : هـذه حقيقتـك أنـت والتي لا تهم أحـدا، أمـا الحقيقـة العلمية فإنك لا تستطيع أن تفهـم لأنك أبله، والجميع يعرفـون هذا، ولسـت في حاجـة للبرهنة عليـه . . افتح الباب.

(ازيـدورو يخرج على حين يذهـب جيرونتا ليجلـس على مقعد وثير)

ازيدورو : (من الداخل) تفضلوا.

مساعد الشرطة : آسف لإزعاجكم.

ازيدورو : لا. . لا إزعاج على الإطلاق يـا حضرة الصول. جيرونتا في انتظاركم.

مساعد الشرطة : (يدخل) مساء الخير.

جيرونتا : مساء النور. . أهلا وسهلا.

مساعد الشرطة : لا تـؤاخـذني، ولكـن ماذا أقـول لـك. . أحسبـك قـد اعتدت على هذا. إنها مجرد شكليات.

جيرونتا : (مبتسما في طيبة) شكليات أخرى؟ لا بأس.

مساعد الشرطة : معي صحفي جاء من روما على عجل.

جيرونتا : ومعه مصور. فليتفضلا .

مساعد الشرطة : الشرطيان اللذان صحباني سيبقيان في الخارج . لا داعي لحضورهما .

جيرونتا : ازيدورو! ادخل الصحافة .

ازيدورو : تفضلا .

(يدخل تشيكنيولا ووراءه مصور صحفي)

تشيكنيولا : شكرا .

مساعد الشرطة : إن الناس ياعزيزي جيرونتا تستيقظ في الصباح لا لتضع حلة الفاصوليا على النار لإطعام الأسرة وإنما لتدس أنفها في شؤون الآخرين وتغمر البلدية بالخطابات . . وعندما تكون خطابات مجهولة لا نعيرها اهتماما وغايته نحتفظ بها فترة ثم نمزقها وينتهي الأمر. ولكن ما العمل إذا كانت خطابات موقعة وتحمل أسماء معينة؟

جيرونتا : ومن وقعها هذه المرة .

مساعد الشرطة : تذكر الخطيئة ولا يذكر الخاطىء . وماذا أ قول لك؟ أنت رجل عرفت الحياة وتدرك الموقف . . أنا موجود هنا والشرطيان بالخارج وأنت تحت تصرفنا . فلنقم بالتفتيش وإلا زعموا أن البلدية أهملت البلاغ .

جيرونتا : هاكم البيت . . فتشوه . . ولكن أنتم تعرفون مسبقا أنني رجل جاهل لا أعرف إلا القليل من القراءة والكتابة ولذا لن تجدوا كتابا أو ورقة مكتوبة . لقد حطمني الصحفيون ياحضرة الصول! الصحافة قضت على راحتي ولكن كما قلت أنت بحق إنني تعودت على هذا فقم بالتفتيش ومرحبا بك في بيتي .

مساعد الشرطة : كيف تقول هذا وأنا أعرف البيت شبرا شبرا . الإقرارات الموجودة في هذا الأرشيف فحصتها وأعدت فحصها أكثر من عشر مرات فأي تفتيش تريد أن أقوم به؟

(إنني جئت لزيارتك وللسؤال عن صحتك ، وسوف أمكث معك عشر دقائق ثم انصرف)

جيرونتا : ازيدورو! هات زجاجتين من نبيذ العام الماضي .

ازيدورو : حالا (يخرج) .

جيرونتا : تفضل بالجلوس .

مساعد الشرطة : شكرا .

تشيكنيولا : لا أظن أنك تحب الصحفيين كثيرا .

جيرونتا : يا صديقي المحترم

تشيكنيولا : اسمي جوفاني تشيكنيولا.

جيرونتا : تشرفنا.. من أي صحيفة؟

تشيكنيولا : أنا أعمل مراسلا لبعض المجلات الأدبية في الخارج وأكتب لعديد من الصحف في إيطاليا.

جيرونتا : آه.. أنت لا تعرفني جيدا فأنا لا أشعر بالحقد نحو أي إنسان.

مساعد الشرطة : إن جيرونتا سبتزيو -ولا أقول لحضوره- طيب القلب ويحظى باحترام الناس وحبهم. وفي رأيي أن هذا بالذات هو السبب في حسد أهل السوء وحقدهم عليه وسر ما يكتبونه من خطابات مجهولة ضده إلى البلدية. إنه مر بكثير من المضايقات والجميع يعرفون هذا.

جيرونتا : ليست حياتي لغزا من الألغاز.

ازيدورو : (عائدا) النبيذ..

جيرونتا : اجلس يا ازيدورو. اجلس إلى جوارنا.

مساعد الشرطة : في صحتكم.

جيرونتا : في صحتك.

تشيكنيولا : إنه لذيذ الطعم.

جيرونتا : نحن نقوم بصنعه أنا وازيدورو ونابليوني ناظر العزبة .

ازيدورو : إننا لا نشتري شيئا من أحد .

جيرونتا : الأرض كريمة مع من يزرعها .

ازيدورو : ولدينا أرانب ودجاج ونربي الخنازير.

جيرونتا : والزيت نصنعه نحن أيضا . . زيت نقي خال من الحموضة . وسوف أرسل لك بعضا منه ياحضرة الصول .

مساعد الشرطة : أشكرك ولكن لاداعي للتعب .

تشيكنيولا : إذا أذنت لي أريد أن أوجه إليك بعض الأسئلة .

جيرونتا : لا مانع .

تشيكنيولا : هل لا يزال أبوك على قيد الحياة؟

جيرونتا : كلا . . مات منذ سنوات عديدة .

تشيكنيولا : ماذا كان يعمل؟

جيرونتا : عندما بلغ الثامنة عشر من عمره كان يملك أراض شاسعة تصل حدودها من بلدة مندراجوني إلى نهر سيبيكو ناحية نابولي، كما ورث من فرع العائلة الرئيسي مقاطعة دوقات رونشيليوني وقلعة من القرن الثالث عشر في منطقة فيتربو.

تشيكنيولا : مذهل! ولم تحاول أبدا أن تتمتع بمثل هذا اللقب النبيل؟

جيرونتا : اللقب كان من نصيب أخي الأكبر، أما عن أهميته ألم أقل لك إن القلعة أقيمت في القرن الثالث عشر؟

تشيكنيولا : فعلا.

جيرونتا : إن ذلك الكرسي الضخم المذهب الذي تراه أمامك (يشير إليه في أحد الأركان) وتلك العباءة المخملية القديمة هي كل ماتبقى من القلعة العتيقة ومن عظمة اللقب. كان أجدادي يجلسون عليه عند استقبالهم للفلاحين ليساوموهم على سعر القمح، وكان أبي هو الآخر يفعل مثلهم، فيجلس على العرش ويستقبل المزارعين ويقول: كان هذا الموسم طيبا والمحصول وفيرا فابتسم الحظ لكم يا أبنائي وأدار لي ظهره، فادفعوا قيمة الأجر والعوائد وسوف يتعين على سيدكم أن يربط الأحزمة ليعول أسرته ويحفظ لها كرامتها، وإني لأعهد بنفسي إلى قلوبكم الكريمة لتساعدوني على دفع العجلة، وفي غمرة التأثر كان الفلاحون يشعرون بأنه من الشرف أن يقدموا له أجرا أعلى وأكثر إنصافا يتناسب مع قيمة مكاسبهم.

تشيكنيولا : وإذا جاء الموسم مضروبا.

جيرونتا : يربط أبي الأحزمة .

تشيكنيولا : مساومة مباشرة تقوم على أساس التفاهم الحر المتبادل .

جيرونتا : هذا صحيح . ولكن بعد أن انتهى التفاهم المتبادل مات أبي حزنا . فقد استطاع أن يتحمل قيام الفاشية والنقابات ومصادرة جانب كبير من أراضيه ، ولكنه لم يستطع تحمل انعدام الثقة .

تشيكنيولا : لقد قلت منذ قليل -إذا لم تخني الذاكرة- إنك لا تعرف إلا قليلا من القراءة والكتابة فكيف يحدث هذا مع مكانة أبيك الاجتماعية الكبيرة؟

جيرونتا : عندما كنت في المدرسة أعدت السنة الثالثة الابتدائية ثلاث مرات ولما كانت المعلمة تقول لي إنني كسول ومهمل كان ردي عليها أن الدراسة لا تهمني في شيء لأن أبي ثري ، وبعد موته وبما أني كنت سخيا مع الجميع ولا هم لي إلا العطاء والعطاء . .

مساعد الشرطة : إنه كبير القلب .

جيرونتا : اجتمع إخوتي . . ثلاث نساء ورجلان وجميعهم أحياء يرزقون واتفقوا فيما بينهم على الحجر عليّ .

ازيدورو : هذا إجحاف شديد .

جيرونتا : أنت تعرف يا ازيدورو كم أحبك ولكني لا أسمح لك بأن تسيء إلى إخوتي. لقد كان الحق معهم، وخيرا ما فعلوا، فأنا أفرطت في الثقة بالأصدقاء الذين كانوا يعرضون عليّ مشروعات فاشلة واستثمارات مؤكدة الخسارة. ورب قائل يقول ولكن إخوتك استطاعوا أن يستثمروا رؤوس أموالهم وأن يقيموا المشروعات وأن يضاربوا وأصبحوا الآن من أصحاب المليارات.

حسن فليبارك لهم الرب ولكن لولا قيامهم بالحجر علي لما تبقى لي اليوم من ملك، هو وإن كان لا يوفر لي حياة الملوك إلا أنه لا يحرمني من اللازم الضروري.

تشيكنيولا : ألست متزوجا؟

ازيدورو : هذا أيضا وتر حساس.

جيرونتا : تزوجت فتاة يتيمة كانت تعمل في مغسلة دون موافقة إخوتي، واسأل حضرة الصول وازيدورو كيف كانت تعيش في بيتي.

ازيدورو : كالملكة.

مساعد الشرطة : كانت تنفق النقود وتبعثرها هنا وهناك كالهوانم.

جيرونتا : وبعد شهر من الزواج وجدتها في الفراش مع ابن أخي الأكبر.

مساعد الشرطة : كان يجب أن تطردها من البيت فورا، ولكنك ضعفت أمامها.

جيرونتا : لم أضعف ولكني قلت في نفسي الإغراء إغراء فهو شاب وهي شابة مثله . . ولو أن ما بينهما كان علاقة قوية فإنهما سيذهبان لحالهما دون حاجة لأن أعكر صفوهما أو أطردهما. وهذا ما حدث فعلا، فبعد شهرين اكتشفت أن العلاقة بينهما علاقة جادة لأنهما أفرغا ما في الخزينة وتركاني دون ليرة واحدة ولاذا بالفرار. ويقول بعض الناس إنهما في أمريكا ويقول البعض الآخر إنهما في استراليا. وقد مرت الآن عشر سنوات على ذلك اليوم ولم تصلني عنهما أية أخبار.

مساعد الشرطة : إنه قديس . . يمكنك أن تكتب في جميع الصحف أنه قديس.

جيرونتا : لا داعي للمغالاة فأنا لم أعدم أبدا طبقا من الشربة وكوبا من النبيذ.

مساعد الشرطة : هذا الرجل الذي تراه أمامك لو أراد أن يلتقط الكرة على الطائر ويستغل الموقف منذ ثلاث سنوات عندما وقع حادث ازيدورو لأصبح الآن مليارديرا. فقد جاء الناس يحجون إليه ويرتمون تحت أقدامه مبدين استعدادهم لأن يدفعوا الغالي والنفيس من أجل عقد من العقود التي تراها هناك.

تشيكنيولا : هل استطيع أن آخذ نسخة من هذا العقد؟

جيرونتا : بالتأكيد فهناك نسخ مطبوعة .

تشيكنيولا : وأخرى من نص الإقرارات .

جيرونتا : الإقرارات مكتوبة على الآلة الكاتبة . ففي صباح كل يوم تأتي الآنسة وتكتب عددا منها يكفيني لمدة أسبوع (إلى ازيدورو) اعطني نسخة مطبوعة من العقد ونسخة من الإقرارات مكتوبة على الآلة الكاتبة .

ازيدورو : حالا! (إلى تشيكنيولا) تفضل .

تشيكنيولا : شكرا .

جيرونتا : لقد نشرت الصحف من قبل نص الإقرار ونص العقد .

تشيكنيولا : لا يهم . . فأنا أريدها لي (يشير إلى ازيدورو) أهذا هو ازيدورو صاحب الحادثة؟

مساعد الشرطة : يجب أن يشكر جيرونتا فبفضله مازال ينعم بالحياة .

جيرونتا : أنا وهو كالأخوين الشقيقين .

ازيدورو : عندما كان صغيرا أصيب بمرض التيفود الخبيث . كان عمره يومها عشر أو إحدى عشر سنة فنذر المرحوم والده نذرا للسيدة العذراء أن يربي يتيما إذا نجى ابنه من

الموت. ونجى جيرونتا فابتسم الحظ لازيدورو سبوزيتو - الماثل أمامك - من بين اربعمائة وخمسين تعيسا كانوا يعيشون في الملجأ. وبعد موت أبيه ظل جيرونتا الوحيد من بين أفراد أسرته الذي أبقى على حبه لي فأطعمني وكساني ورعاني وأعاد لي الحياة على وجه الأرض.

جيرونتا : بعد موت أبي وأمي أرسل إخوتي ازيدورو إلى ضيعة لهم في الريف ليرعى مصالحهم ويشرف على المزارعين.

ازيدورو : وخلال هذه الفترة لم ينقطع جيرونتا عن زيارتي كما لم انقطع أنا عن زيارته.

جيرونتا : كان عندي «كارتة» فكنت أقوم بين الحين والحين بزيارة لسانتا أجتا.

تشيكنيولا : حيث وقع الحادث قبل ثلاث سنوات..

ازيدورو : بالضبط.

جيرونتا : جاءوا إلى هنا في ماسة لاستدعائي وقالوا: مات ازيدورو. فركبت الكارتة وجريت إلى سانتا أجتا. وسانتا أجتا مصيف يزدحم بالناس في الصيف. وحين وصلت كان الخبر قد سرى في البلدة كلها فوجدت البيت غاصا بالناس وازيدورو مسجى في فراش الموت ومحاطاً بالورود والشموع الأربع والناس من حوله يجهشون بالبكاء والطبيب يعد شهادة

الوفـاة، فانطلقت صـارخا فيه كوحـش جريح يحركنـي كل الحب الذي اضمرته له منذ طفولتنا وكل الحزن الذي انتابني حين رأيته محاطا بالشموع الأربع: ماذا تفعل؟ جاءك أخوك جيرونتا سبتزيو أنت لست ميتا انهض! ففتح ازيدورو عينيه وتحرك لسانه فهاجت سانتا أجتا وماجت وراحت الصحف تتحدث عن معجزة. . وأنت تعـرف الصحف وما تفعله. هذا هـوسبب الـوشايـات التي تحدث عنهـا حضرة الصول وتعـرضنـي لقلـة الـراحـة والتحقيقـات والشعبيـة والحقـد والحسد.

تشيكنيولا : لا تؤاخذني ولكن بعد حادث سـانتا أجتا المذهل الصاخب والذي اعتقد أنك أنت نفسك قـد فوجئت به، ألم تقع على يديك حوادث مشابهة أم أن قدرتك على تحقيق المعجزات ـ ولنسمها هكذا ـ قد توقفت عند هذا الحد؟

جيرونتا : لم يـدر في خلــدي أبـدا أني أملـك قــدر ة على تحقيـق المعجـزات. ولكنـي اعتقد أن لـدى قـدرات يمكـن أن تكون في متناول الجميـع، وليس لدي مانـع من الخوض في هذا الموضوع إن شئت ولكنك تـريد أن تعرف إن كان حـادث سانتـا أجتـا قـد تكرر أم لا؟ وردي عليـك أنـه نعـم. . لقد تكـرر حـادث سانتـا أجتـا وأعدت الحيـاة لأناس كثيرين ولدي الأدلة على ذلك وسأطلعك عليها. ازيدورو!

ازيدو رو : السمع والطاعة. (ينهض ويتجه نحو حامل رسم يصف عليه صورا مكبرة بالأبيض والأسود تضم لقطات جانبية لرؤوس أشخاص مستلقين للخلف وغارقين في الضحك بملء أشداقهم كأنهم أشباح مروعة).

جيرونتا : (في كل مرة يضع فيها ازيدورو صورة على الحامل يعلق عليها) هذا بعثته إلى الحياة منذ عامين وقد كتب الإهداء بيده فاقرأ. .

تشيكنيولا : «أعدت الحياة إلي ياجيرونتا فشكرا لك» توقيع جوزيبي سافاريزي.

جيرونتا : واقرأ هذا. .

تشيكنيولا : «أنت الذي بعثتني حيا يا جيرونتا سبتزيو». توقيع بيبينو سانتاريللا. (يواصل القراءة) «. . انتصرت على الموت! موتي يا جيرونتا العجيب». توقيع سلفستري.

جيرونتا : وهذه سيدة ماتت في العام الماضي. اقرأ.

تشيكنيولا : «عاش الموت إذا كانت العودة إلى الحياة ممكنة، ولتسقط الحياة إذا لم يوقعنا الحظ في طريق جيرونتا سبيتزيو». عظيم عظيم. . ولكن لا تؤاخذني يا سيد سبيتزيو فأنا واجبي أن أقوم بدور الشيطان، فقل لي إذن من يعرف هؤلاء الناس؟ ولماذا لا يظهرون على الملأ؟ ولم لا يصرخون في الناس بالنعمة العجيبة التي أسعدهم الحظ ونالوها على يديك؟

جيرونتا : أتعني أنـك تريد نشر الصور؟ ليـس هناك ما يمنـع فهم أحياء يرزقون ولا يمكن أن يكذبوا .

مساعد الشرطة : لقد رأيـت بنفسي شخصين أو ثلاثة ممـن رأيت صـورهم الآن وأكدوا لي أنه أعادهم جميعـا إلى الحياة . ومن جانب آخر حققـت معه النيـابة وتحرت السلطـات عن أولئـك النـاس ثـم بعـد كل هـذا تجيء أنـت لتقـول . . . لقـد أخبرتك مـن قبل أن جيرونتا سبيتزيـو لا يريد أن يتـاجر بملكاته .

جيرونتا : لقد أعطيتك العقد المطبـوع ويمكنك أن تلقي نظرة على الإقـرار الـذي يـوقعـه الذيـن يطلبـون أن أعيـدهـم إلى الحياة .

تشيكنيولا : إنني أصغيت باهتمام شـديد إلى كل ما ذكـرته ولكـــن لا تؤاخذني إذا قلت أنك تثير الشك والدهشة في نفسي ، والمسـألة ليسـت لعبـة ، فأنـت تقـول مـرة أنك لا تـأتي بالمعجزات ومرة أخرى تـؤكد أن عندك القدرة على إحياء الموتى ، فخبرني إذن بماذا تحييهم؟ بالعصا السحرية؟

جيرونتا : بل بالحب والعمل الطيب والإشفـاق على الناس لدرجة التخلي عن كل حق . عطاء . . عطاء . . عطاء . . وتجرد من كـل متاع دون خـوف من أن يتمكـن منك الفقـر . . وبحب النـاس أجمعين دون تفرقة أو تمييز بين الأصـدقاء والأعداء . عطـاء وعطاء وعطاء فأنـا لو طلب منـي أحد دما لشققت قلبي وقلت له خذ .

تشيكنيولا : (مذهولا) عظيم . . عظيم . .

جيرونتا : ألم أقل لك إنه قديس؟!

ازيدورو : اقرأ العقد لتقتنع .

جيرونتا : اقرأ، اقرأ.

تشيكنيولا : (يقرأ) «عقد أخلاقي . البند الأول : يلتزم السيد . . التزاما غير مشروط بالآتي : أ ـ حب أسرته حبا صادقا مخلصا .

جيرونتا : أكمل .

تشيكنيولا : ب ـ «قطع أية علاقة مادية عاطفية مع أية امرأة خلاف زوجته» . طبيعي إن توفرت النوايا الطيبة والأمل الخالص في استرداد الحياة بعد الموت . لنرى ماذا أيضا . ج ـ «أن يأوي أقاربه في بيته وأن يكفلهم بالود والترحاب حتى وإن اعتبرهم من قبل غير أهل لكرمه لارتكابهم آثاماً في حقه أو تعديهم عليه وظلمهم له» هذا الشرط الثالث أصعب من سابقه .

جيرونتا : ولكنه ضروري . اكمل .

تشيكنيولا : (يواصل القراء ة) د ـ «أن يراعي العدل في كتابة وصيته سواء بالنسبة لزوجته أو أبنائه وألا يغفل كل من سهر على

من المحتاجين الذين تجاهلهم من قبل». هـ ـ «أن يخصص النسبة غير المشروطة في الوصية إلى الصهر أو النسيب أو القريب الذي تحمله في حياته واعتبره متطفلا. البند الثاني: «يجب تسجيل الوصية وتسليم نسخة منها في ظرف مغلق إلى أفراد الأسرة ويكلفون بفضه عقب الوفاة مباشرة. ويجب وضع ورقة في نفس الظرف تحمل تنبيها بالاتصال الفوري بالصديق العزيز جيرونتا سبيتزيو في رقم ٧٨١٦١٧» البند الثالث: «إذا تم تنفيذ الشروط الواردة في البندين السابقين بدقة وبالحرف الواحد فإن السيد جيرونتا سبيتزيو يتعهد بإحياء الميت بشرط أن يتم استدعاؤه في وقت لا يزيد عن خمس ساعات». البند الرابع: «لا تقدم أية أتعاب مهما كان نوعها أو طبيعتها للسيد جيرونتا سبيتزيو مقابل وفائه بالتعهد المشار إليه في البند الثالث نظرا لأن ما يؤديه من خدمات يقدم بالمجان. ويعتبر السيد جيرونتا نفسه راضيا كل الرضا إذا حصل على صورة تذكارية بسيطة تسجل الحادثة وتذيل بإهداء يتضمن العرفان بصنيعه.» عظيم، عظيم ولكن اسمح لي بسؤال.. هل يستطيع أي شخص أن يوقع على هذا العقد إذا طلب منك ذلك؟

جيرونتا : كلا.. ليس كل شخص فأنا أختار الأشخاص الذين يستحقون هذا بناء على قواعد محسوبة.

تشيكنيولا : هل يجب أن تتوافر فيهم شروط معينة.

جيرونتا : نعم. يجب أولا أن يكونوا من المتمتعين بصحة ممتازة. فما استطيع أن أفعله هو أن أعيد النبض إلى قلب توقف لأسباب مجهولة ولكن ما حيلتي مثلا أمام نزيف في المخ أو موت في حادث أو ورم خبيث؟

تشيكنيولا : مفهوم.

جيرونتا : فالطبقة التي ينتمي إليها الشخص لها وزنها أيضاً.

تشيكنيولا : الطبقة؟

جيرونتا : أنا أحب الشعب.. العمال، الحرفيين، الصناع، فطهارة النفس التي يتمتع بها هؤلاء الناس تسهل العملية التي أقوم بها.

تشيكنيولا : (ساخراً) إذن أنا مثلا لا استطيع التوقيع على عقد منها؟

جيرونتا : المثقفون متميزون في هذا العالم، فما فائدة أن يعودوا إليه ليتعلموا ما سبق لهم أن تعلموه؟

تشيكنيولا : ورغم هذا فأنا حري بحق أن أوقعه. فمن يعرف؟

جيرونتا : يعوزك الإيمان.

نابليوني : (من الداخل) ازيدورو!

ازيدورو : (يطل من نافذة) نابليوني!

نابليوني : اسأل السيد جيرونتا إن كان من الممكن أن أقابله.

ازيدورو : (يلتفت إلى جيرونتـا) نابليـوني يلتمس مقـابلتك. هـل أدعه يصعد؟

جيرونتا : مازال معنا ضيوفنا .

مساعد الشرطة : فيما يخصنـي سـأنصرف الآن فقـد أزعجتـك بما فيـه الكفاية .

تشيكنيولا : وأنا أيضـا استأذنـك ولكن قبـل انصرافي أريد أن التقـط بعض الصور إذا سمحت .

جيرونتا : أنت حر التصرف فأنت في بيتك (يتوجه إلى ازيدورو) قل لنابليوني أن يصعد ودعه ينتظر في «الانتريه» .

ازيدورو : (مـن النافـذة) تعـالي يا نـابليوني. سـأفتـح لك البـاب (يخرج)

تشيكنيولا : نبدأ بصورة للأرشيف .

جيرونتا : كما تشاء .

تشيكنيولا : وأخرى وأنـت جالس على المكتـب. هل هناك مـانع في تصوير الصور المكبرة لمن أعدت إليهم الحياة .

جيرونتا : قلت لك منـذ قليل أن تنشرها إذا أردت بل ولـدي صور مصغرة منها يمكن أن أعطيك نسخا منها .

تشيكنيولا : لا، كلا، تكفينـي هذه. ولكن هل تسمـح لي بأن أنشر الإهداء وعليه أسماء الأشخاص وألقابهم .

جيرونتا : يمكنك أن تفعل ما تريد .

تشيكنيولا : وإذا سمحت لي أحب أن التقط لك صورة على «العرش» والعباءة على كتفيك .

جيرونتا : آسف لأني بهذا سأقصر في حق كثيرين من زملائك طلبوا مني هذا ورفضته .

تشيكنيولا : ولماذا رفضته؟

تشيكنيولا : مفهوم

جيرونتا : فالطبقة التي ينتمي إليها الشخص لها وزنها أيضا .

تشيكنيولا : الطبقة؟

جيرونتا : أنا أحب الشعب . . العمال والحرفيين والصناع . فطهارة النفس التي يتمتع بها هؤلاء الناس تسهل العملية التي أقوم بها .

جيرونتا : لأن هذه الصورة ستبعث خيبة الأمل في كل من يؤمنون بي . أنا لا أريد أن أزج في رسالتي بسخافة العرش . هذا الكرسي العظيم له قيمته عندي وحدي لأنه ذكرى من عائلتي .

تشيكنيولا : (لا يلح) شكرا على كرم ضيافتك ومع السلامة .

جيرونتا : شرفتنا .

مساعد الشرطة : التفتيش انتهى وسعدت مساء .

جيرونتا : في رعاية الله وشكرا لك .

مساعد الشرطة وتشيكنيولا يلتقيان عند خروجهما بازيدورو وهو عائد .

تشيكنيولا : (إلى المصور) التقط له صورة .

ازيدورو : (يبهره ضوء الفلاش) كدت أن تعميني! هل أدخل نابليوني؟

جيرونتا : ادخله .

ازيدورو : حالا (يخرج ويتبعه المصور والصحفي ومساعد الشرطة)

جيرونتا : (يطل من إحدى النوافذ) ما أطيب هذا الجو المعطر وما أجمل هذا الليل!

نابليوني : (يدخل) مساء الخير.

جيرونتا : مساء النور.

نابليوني : (المشرف على أملاك جيونتا . رجل ضخم البنيان . يبلغ نحو الخمسين من العمر) شعرت بالتعب مرة أخرى .

جيرونتا : لا بأس عليك.

نابليوني : فقط..

جيرونتا : إذا كان هناك ما استطيع أن أفعله من أجلك أخبرني به.

نابليوني : أنا لا أنام الليل وأنت تعرف السبب.

جيرونتا : أنت عنيد متشبث بالرأي.

نابليوني : ليكن أني عنيد ومتشبث الرأي فماذا أفعل؟ أأستسلم لليأس وأدخل مستشفى المجانين؟!

إنني أذهب كل ليلة إلى الكنيسة وأحضر قداس كل أحد وأقوم بالاعتراف والتعميد كل أسبوعين. وإلى جانب هذا توجد امرأة تعسة أمام الكنيسة تطلب الإحسان. المسكينة كفيفة لا ترى، وقبل أن أدخل أضع في يدها مئة ليرة.. وفي الأيام الأولى كنت أقول لها. «أنا نابليوني بوتا. تفضلي مئة ليرة..» أما الآن فلا حاجة بي لأن أقول لها شيئا. فهي تتناول النقود وتتحسسها بيدها وحين تدرك أنها مئة ليرة تهتف بي: «مساء الخير يا نابليوني» وأقلعت أيضا عن السباب، حيث إنني كنت أسب بعدد رمال الأرض، و كنت أتخذه تنفيسا عن الكرب. وفي سبيل محو أميتي أجلس أمام التلفزيون وأتابع برنامج «لا تقل أبدا فات الأوان» ولكن معدتي لا تلبث أن

تتلوى كأنها حشيت بغطاء عربة نقل لا تستطيع أن تهضمه ثم يتتابني صداع ولا أجد مهربا من النهوض والخروج لاستنشاق الهواء. والنوم لا يغشي عيني. وأنا مريض بالقلب. وكما تعرف فأنا أخلص لك وأخدمك بما أنت أهل له. فهل بعد هذا لا تريد مساعدتي؟ أنت تعرف سر عذابي.

جيرونتا : ما تطلبه مني لا استطيع أن أمنحه لك ومن الأفضل أن تنساه ليستريح بالك.

نابليوني : لا تستطيع أن تمنحه لي. .

جيرونتا : كلا. . لأنك لا تستطيع أن تتعاون معي في البداية وليس هناك أحد يتعاون معي بعد النهاية. أنت تعرف العقد جيدا فقد قرأت لك جميع بنوده وشرحتها لك بوضوح. فلمن تسلم الوصية التي يتعين أن تكتبها تنفيذا للبند الأول؟ أنت ثري ولا تنقصك الأملاك فابحث لك عن زوجة، وإذا لم تنجب بالزواج فتبن طفلا أو طفلين أو ثلاثة وهكذا تجد لك أسرة ويصبح من الممكن عندما تحين الساعة إقامة دائرة المحبة اللازمة لإعادتك إلى الحياة. اصغ إلي جيدا يا نابليوني أنا لا أصنع المعجزات أتريد أن تفهم هذا أم لا ؟ أنت وحيد مقطوع من شجرة، ولا أعني أنه ليس لديك أسرة فقط بل ليس لديك مجرد قريب أو حتى صديق.

نابليوني : اعتقد أن لي أقرباء من بعيد كان قد حدثني عنهم المرحوم والدي ولكني لا أذكر إن كانوا أحياء أو أمواتا و إن كانوا أحياء فلا أعرف أين يوجدون .

جيرونتا : انظر كيف بلغ بك الحال . . ولكن ما الغرابة في هذا فأنت عشت كالحيوان . لقد عملت خمساً وثلاثين سنة عند عائلتي وأنا أعرفك حق المعرفة .

نابليوني : ومع ذلك فلا تستطيع أنت بالذات يا سيدي أن تشكو مني في شيء .

جيرونتا : هذا هو بيت الداء . فأنت عشت طول حياتك على مبدأ أنا وشأني دون مراعاة لوجود الآخرين ، والآن أصبحت في حاجة إلى الآخرين ولكن لا تجد الآخرين ، فعليك إذن أن تواصل حياتك عملا بمبدئك أنا وشأني فقد صرت وحيداً حولك .

نابليوني : وازيدورو؟

جيرونتا : وما شأن ازيدورو؟

نابليوني : ألم يكن وحيدا بلا أهل عندما أعدت إليه الحياة في سانتا أجتا؟ إن المسألة كلها أنك تستثقل دمي وتكن لي العداوة .

جيرونتا : أنت أحمق جاهل لا تستحق مجرد الإجابة (ينهض فجأة ويجري نحو باب الدخول وينادي) ازيدودو! أين أنت يا ازيدورو؟

ازيدورو : (من الداخل) أنا هنا يا جيرونتا.

جيرونتا : تعال! . . أتريد أنت أن تقارن نفسك بازيدورو؟ إن ازيدورو لم يعش أبدا وحيدا كما تظن . . إن أول ضوء وقعت عليه عيناه هو ضوء الملجأ وعندما بدأ عقله يكبر بدأ يعي أن حوله الإنسانية برمتها.

ازيدورو : (يدخل) ماذا هناك يا جيرونتا؟

جيرونتا : قل لي . . عندما كنت في سانتا أجتا هل كان لك أصدقاء؟

ازيدورو : أصدقاء! لقد كنت أسير في الشوارع حاملا قبعتي في يدي لأوفر على نفسي مشقة خلعها كل لحظة لأحيي الأصدقاء الذين أقابلهم.

جيرونتا : وهل كانوا يحبونك؟

ازيدورو : كنت أسعى لنيل حبهم ولكن ليس بمجرد الكلام فأنت تعرفني جيدا. وكان في وسعي أن التمس مساعدة الأصدقاء من كل الطبقات وفي كل الظروف. كان يكفي أن أشير بيدي فأسمع على الفور: ماذا تحتاج يا ازيدورو؟

ويوم وفاتي تحول بيتـي إلى محل للورد وفاترينـة للحلوى. وقبـل أن أمـوت كـان البعـض يهدي إلي ربطـة عنـق، والبعض الآخر حافظة نقود حتى بابيتشيللو الذي يعيش على الصيد ويعلـم الله وحده كيف يعيش، كان يهدي إليّ كل عام كيلو من السردين وكنـت أملحه وعندما آكل واحدة منه أمام المدفأة في ليالي الشتاء كنت أذكره.

جيرونتا : وأنـت كيـف كنـت تتصرف معهم؟ مـاذا كنـت تفعـل ليحبوك؟

ازيدورو : لا شيء. وماذا كان في وسعي أن أفعل؟ كانوا يقولون إني ظريف في حكـي الحكايات فكانوا يقصـدونني لأقصها عليهم، وإذا احتـاج أحد إلى أنيس كنـت أوانسه، وإذا دعاني صـديق على الطعام وأنـا فاقد الشهيـة لأني أكلت من قبل كنت أتظاهر بالجـوع وآكـل مرة أخـرى لكي لا أكسر خـاطر مـن أراد أن أشاركـه طعـامه وإذا كنـت أملك ليرة أنفقهـا مع الأصدقاء وإذا كنـت لا أملكها لا أنفق أبدا نقود غيري وإذا أراد صـديق أن أذهب معه إلى السينما أقول له إني لم أر الفيلم وأذهب معه لكي لا أفسد عليـه متعته. ومـاذا كـان في وسعـي أن أفعل أكثـر مـن هذا؟

جيرونتا : وهل كنت تدفع أجر الفلاحين؟

ازيدورو : الأرض كانت ملكا لأختك السيدة أولمبيا وكنت أشاركها فيها مناصفة. فكان نصف المحصول يذهب إليها والنصف الآخر أبيع حصة منه لأدفع أجر الفلاحين والضرائب والحصة الأخرى احتفظ بها لأعيش منها أنا والفلاحين المساكين الذين كان يدخل السرور على قلوبهم حمل بعض ثمار الأرض التي فلحوها إلى أبنائهم.

جيرونتا : يمكنك الانصراف وإذا احتجت إلى شيء سأنادي عليك.

ازيدورو : أمرك.. (يخرج)

جيرونتا : أرض أخي كالوجيرو المطلة على بلدة سان لبيرا تورى، تلك الأرض الممتازة الموقع والتي تساوي اليوم ثقلها ذهبا.. لقد استطعت أنت أن تحطم الرجل المسكين بالقروش المعدودة التي كنت تعطيها له آخر كل عام دون أن يرى من أرضه لا أقول غلة ليرة واحدة، وإنما على الأقل برميل نبيذ أو زجاجة زيت حتى أنه قرر في النهاية أن يبيع الأرض فاشتريتها أنت بأبخس الأثمان.. وأخي الآخر تيودورو. ألم تفعل معه نفس الشيء؟

نابليوني : إنهما يستحقان ما جرى لهما لأنهما أخطآ في حقك وحقك أنت بالذات.

جيرونتا : آه، لا تؤاخذني، إذن أنت قمت بعمل نبيل. لم أكن أعرف هذا! فأنت تقصد أنك جردت أخويّ من أرضهما شيئا فشيئا لتعاقبهما على ما ارتكباه في حقي من خطأ.

نابليوني : بالضبط.

جيرونتا : وكنت تقتصد النقود يوما بعد يوم.

نابليوني : وأسبوعا بعد أسبوع.

جيرونتا : وشهرا بعد شهر.

نابليوني : كالنملة..

جيرونتا : وعندما استكملت المبلغ..

نابليوني : دفعت الثمن نقدا وعدا على الفور أوراقا بألف ليرة ورقة فوق ورقة.

جيرونتا : وهذه النقود من أين أتيت بها؟

نابليوني : كيف من أين أتيت بها؟

جيرونتا : من كان يعطيها لك؟

نابليوني : ومن كان يجب أن يعطيها لي يا سيدي؟ لقد كدحت من أجل الحصول عليها.

جيرونتا : أعطتها لك الأرض؟

نابليوني : طبيعي .

جيرونتا : إذن فسّــر لي هذا الأمـر . . كيف تغـل لك الأرض التـي اشتريتها ولا تغل لأخويّ؟

نابليوني : أنت حقـــا قديس . . أمـازلت تدافــع عنهما بعد كـل ما فعلاه معك؟ .

جيرونتا : دعك من مـوضوع الدفاع عنهما فهذا شـأن آخر وأجب على سؤالي .

نابليوني : يا سيدي جيرونتا كان عمري وقتها عشرين عاما أما الآن فعمري خمسون عاما .

جيرونتا : إذن من الممكـن أن نكـون لصـوصا في سـن العشرين ولا نستطيع هذا في سن الخمسين .

نابليوني : في سـن الخمسين نفكر بطـريقة مختلفـة تمامـا ، ولديـك الدليل على هذا .

جيرونتا : حقـا . . لأنه ليـس لدي مـا يستدعـي الشكوى منـك . أعـرف هذا فقـد قلتـه لي مـن قبل . فـأنـت نـزيه معـي والنتيجة أن قطعة الأرض التي تتكـرم بها على أخويّ تغل علي أكثـر مما تغـله أراضيهما مجتمعـــة . حقـــا هـذه

معجـزة يا عزيزي نـابليوني! إن المعجزات تصنعها أنت لا أنا وتعرف لماذا تصنعها؟ لأنك تريد العقد ولا تريد أن تفهم أنني لا استطيع أن أمنحه لك.

نابليوني : ولكنني جئت من أجله وسوف أحني هذا الرأس حتى يلامس الأرض لتمنحه لي فلا تغضب لما صارحتك به واعتبر كل ما بـدر عني خطأ في خطـأ وسوف أغير ما بنفسي، وأطرح عليك رأيا آخر لتدرك أني أفكر في عمل طيب. . أنا مريض بالقلب ولن أعمر طويلا ولابد لي من العقد، فإذا كانت الأراضي التي أملكها هي السبب في عدم استحقاقي للعودة إلى الحياة بعد مماتي فإني أقول لك يانا بليوني ـ بوتا كلمة واحدة. إن الأرض سأكتبها باسمك ولا أريد ليرة واحدة في مقابلها وبذا تشفي غليلك من أخويك.

جيرونتا : نابليوني! أأصابك السقم؟ لقد قلت لك ألف مرة أنني لم أقبل مليما من أحد لأنني لا أتاجر بقدرتي. وإياك أن تعيد هذا القول مرة أخرى. أما العقد فلا تستطيع الحصول عليه لأنك وحيد وليس لك أسرة. أفهمت؟ كما أنه ليس لك أصدقاء تعتمد عليهم لأن الجميع يبغضونك، وعندما تموت فإن كل من يعرفونك سوف يحتفلون بهذه المناسبة. إن الأوان لا يفوت أبدا من يريد أن يتعلم القراءة والكتابة ولكنه يفوت من يعجز عن

إصلاح حاله وعن التمتع بحب الناس في الوقت المناسب. لقد كان الناس يذرفون الدمع حول فراش موت ازيدورو، ولم يكن أحد يعرف إن كان عدد الموجودين في الحجرة أكثر أم عدد الواقفين على السلالم أو عدد المجتمعين في الفناء أو في الخارج؟ وكان الجميع يجهشون بالبكاء فتكونت حوله دائرة المحبة لأنهم جميعا كانوا يريدون له الحياة.

نابليوني : (في دفعة صدق مع النفس) لأنه خائب.

جيرونتا : أما أنت ففالح للغاية ولذا تستحق العودة إلى الحياة لتعيد فيها ما صنعت في حياتك الأولى! معنى هذا أن الدنيا تصبح جنة بمعنى الكلمة إذا مات كل الفالحين مثلك ولم يبق فيها إلا الخائبون مثل ازيدورو بشرط أن تموتوا وتبعثوا كما يحلوا لكم. ازيدورو!

ازيدورو : (من الداخل) نعم يا جيرونتا.

جيرونتا : يمكنك الانصراف الآن يا عزيزي نابليوني فالوقت متأخر وأريد الذهاب إلى الفراش.

ازيدورو : أمرك.

نابليوني : إذن انصرف!

جيرونتا : ما كان يجب أن نتبادل ما قلناه .

نابليوني : ولكنني لا أنام . . لا أنام (يخرج)

جيرونتا : ازيدورو! هل تنام الليل؟

ازيدورو : نعم أنام ملء جفني .

جيرونتا : وأنا أيضا أنام ملء جفني ولكن هل تصنع لي معروفا قبل أن أذهب إلى الفراش . .

ازيدورو : تفضل .

جيرونتا : خذ دجاجة (وبإشارة معبرة يـومىء له أن يذبحها) وقل لفورتوناتو عند حضوره في الصباح أن يسلقها .

ازيدورو : فورتوناتو قال إنه سيحضر معه جبنا طازجا .

جيرونتا : دجاجة طازجة وجبنا طـازجا . . هذا لا بأس به . تصبح على خير.

ازيدورو : وأنت من أهله .

يدق جرس التليفون

جيرونتا : آلو . . نعـم أنا ج . س . من يتكلـم؟ منزل تـروتشينا؟ متـى؟ . . منذ سـاعـة . . شيء محزن . . فهمت كـلا ،

كلا . . وما فائدة هذا؟ يكفـي الآن ج . س وستعرفونه بالكامل بعد نصف سـاعة عندما أصل إليكم . ولماذا كل هـذه الأسئلة؟ افعلوا مـا قلت لكم وكفـى (يضع السماعة ويسرع نحـو الأرشيف . المتعاقـدون يسجلون البيانات الدقيقة الخاصـة بهم على شرائط ومعها قائمة بكل ممتلكاتهم . جيرونتا الذي يتقن عمله يبحث بين الشرائط المرتبة في انتظام على شريط يحمـل اسم الحالة التي تعنيه) تـرا . . ترى . . ترو . . ترولينـو . . تروتشينا جـايتانـو . (يضع الشريـط في المسجل ويضغـط على الزر)

صوت الميت : «أنا جـايتانـو تروتشينـا ابن المرحـوم ماتيـو، أبلغ مـن العمـر ستة وخمسين عـاما . متـزوج وزوجتـي تدعـى سلفيا . انجبنـا ابنين هما كارميلوتشو وبـالميرا . بدأت حياتي العملية بالزراعة ثم عملت مقاولا والآن أحظى بوضع اجتماعـي متميز والمنزل الذي أقطـن به ملك لي ويقـع في بلدة مـونتكيو . لقـد عملت كثيرا في حيـاتي ولكني مازلت أشعر بـأني قوي وبصحة جيدة . أشكر لـك يا سيـد جيرونتا مـا ستقوم بـه من أجلي بعـد أن توافيني المنية» .

جيرونتا : (يقفل المسجل) ازيدورو . . هيا بنا!

ازيدورو : إلى أين؟

جيرونتا : إلى مونتيكيو.

ازيدورو : في مثل هذه الساعة؟

جيرونتا : إنه عمل.

يسدل الستـــار

الفصـــل الثـانـــي

بلدة مـونتيكيو على بعد نصف سـاعة من بلدة مـاسة لوبرنتـزي . في منزل تروتشينا . داخل بيت ريفي كبير شبيه ببيـت الفصل الأول ولكنه أكثر اتساعا وامتلاء بالأقواس التقليدية . وبـه سلالم تفضي إلى الطابق الأعلى حيث الشرفة وإلى أسفـل حيـث الأراضي التـي تحف بحقـول العنـب والموالـح والـزيتـون ويتخللها طريق المدخـل الواسع . المكان يغص بالمقتنيات المتنـاثرة التي تجمع بين فساد الذوق البرجوازي وضرورات الحياة التي تفرضها التقاليد الريفية .

منقولات وقطع أثاث رديئة الدهان أطرزتها بين القديمة والحديثة ، وأدوات أخـرى تتراوح بين أدوات للـزينـة رفيعـة المستـوى ومعـدات زراعيـة سهلـة الحمل .

مضت خمس دقائق على خروج جيرونتـا من منزله . ورثة جايتـانو تروتشينا الأربعة : زوجته سيلفيا وابنه البكر كارميلوتشو وابنته بالميرا وابن عمه جاكومينو يجلسون في أماكن متقابلة من الحجرة ، وبعضهم يتفرس البعض الآخر.

توفي رب الأسرة فجأة ومازالت مـائدة الطعام معدة لخمسة أشخاص ، وفي وسطها إناء الشربـة مترعا بحساء المكرونة والفـاصوليا الفاخـرة . سيلفيا تبادر بالكلام بعد لحظة صبر.

سيلفيا : لغز محير! مجموعة مـن الاحتمالات واللااحتمالات المعقدة يستحيل النفـاذ إليها وكلما حاول أحد العثـور على خيط تزداد تعقيدا وغموضا .

جاكومينو : يا سبحان الله! أين ترين هذا اللغز؟ وأين هذه المجموعة من الاحتمالات واللااحتمالات المعقدة المستحيل النفاذ إليها؟ إنك ترين كل شيء أسود لأن المصيبة كانت بحق كبيرة بل وغادرة بالطريقة التي وقعت بها. والتي لم تخطر على بال أحد. يا له من مسكين جايتانو!

(ينهض ويقترب من المائدة) كيف يحدث هذا؟ كنا نتأهب للجلوس على المائدة لنأكل هذه الشربة التي طلبها هو. . . فماذا حدث؟ وماذا لم يحدث؟ لقد قال: أشعر بدوار. . لا استطيع أن أتنفس، سأذهب لأتمدد خمس دقائق على الفراش. . (مشيرا إلى الحجرة المجاورة) ويذهب ليتمدد وإذا به يصبح جثة هامدة. (يضع مغرفتين من الحساء في الطبق ويبدأ في الأكل) موت أشبه باحتراق لمبة فجأة. لقد أصابتك الدهشة والذهول وطبيعي أن ما يحرك لسانك في هذه اللحظة هو الألم.

سيلفيا : من يعزق الأرض كما عزقتها يعرف جحود العاصفة والجفاف (كارميلوتشو يقترب من المائدة ويملأ طبقه ويأكل هوالآخر) الألم ألم ولا مفر من الاحتفاظ به لوضعه في كفة الميزان الأخرى لوزن عائد محصول الموسم الوفير. الألم موجود ويجب الاحتفاظ به حتى يحل اللغز.

جاكومينو : (وهو يعيد ملء طبقه ويواصل الأكل) أنا لا أفهم. بالميرا. . أنت على لحم بطنك. كلي معنا. (بالميرا لن تعطي جوابا. تظل عابسة ومحملقة) لا أفهم سر كلامك عمّا تسميه اللغز (يغرى سيلفيا بالأكل فيقدم لها طبقا ويغمس المغرفة في الحساء) طبق حساء مكرونة وفاصوليا (يصب مغرفة من الحساء في الطبق ويقدمه لها دون أن ينتظر ردا منها).

أنت فتحت الوصية بناء على رغبته (سيلفيا تتناول الطبق وتأكل بحذر) ووجدت فيها ورقة تحمل رغبته بوضوح ودون لبس. . رقم تليفون الصديق ج. س صحيح لأني اتصلت به ورد علي بنفسه وبعد أن علم بالخبر أكد لي أنه سيحضر فورا. فما هو إذن اللغز الذي يجب حله؟

سيلفيا : (تجلس في اعتدال على المائدة وتأكل وتشرب وتخرج ورقة مطوية) الرسالة! هذه الرسالة التي أرفقها بدبوس في آخر ورقة من أوراق الوصية. (تلم آخر ملعقة من الحساء من قاع الطبق وتلتهمها)

كارميلوتشو : (يأكل ويشرب) لماذا لا تطلعينا على ما جاء فيها؟

بالميرا : مادمنا أبناءه يحق لنا أن نعرف كل ما كتبه.

سيلفيا : يحق لك الخزي يا فاجرة. .

بالميرا : نعم أنا فاجرة . . من الأفضل أن أسكت .

كارميلوتشو : أصبت . أفضل لك ألاّ تفتحي فمك (بالميرا تجلس إلى المائدة وتأكل) سأقتلك أفهمت؟ سأقتلك ! ماذا كنت تقولين يا أمي ؟

سيلفيا : الرسالة موجهة إليّ ، والمكتوب فيها لا يخصكم .

جاكومينو : سبحان الله ! إذن اللغز يخصك أنت وحدك (يصب لها النبيذ) اشربي وفي صحتك (يصب النبيذ لنفسه) .

سيلفيا : (بعد أن احتست جرعة كبيرة) اللغز الحقيقي بدأ منذ عامين عندما تغير زوجي بين عشية وضحاها (تشير إلى الغرفة المجاورة) إنه ممدد هناك في رحاب الله وحاش أن أكذب وهو ميت . لقد كان جايتانو يفحش في السباب بل وعندما كان ينطلق لسانه بالسباب كان الناس يغلقون بيوتهم على أنفسهم ليتحاشوا سماعه . وبعد ما أصابه من تغيير أصبح لا يطيق أبسط الشتائم . كان يعرف من النكات أفضحها وأكثرها فجورا ، وكم كان يعرف منها ويحفظها عن ظهر قلب . . الكثير الكثير . . حتى إن الأصدقاء كانوا يتحلقون حول الموائد خصيصا لسماعه دون أن يفلح أحد في مقاطعته لأنه كان يلقيها في سرعة التليفزيون وبين لحظة وأخرى عزف الأصدقاء عنه لإصراره على الكلام عن حياة القديسين فقط . اقطع لي

شريحة من الخبز وناولني هذا الجبن. (كارميلوتشو ينفذ ما طلبته أمه ثم يقوم الجميع الواحد بعد الآخر بتناول الخبز وتقطيع اللحم والجبن) ولا أحد يذكر في هذا البلد أنه شاهده يدخل الكنيسة.

بالميرا : عندما كان يصادف القسيس في الطريق كان يفعل هكذا بيده. (تصنع علامة قرنين بكلتا يديها إيهاء لدرء الحسد وتحاشي الفأل السيء).

سيلفيا : في وجهه! كان يدفع بعلامة القرنين في وجهه!

كارميلوتشو : (مغتبطا) وكم كان يغتاظ سيدنا ماريو!

سيلفيا : وبعد التغير. . من البيت إلى الكنيسة ومن الكنيسة للبيت. . والاعتراف والعشاء الرباني كل أسبوع.

بالميرا : وإذا حلت ساعة الموعظة لا يتخلف عن الاستماع إليها وكل ليلة يذهب طلبا للتبرك.

سيلفيا : كان يقترف كل الرذائل « الخمر والميسر والنساء » وفي موسم الحصاد كانت تجيء خمس عشرة فتاة أو أكثر لمدة أسبوعين أو ثلاثة لجمع الزيتون فكان يذهب إلى الحقل ويدور عليهن الواحدة وراء الأخرى حتى ينالهن جميعا كأنه ديك البداري.

كارميلوتشو : وكان على علاقة أيضا بزوجة الحلاق.

بالميرا : وروزاليا ساقية البار، ألم يكن ينام في فراشها؟

سيلفيا : كنت شابة كالوردة المتفتحة تشع النضارة من وجهي يوم افتتن بأرملة صمويل النجار. فانهالت علي الإهانات، وسوء المعاملة والمبيت خارج البيت، وفتح الجحيم أبوابه وفي النهاية ترك لي ابني صغيرين.. كارميلوتشو في السابعة وبالميرا في الخامسة والنصف وذهب ليعيش مع تلك العاهرة التي لم تكن تستأهل حتى نزع الوسخ من أسفل حذائي. وعشنا منفصلين اثنتي عشرة سنة أنا في جهة وهو في جهة أخرى، وكان يأتي في آخر كل شهر ويقول «كيف حالك؟» ـ «بخير» ـ «والأولاد؟»، ـ «بخير أيضا». وكان يحاسب المزارعين ثم يأخذ النقود ويترك لي مرتب الشهر وينصرف لحاله. وربيت أنا الولد والبنت واهتممت بشئون البيت كأني رجل. ومنذ سنتين حدث التغيير فترك حبيبة القلب وعاد ليستقر في البيت ليغمرنا بمشاعره، ولا أقول إنني غضبت لهذا ولكني كنت قد اعتدت الحرية مدة اثنتي عشرة سنة فلم أطق التجاوب معه لأنه كان يكره الخروج من البيت، وإذا خرج يذهب إلى الكنيسة ليبقى بها مدة نصف ساعة ثم يعود إلى البيت مرة أخرى. إن الزوج هو الرفيق الذي يظل إلى جوار

زوجتـه طول الحيـاة ليبعث نفحـة الحرارة العـائلية التـي تعوزنـا وتخفف عنا عند وقـوع البلاء، ولكنه أيضـا رجل نجده أمامنا في الليل والنهار وفي الصباح والمساء وفي عيد القيامـة وعيد الميـلاد، رجل يريـد كل شيء كما يـروق له دون أن يراعى أن له زوجة في البيت وأنها بدورها تريد كل شيء كان يروق لها. فيصطدم سمعها بعبارات مثل «هذا لا يصلح، وذاك أسـأت صنعه» ولا استطيـع أن أصف لكم كم أصبح مبعثا للضيق بعد تغيره. فدائما كان يقول «ماذا تفعلين؟ . . لا تخرجي، ابقـى إلى جواري. . يجب أن يحب كل منـا الآخر. . » أيحب كـل منا الآخـر في أيام الشيخوخة! . «ليقف كل منا إلى جوار الآخر. أنا وأنت والأولاد. . الأسرة هي أعظـم شيء في الوجـود. . » حتى أصبح لا يطاق.

جاكومينو : إن كل الناس حتى أكثرهم طيشـا يجيء يوم يرجع فيه إلى رشده ويعود إلى بيته.

سيلفيا : ولكني كنـت حرة في غيابه. كنـت آكل عندمـا أريد أن آكل، وأنام عندما أريد أن أنام، وعندما أريد زيارة أحد يسعدني رؤيـاه كنت أزوره، وأتكلـم على راحتي عنـدما يروق لي الكلام.

كارميلوتشو : ودون تشينشو دللا مونيتا المتعهد!

سيلفيا : ولم لا ؟ هل تظنني راهبة؟ دون تشينشو دلـلا مونيتا كان يكـن لي محبة مـن قبل أن أتـزوج جـايتانـو، ولكنه بعـد زواجي فقـد الأمل وتزوج هو الآخـر، وحين بدأ جايتـانو يفقد صـوابه مـن أجل أرملة النجـار وجدتـه إلى جواري دون أن يفكر أبدا في تدنيس فراشي . كان يجيء كصديق مخلص يعينني ويؤنس وحدتي .

بالميرا : كان يحضر لي الكراميلا .

كارميلوتشو : وكان يأخذني إلى البحر لنستحم ونصيد السمك .

سيلفيا : ولم يبخـل علي بـالنصـح ، وكان يفتـح لي صـدره لأبثـه شكـواي وأفرّج عـن أحزاني . كـارميلـوتشو! اذهـب إلى دولاب المطبخ ستجد فيه الجدي المشوي ، فخذه واحضره لأن الجوحار ويمكن أن يتلف . .

كارميلوتشو : (يهز الزجاجة الفارغة) وانتهى النبيذ أيضا .

سيلفيا : زجاجة أخرى ، وإلا لن نستطيع ابتلاع الجدي .

كارميلـوتشو يحمل الجدي إلى المائدة ومعه زجـاجتين من النبيذ بدلا من واحدة .

جاكومينو : أنا لا أرى في التغيير المفـاجيء في سلوك المرحـوم أي لغز كما تعتقدين .

سيلفيا : الأزواج الذيـن خانـوا زوجاتهم بعـدد شعر رؤوسهـم ثم تذكروا أن لهم أسرا وبيـوتا في النهاية ، وبعـد أن أصبحوا كالعـدم لا يهشون ولا ينشـون يزخـر العالم بملايين من أمثالهم. ما مقدار ما وضعت من الفلفل على الجدي؟

كارميلوتشو : اشربي . . فالنبيذ يحلوبه .

سيلفيا : على كل حال أنا كنت انتظـر عودته إلى البيت ولم أدهش لها ولكـن أن ينسى الماضي في غمضـة عين وألا يفكـر في الإساءات والخيانات التي تعرض لها من أحد الأشخاص وأن ينسى الضغينة السوداء التي كان يكنها له وأن ينبري ويقـول . . (ترغـب في الاسترسـال ثـم تستدرك وتقطـع كلامها)فاسمحوا لي . . هذا شيء لا يدخل المخ!

جاكومينو : ينبري ويقول ماذا؟

سيلفيا : لا شيء . . لا شيء . . الجدي لذيذ ونبيذ هذا العام جاء أفضل من نبيذ العام الماضي .

جاكومينو : وأنا سأشرب في صحتك ونخب ذكـرى جايتانو الطيبة، ومستقبل سعيد لهذا البيت (يشرب) .

قالت والدتك إن جايتانـو كان يكن ضغينة سوداء لأحد الأشخاص . . فلنسمع من هو؟

سيلفيا : جاكومينو. . لا تستطيع الادعاء أن العلاقة بينك وبين جايتانو كانت سمنا على عسل حينما جئت هنا منذ عامين. .

جاكومينو : مهلا. . مهلا. . أنا لم أجيء لهذا البيت وإنما جاء جايتانو إلي بنفسه ورجاني وألح في الرجاء لأن أحضر وأعيش معه. قال «سامحني إذا كنت قد تركتك حتى الآن. . إنني نذل خسيس» هذا ما قاله والشهود حاضرون، وقال لي أيضا طيب الله ثراه «لننس الماضي وتعال معي لتعيش في بيتي ولن أجعل شيئا ينقصك». وهذا لا يعني إلا أنه تذكر ساعتها إننا ابنان لأخوين شقيقين وإنني أعيش حياة الكفاف بينما هو يرفل في الثراء والنعيم وإنه بادر ليصلح ما اقترفه من إثم لسنوات طويلة. هذا هو ما دعاني للمجيء إلى هذا البيت.

بالميرا : ومنذ أن حضرت بدأت. . وكلمة اليوم وكلمة غدا. .

سيلفيا : اخرسي أنت يا فاجرة.

كارميلوتشو : كلا، من الأفضل أن تقول الحقيقة. فهذا لا يعقل! ثلث التركة يؤول إلى هذا الرجل! لو لم يستغل ضعف أبي أو ضعف طبعه الغريب، ولو لم يداهنه أكان يكتب هذه الوصية القذرة!

جاكومينو : (ينهض واقفا في هدوء ويخفي سريرته ويرفع كأس النبيذ المترع بيده) كما هو حق أن هذا النبيذ في هذا الكأس وأني ماثل أمامكم على قدمي أقسم لكم لا بحق هذا الميت الراقد هنا وإنما بحق جميع جبانات الدنيا أنني لم أحاول أبدا أن أؤثر على إرادة جايتانو لا بشأن الوصية وحدها، وإنما بشأن أي شيء آخر، وإن كنت كاذبا فليتحول المال الذي سيؤول إليّ بحكم الوصية والذي لن تحرمني منه قوة في العالم إلى رماد في يدي وليصبح هذا النبيذ سما زعافا يصعقني في التو واللحظة. (يشرب النبيذ في نخب الهواء ويحتسي الكأس دفعة واحدة).

كارميلوتشو : إذن صحيح ما قلته من أن جايتانو تروتشينا قد جن وترك لك الملايين؟ يستقطع الملايين من أبنائه..

سيلفيا : ومن زوجته..

كارميلوتشو : نعم، ومن زوجته.. ليعطيها لك أنت الذي حينما كان يتردد اسمك أمامه قبل سنتين كان يبصق ويهرش جسمه من أوله لآخره خوفا من حسدك. افعل ما شئت ولكنك لن تحصل على مليم واحد. سألجأ إلى القانون وأرفع دعوى لأثبت أن الميت كان سفيها وأوقف هذه الوصية لتبدأ قضية تدوم مائة وخمسين عاما فلا ترى أنت أو أبناؤك، أو أبناء أبنائك مليما واحدا! (يصب النبيذ ويحتسيه هو الآخر دفعة واحدة).

جاكومينو : لن ترفع الدعوى ولن تستطيع رفعها لأن الوصية مكتوبة بمهارة فنية . ولكن ماذا فعل المسكين الراقد هناك ليجيد كتابة الوصية بشكل لا يفضله آخر؟ الثلث للزوجة ولا يمسه أحد والثلث الثاني للابنين وعائده للأم ولا يمسه أحد أيضا والثلث الآخر وهو الجزء الحر المرهون بإرادة الموصى . .

كارميلوتشو : لا يمسه أحد أيضا لأني سأرفع الدعوى .

جاكومينو : سأمسه أنا لأن الجزء الحر له الحق في توريثه لمن يشاء .

باليرا : وورثه لك . .

جاكومينو : ولو كان ورثه لأحد غيري ألم يكن يعني نفس الشيء بالنسبة لكم . الأفضل إذن أن يورثه لي فأنا واحد من أفراد العائلة ، هذا ما راعاه المرحوم خاصة بعد أن عرف حقيقة شعوري من خلال تعامله معي مدة سنتين فتعلق بي وأراد أن يصبغ علي النعمة .

سيلفيا : إذا لم أتكلم سأموت كمدا ، يسبغ النعمة على من؟ عليك أنت؟ اسمع يا جاكومينو . هذه رسالة لي وهي تبين من جانب أنه ليس لك يد في قراره في تقسيم الوصية ومن جانب آخر أن رأيه فيك لم يتغير عن سابق عهده حتى

آخر لحظة في حياته. لم يكـن يستطيع أن «يهضمك» ولو كان بيده أن يـدفنك لدفنك، وهـاهي الرسالـة فاسمع. (تقرأ) «عزيزتي الغالية سيلفيـا لا تؤاخذيني إذا كنت قد رحلت عن الدنيـا بهذه السرعـة و لكـن لا يشغلنك موتي هذا لأنه موت زائف كما أرجو ألا تغتمي لتركي الجزء الحر من التركة للوغد جاكومينو. لقد فعلت هذا من أجل مصلحـة مـؤقتـة، ولكن اطمئنـي فـالخيـول ستعـود إلى اسطبلاتها والقمـح إلى صوامعه. قبـلاتي لك ولوالـدينا. وإلى اللقاء قريبا. زوجـك المحب قبل الموت وأثناء الموت وبعد الموت. جايتانو تروتشينا».

بالميرا : الموت رحيل زائف؟

كارميلوتشو : «زوجك المحب قبل الموت وأثناء الموت وبعد الموت»؟

سيلفيا : هذه الرسالة هي الدليـل على أن جايتانو أصيب بالجنون منذ سنتين وهذا هو سر تغيره.

كارميلوتشو : وبها يجد المحامي في يده الـدليل على أن أبي كان سفيها، ويرفع الدعوى القانونية لإبطال الوصية.

جاكومينو : قلت لك إن شيئا من هذا لن يحدث على الإطلاق!

كارميلوتشو : ولماذا؟

جاكومينو : لأن جايتانو تروتشينا كان بكـامل قواه العقلية قبل وبعد التغيير، والدليل على هذا أنه وصفنـي بالوغد بعد التغيير كما كان يصفني به من قبل.

كارميلوتشو : وإذا لم يكن قد فقد قواه العقلية وكان يصفك بالوغد قبل وبعد التغيير فكيف يهبك الجزء الحر من التركة؟ هل هذا يعني أنه سفيه أم لا؟

جاكومينو : ليس سفيها لأن كلمة وغد لم يكن يطلقها عليّ على سبيل الإهانـة كما تدعـي وإنما كان يـوجهها لي بـدافع حبـه لي وصلة القرابة التي تجمعنا. . كان يقولها ليداعبني.

كارميلوتشو : قم من مكانك حتى لا أقذف بالطبق في وجهك احتراما للمرحوم الراقد هناك!

سيلفيا : انتظر يا كارميلوتشو. . إذا كـان جايتانو سفيها كما تقول فإن غرابة الرسالة تصبح مفهومة، وإذا لم يكن سفيها كما يقول هو فإن غرابة الرسـالة تظل كما هي ويبقى صحيحا مـا قلته وهـو أن هناك مجمـوعـة معقدة مـن الاحتمالات واللااحتمالات وأن في الموضوع لغـزا. « الخيول ستعود إلى اسطبلاتها والقمـح إلى صوامعه»، «إلى اللقاء قـريبا. . » فماذا سيفعل؟ هـل يعود هـو إلى الحياة ليعيـد الخيول إلى اسطبلاتها والقمح إلى صوامعه»؟

كارميلوتشو : لحظة واحدة! لقد زالت الغشاوة عن عقلي وانجلى اللغز الغامض الذي دوخنا السبع دوخات، وأصبح واضحا وضوح الزجاج النقي. . جايتانو تروتشيا لم يمت!

بالميرا : ماذا دهاك؟

سيلفيا : لقد جننت أنت أيضا يا حبيبي!

كارميلوتشو : لا، لم يمت وبعد قليل وحين يحضر مفتش الصحة ليعد شهادة الوفاة سترون الدليل على صحة قولي. آه منك يا جايتانو تروتشينا إن عقلك حاد الذكاء، ولكن العقل الذي منحته لابنك كارميلوتشو أحدّ ذكاء لأنه أكثر منك شبابا. ماهو المرض الذي كان يعاني منه؟ لا مرض على الإطلاق وأي أعراض خبيثة ظهرت على جسده ليفطن أهله أن أجله قد حان. الأكل جاهز وشربة المكرونة والفاصوليا على المائدة. . ثم دوار في الرأس وبعدها لا حياة لمن تنادي. أهذا شيء يدخل العقل؟

سيلفيا : أنت واهم يا بني، فجايتانو يرقد على الفراش الذي سجيته عليه أنا بنفسي وقد خلعت عنه البدلة الجديدة التي أحضرها له الترزي أمس والتي أصر على ارتدائها في الصباح ووضعتها جانبا وألبسته قميصا متواضعا بدلا من القميص الحريري لأنه بالطبع ليس ذاهبا لحفل رقص. وخلعت عنه أيضا الساعة الذهبية وسلسلة اليد وسلسلة

الصدر التي كان يضعها في رقبته ويزينها بميداليات القديسين وأيضا الخاتمين الماسين . . فلو كان جايتانوحيا أكان يتركني أخلع الخاتمين الماسين؟

كارميلوتشو : فعل هذا بالذات لكي نصدقه فقد قال في نفسه ترى كيف تتصرف أسرتي بعد موتي؟ وأنتم تعرفون أكثر مني أنه يشك بطبعه في الناس جميعا وأنه وضع في رأسه أن أهل بيته منافقون كباقي الناس .

سيلفيا : ولكنه كان شديد الغيرة على مقتنياته . . لقد كان يقفل على كل شيء يخصه ويحمل سلسلة ضخمة من المفاتيح في جيب بنطلونه ، والويل لمن كان يجرؤ على لمسها . وبعد أن سجيته على الفراش كما يسجى كل مسيحي مؤمن عقدت يديه على مقدمة جوفه علامة على الصلاة ورسمت علامة الصليب ثلاث مرات وتناولت المفاتيح ، وفتحت الدواليب وجمعت أنا وبالميرا كل ما كان فيها وحملناه إلى حجرتي حتى البندقية لم نتركها لأن نوافذ غرفته يجب أن تظل مفتوحة طول الليل ونحن في الريف لا نعرف عدونا من حبيبنا . فلو كان جايتانو حيا كما تقول ورآني أفتح الدواليب أما كان لينهض من الفراش ويغرقني في دمي؟

كارميلوتشو : خطة الخدعة التي حبكها أبعد مما يصل إليه تفكيرنا.
كيف سجيته على السرير؟

سيلفيا : (تنهض وتتجه نحو جاكومينو لتستعين به في تقليد ما فعلته مع زوجها في فراش الموت) هكذا . . لا تؤاخذني يا جاكومينو . . أرحت رأسه هكذا وعقدت يديه على هذا النحو ورسمت علامة الصليب ثلاث مرات .

كارميلوتشو : (إلى باليرا) اذهبي لترى إن كان لا يزال على هذا الوضع .

باليرا : سأفتح الحجرة وأطل عليها فقط .

كارميلوتشو : وأضيئي النور.

تخرج الفتاة وعيناها ثابتتان على الحجرة. الثلاثة ينتظرون على أحر من الجمر. بعد قليل يشتعل النور في الحجرة ويعكس أشعته عليهم .

باليرا : (تعود مرتاعة) أماه . . أقلت إنه كان راقدا كهذا؟ (تقلد الوضع الذي وصفته أمها بمعاونة جاكومينو) الآن أصبح هكذا . (تقلد على عجل وصفا تقريبيا يصور بقدر المستطاع جسد إنسان مقلوب على أحد جانبيه وأحد ذراعيه على صدره والآخر متدلي من الفراش .

سيلفيا : أوه . . أيتها العذراء!

جاكومينو : يا إلهي!

كارميلوتشو : هس . . اسكتوا! ماذا قلت لكم؟

ينهمك الأربعة في الهمهمة بصوت منخفض، ويهمسون بكلمات غير واضحة المعالم ليست سوى إعادة لما سبق أن أكدوه أو افترضوه بصوت مرتفع قبل قليل بشأن «الحي الميت» الراقد على قيد خطوات منهم. تبلغ المهمهمة مداها ثم تنخفض رويدا وتنتهي في آخر الأمر بإيماءات وإشارات يجب أن تكون غريبة ومضحكة تعبر عن كربهم وبؤسهم.

سيلفيا : (تتغلب على ارتباكها وتنطوي على نفسها متجاهلة الآخرين ومبتعدة عنهم. تندمج في القيام بالدور المأساوي للمرأة المكلومة) جايتانو. . جايتانو. . ما أقبح البيت بدونك! لمن تترك حبيبتك سيلفيا! (تدلف من باب الحجرة المجاورة وتختفي فيها، يصل صوتها من داخلها) يا لخسارتي فيك يا زينة الرجال! يا للمصيبة التي حلت على رأس ابني! (تواصل البكاء والنحيب).

بالميرا : (تسترق النظر إلى كارميلوتشو وجاكومينو اللذين يتأهبان لاقتفاء أثر سيلفيا، فتنبرى قبلهما صارخة) أبي. . أبي! هاتو لي أبي! . . (تلحق بأمها).

كارميلوتشو : أنا هنا يا أبي . . حبيبك كـار ميلوتشو! (يخرج جريا وراء بالميرا) .

جاكومينو : لا يهمنـي المال . . لا أريد الميراث . . أريـد ولي نعمتـي (يسرع هو الآخر ليدلف مـن باب الحجرة . جرس الباب يدق مـرتين متواصلتين ثـم مرة ثالثـة . عند سماع الـدقة الأخيرة يعود جاكومينو، ويـذهب إلى الشرفة ويطل منها قائلا) من؟

صوت من الداخل : مفتش الصحة .

جاكومينو : سأضيء النور (يضغط على زر الكهرباء)

كارميلوتشو : (يدخل) من هذا؟

جاكومينو : مفتش الصحة ومعه رجلان .

كارميلوتشو : ربما كانا الشاهدين . .

جاكومينو : وهل يحتاج استخراج شهادة وفاة إلى شاهدين؟ (يوجه الكلام نحو مدخل سور البيت) من هذان السيدان؟

مفتش الصحة : (يسمع صوته من الداخل) لا أعرفهما .

جيرونتا : (كالسابق) اتصلتم بي أنتم . أنا ج . س .

جاكومينو : آه . . فهمت . تركت الباب مفتوحا خصيصا لك .

جيرونتا : شكرا .

جاكومينو : على يدك اليمنى باب صغير مفتوح أيضا . . ادفعه وادخل .

مفتش الصحة : (كالسابق) ألن تطفىء النور؟

جاكومينو : قد يلزمكم .

مفتش الصحة : كلا يمكنك أن تطفئه .

جاكومينو : (يضغط على زر النور ويطفئه) سأفتح باب البيت (يتجه نحو الباب)

كارميلوتشو : واحد مفتش الصحة ، والثاني ج . س المذكور في الوصية فمن يكون الثالث؟

جاكومينو : سنعرف الآن . (يخرج)

بالميرا : (مطلة برأسها من باب الحجرة المجاورة) إنه لا يتحرك يا كارميلوتشو.

كارميلوتشو : من؟

بالميرا : أبي .

كارميلوتشو : إذا كان لا يتحرك فمعنى هذا أنه يفضل هذا الوضع على الوضع السابق. وعلى أية حالة حضر مفتش الصحة وسيخبرنا إن كان يخدعنا أم لا ؟ وإذا اتضح أنه يخدعنا فسأثخن وجهه لطما فور نهوضه من على الفراش دون اعتبار إلى أنه أبي. ادخلي. (يدفع أخته أمامه بغلظة ويخرج معها)

جاكومينو : (ووراءه مفتش الصحة وجيرونتا وازيدورو) تفضلوا. .

مفتش الصحة : هل أنت أحد أفراد العائلة؟

جاكومينو : يمكن القول إنني ابن عم الميت.

مفتش الصحة : ولماذا «يمكن القول» ؟

جاكومينو : لأن موته كان مفاجأة بنحو لا يكاد يقول المرء معه «مات جايتانو» حتى يجد من يقول له «أتريد أن ترى أنه لم يمت؟»

مفتش الصحة : إن أعظم عقاب لإنسان هو أن يعمل في بلد مثل بلدكم، وأن يتعامل مع أناس مثلكم. الخلاصة. . هل مات ابن عمك أم لا ؟

جاكومينو : كأني أنا مفتش الصحة . . إن معـرفة إذا كان قد مات أو لم يمت أمر يخصك أنت . سـأطلب من زوجته وابنيه أن يخرجوا لتدخـل، وتقوم بالكشف عليـه بنفسك . (يطل على الحجرة المجاورة) اخرجوا ليدخل مفتش الصحة .

(تتقدم الأم مستندة إلى ابنها وابنتها اللذين يبكيان ويقف الثلاثة في مكان وحدهم) .

مفتش الصحة : مساء الخير.

جيرونتا : مساء الخير.

سيلفيا : (تنتحب) هيء . . هيء . .

كارميلوتشو : هيء . . هيء . .

بالميرا : هىء . . هيء . .

جاكومينو : (إلى مفتش الصحة) إذا أردت الدخول تفضل .

مفتش الصحة : متى وقعت الفاجعة؟

جاكومينو : حوالي الثامنة إلاربعا .

مفتش الصحة : هل لـديكم إثبـات شخصية للمتـوفى؟ بطاقـة شخصية مثلا .

جاكومينو : رخصة حمل سلاح . (يقدم الرخصة التي يجدها في متناول يده لمفتش الصحة) هل آتي معك؟

مفتش الصحة : لا. . لا لزوم. (يدخل الحجرة).

جاكومينو : لابد أنك جئت لرؤية صديقك يا سيد ج. س. . تفضل.

جيرونتا : لا. . لا داعي. . من استدعى مفتش الصحة؟

جاكومينو : أنا. . فالقانون يحتم إبلاغه. فبعد أن انتهيت من مكالمتك اتصلت به ثم ذهبت لإبلاغ القسيس.

جيرونتا : وهل حضر القسيس؟

جاكومينو : كلا، لم يحضر، ولم يستطع إرسال بدلة الهيكل أو الشمعدانات فقد ماتت للأسف الشديد جدة قصاب الخنزير في نفس اليوم.

جيرونتا : ميتان في يوم واحد.

جاكومينو : عندما علم القسيس أخذ يصيح «أين لي ببدلتي هياكل لميتين؟». . واحتراما للمرأة أعطى الأولوية للجدة وأرسل إليها بدلة الهيكل وأربعة شمعدانات أما نحن فسندبر أمرنا حسب ما يقوله مفتش الصحة عند خروجه. وإذا كانت هناك حاجة إلى الشموع سوف نشتريها في الصباح مع الورد.

جيرونتا : لا فائدة منها لأنكم لن تحتاجوا إليها.

جاكومينو : مــاذا تقــول؟ أهــذا مجال للمــزاح؟ سينتشر الخبر في الفجر . . وستبـدأ وفود المعـزيين في الحضور لتلقـي عليه النظرة الأخيرة فبـأي وجه نلقـاهم؟ (إلى سيلفيـا) السيد ج . س المذكور في الوصية .

سيلفيا : أكنت صديقا لزوجي؟

جيرونتا : ومازلت و سأظل صديقا له في المستقبل أيضا .

سيلفيا : شكرا لك . هذا كرم جميل منك .

جيرونتا : ماذا أصابه من مرض؟

سيلفيا : لا شيء . . لم يعـان في حيـاتي مـن أي مـرض ولم يمسـه طبيب طول حيـاته ، ودون أية مبالغة كـان يتمتع بصحة من حديد .

جيرونتا : هل شعر بالتعب فجأة؟

سيلفيا : كنا نتأهب للجلـوس على المائدة لنتناول الطعام ولا شيء غير هذا .

جيرونتا : ألم يأكل؟

سيلفيا : بلى . . بل لم يحتس جرعة ماء .

جيرونتا : مادام لم يأكل فسينهض مفتـــوح الشهية . أليس كذلك يا ازيدورو؟

ازيدورو : بالتأكيد. لقد نهضت أنا بشهية . . . (الحيرة تستبد بأفراد الأسرة الأربعة فيتبادلون النظرات مستفسرين)

جيرونتا : وسأشاركه الطعام فآكل معه صنفا أو صنفين. مؤكد أن البيت لن يخلو من الطعام.

سيلفيا : هناك شربة المكرونة والفاصوليا. . وهناك أيضاً الجدي.

جيرونتا : هكذا نناقش على الطعام موضوع الأرض التي كان يريد أن يشتريها، فقد علمت أن صاحبها يسعى إلى بيعها.

ازيدورو : الأرض التي تصل إليها إذا عبرت باركو رومانيكو؟

جيرونتا : بالضبط.

ازيدورو : إنها أرض طيبة للغاية.

سيلفيا : لا تؤاخذني ولكن من أنت وما اسمك؟

جيرونتا : يمكنك أن تسميني الآن ج. س. أما اسمي الحقيقي فسيطلعك عليه زوجك فيما بعد.

مفتش الصحة : (عائدا) أنا ذاهب.

جاكومينو : (في اهتمام) كيف حاله؟

مفتش الصحة : من؟

جاكومينو : ابن عمي . . جايتانو تروتشينا ، هل ينهض؟

مفتش الصحة : هل مسك الجنون؟ جايتانو تروتشينا سينهض به غدا أربعة رجال ويحملونه إلى الجبانة . لقد أصيب بغيبوبة أو كما يسمونها اليوم سكتة قلبية . وهذه شهادة الوفاة . (يقدم الشهادة لجاكومينو) أخلص التعازي وتصبحون على خير . أين باب الخروج؟

جاكومينو : هناك .

مفتش الصحة : أترككم في رعاية الله (يخرج)

جاكومينو : (إلى سيلفيا) لم يعد هناك أدنى شك . لقد مات جايتانو ولا أحد يستطيع عمل شيء له . عشاء ماذا ، وشراء أرض ماذا؟ (إلى جيرونتا) إذا أردت أن تودع صديقك فتفضل الق عليه النظرة الأخيرة .

جيرونتا : لسنا في حاجة إلى وداعه فسوف أكلمه بعد قليل .

جاكومينو : أتريد أن تكلم ميتا؟

جيرونتا : سأكلمه أنا وستكلمه أنت وستكلمه زوجته وابناه عندما تصل إلى قلبه صيحتي المفعمة بمشاعر الحب التي تربطه بأسرته . فبعد سنوات من المرارة والآلام والإحباط نتيجة

عدم إيمانـه بأصالة وصـدق الدفـء العائلي لما انتابـه من شك في مشـاعر ابنيه وزوجته فقـد استسلم للأزمـة كأي كـائن بشري ولجأ إلى الغيبـوبـة بمحـض إرادتـه . فـإن صحت شكوكـه فستصبح غيبوبته غيبـوبة دائمة وإن لم تصح فتستصبـح غيبوبة مؤقتـة ليس إلا. وأنا أومـن بأن صيحتي ستكون كافية لإعادتـه إلى كنف أسرته ممتلئاً ثقة وسعادة .

ازيدورو : سيقفز مـن الفراش، وسيـأتي إلى هنا وتـرونه كـالفراشـة ويغـرق في الضحـك والبكاء مـن الفـرح كما ضحكـت وبكيت أنا حين نهضت من فراش الموت .

بالميرا : انتظروا . . لقـد عرفـت هذا السيد . . إنـه الرجـل الذي يحيي الموتى، فمنذ فترة ظهـرت صورته في الصحف وإلى جواره صورة الميت الذي أعاده إلى الحياة واعتقد أنه السيد الواقف معه . هل اسمك ازيدورو؟

ازيدورو : بالضبط .

جيرونتا : مادمتم قد تعرفتم على شخصيتي فلم يعد هناك ما يدعو لإخفاء اسمي . أنا جيرونتا سبتـزيو. وسأبدأ العمل على الفور حتى لا يضيع الوقت . الميت في الحجرة؟

أهل البيت : نعم .

جيرونتا : ضعـوا عيونكـم على هـذا البـاب وانتبهوا جيـدا (يحدق بعينيه الملهمتين إلى أعلى ويصيح بصوت مدوي) جايتانو تروتشينا!

سيلفيا : انتظر لحظة يا سيد سبتزيو.

جيرونتا : ماذا جرى؟

سيلفيا : هـذا ما نـريد أن نسـألك نحـن عنه. مـاذا جرى ومـاذا تفعل؟

جيرونتا : اعتقد أننا قلنا. .

ازيدورو : إذا كنت تريدين أن يعود زوجـك إلى الحياة فدعيه يعمل ولا تقاطعيه.

جيرونتا : أتحبين أن تعانقي زوجك مرة أخرى؟

سيلفيا : هيه. . آه. . طبيعي، طبيعي، ومن لا يسعدها هذا؟

جيرونتا : وكذلـك ابناه وأقاربـه. إذن دعونـا لا نضيع الوقـت بل وصيحـوا أنتـم معـي لتكتمـل الـدائرة. . جـايتـانـو تروتشينا!

سيلفيا : لا تصح من فضلك. . كيف أشرح لك الأمر؟!

جيرونتا : أتريد أن نحيي الرجل أم لا؟

سيلفيا : ولكنه لو خرج حقا من هذه الحجرة وراح يرقص فإن هذا سيكون صدمة للعائلة. إننا لم نعرف هذا الخبر إلا في هذه اللحظة، ونريد أن نتأكد إن كان ما تقول يناسبنا أم لا. هل نستطيع أن نتكلم خمس دقائق عن معجزتك؟

جيرونتا : أنا لا أصنع المعجزات.

بالميرا : هذا ما كتبته الصحف.

جيرونتا : كتبته في باديء الأمر ثم قمت بتكذيب الخبر. وعليكم أن تعلموا أني أعدت ازيدورو هذا إلى الحياة لأن جميع المحيطين به وأنا واحد منهم كنا نكن له كل الحب والمودة ولكني كما أرى أجد فيكم بعض التردد والشد والرّخو مما يجعلني مكتوف الأيدي. فأصدقيني القول يا سيدتي لأني يجب أن أعرف الحقيقة.. ألم يحزنك رحيل زوجك؟

سيلفيا : إن من عزق الأرض مثلي يعرف جحود العواصف والجفاف.

جاكومينو : يا إلهي! لماذا تريد الوقوف في وجه الطبيعة؟.. إننا نعرف منذ الأزل أن الموت هو الموت وأن أحدا لم يفلت منه أبدا. ولقد مات جايتانو وانتقل إلى الأمجاد السماوية والليل شاهد على هذا، فبأي حق تأتي أنت وتقول لأسرته التي استسلمت للحزن وأعدت نفسها لإقامة جنازته غدا

أنك ستعيد إليـه الحياة وستجعله يأكـل ويشرب. وبأي حق يقول صاحبنا هذا إنـه سيجعله يرقص.. إن أرملته حية تـرزق وهي التي يحق لها أن تـوافق أن لا تـوافق على إقامة هـذا السرك. أما أنا فرأيي أن هذا حـرام ولا يرضى به الديـن وحين يحضر دون ماريو القسيس لا اعتقـد أنه سيسمح لك بالقيام بلعبة كهذه.

جيرونتا : جئت إلى هنـا لأوفي بالالتزام الـذي قطعته على نفسي في العقد.

سيلفيا : أي عقد؟

جيرونتا : العقد الأخـلاقي الـذي طلب منـي زوجك منـذ سنتين بمحـض إرادته أن أوقعـه معـه وتعهدت بمقتضـاه دون طمع في كسـب أن أعيده إلى الحيـاة فور مـوته. وهـا هو العقد وأنت تعرفين توقيع زوجك.

سيلفيا : (تتحقق من التوقيع) يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي..

جيرونتا : (يشير إلى جـاكومينـو) حق المجـيء إلى هنا ــ إذا أراد أن يعرف ردي ــ أعطاه لي جايتانـو تروتشينا نفسه بمـوجب هذا العقـد وتوقيع كلينا عليـه. وفوق هذا سلمنـي هذه الرسـالة (يفضهـا ويقرأ) عـزيزتي سيلفيـا. أود أن تعرفي وكذلـك أن يعرف ابنـي كارميلوتشـو وابنتي بـالميرا أنني

طلبت من السيد جيرونتا سبتزيو أن يتوجه إلى بيتي عقب وفاتي ليعيـد إلي الحياة، والسيد جيرونتـا لم يقبل أيـة نقود مقابل أتعابه ولن يقبلهـا أيضا بعد إنجازه لعمله، وبعد أن أقـوم من فـراش الموت سنـذهـب إلى البحر وسنقيـم المآدب عشرة أيام ليـل نهار فنأكـل ونشرب وفي مقدمتنـا الصـديق جيرونتـا سبتزيـو ثم أنـا وأنت وكـارميلوتشـو وبالميرا. زوجك جايتانو تروتشينا.

جاكومينو : لم يذكر اسمي.

كارميلوتشو : ذكرك في الرسالة الأخرى التي وجهها إلى أمي.

سيلفيا : التي قـال فيها إنك وغد. و إنـك لوغد بحـق لأن الفرح ملأ قلبـك عندما وقّع مفتـش الصحة شهادة الـوفاة. . وحين قال هو إنه جاء ليعيده إلى الحياة أكلك الغيظ.

كارميلوتشو : هذا ما جعله يفتي ويقول حرام إلى آخر فتاويه.

جاكومينو : أنـا بحت بها أمـلاه علي قلبي، واعتقـد أن من حقـي أن أتكلم فأنا وجايتانو ابنـان لأخوين شقيقين واسم عائلتنا واحد.

بالميرا : وترك لك في الوصية النصيب غير المشروط.

كارميلوتشو : ثلث التركة.

سيلفيا : ولكن الخيول ستعود إلى اسطبلاتها والقمح إلى صوامعه. ألم يقل إن أرملتـه هي صاحبـة الحق في اتخاذ القرار؟ إذن سأقرر أنا. يا سيد سبتزيو أجب على سؤالي برد واحد. . هل أنت واثق من نجاح المحاولة؟

جيرونتا : إذا ساعدتموني فسأعيده إلى الحياة في خمس دقائق.

جاكومينو : سـوف أخـرج وانتظر هنـاك. (يشير إلى الشرفة) فأنا لا أريد أن أبقى هنا. وإذا اعدتموه إلى الحياة. . .

كارميلوتشو : تخسر الميراث وتعود إلى الشارع مرة أخرى.

جاكومينو : لا، لن أخسر شيئـا لأن القضية التي كنـت سترفعها علي أنـت سأرفعهـا أنـا على جايتـانـو نفسه فـالـوصية التـي فتحتموها هناك نسخة منها عند المحامي وما هو مكتوب مكتوب. فإذا عـاد إلى الحياة فعليه أن ينفذ مـا أراده قبل وفاته وإلا فأين جدّية الميت؟ (يذهب إلى الشرفة)!

سيلفيا : ارفع القضية. . ارفعها!

جيرونتا : لا يستطيع رفعها فبعودة جايتانو إلى الحياة تصبح الوصية كأن لم تكن.

سيلفيا : هذا ما يجب أن يكون.

جيرونتا : هل أنتم مستعدون؟

سيلفيا : أيجب العمل فورا؟

جيرونتا : كلا . . أمامنا بعض الوقت .

سيلفيا : أريد أن أرتب حجرة جايتانو فقد سرت فيها الفوضى .

جيرونتا : لا عليك . . يمكنك أن ترتبيها فيما بعد فلن يخفى عليه أنكم تعرضتم للحظة ارتباك واضطراب .

سيلفيا : إذا نهض ورأى الدواليب مفتوحة وملابسه ومقتنياته في غير أماكنها فسينقلب الفرح إلى ضرب وركل بحكم طبعه . سأذهب أنا وبالميرا إلى حجرتي واذهب أنت يا كارميلوتشو إلى حقل الليمون . . الصف الثالث لا الثاني .

كارميلوتشو : حاضر (يتناول فأسا ويهرول إلى الخارج) .

سيلفيا : كنا سنترك الليلة جميع النوافذ مفتوحة لذا جمعت حاجياته ووضعتها في حجرتي . فهي هناك في أمان . ولما كان من المفروض أيضا أن نقيم الجنازة غدا ـ وأنت تعرف ما يعنيه هذا من دخول كثير من الناس البيت دون أن تعرف الصالح من الطالح منهم ـ فقد خبأت الفضيات والنقود . .

جيرونتا : أحسنت صنعا .

سيلفيا : تعالي يا بالميرا.

بالميرا : حاضر.

ازيدورو : ألا تلزمك مساعدة؟

سيلفيا : الحق أنها تلزمني فالواقع كلها أشياء ثقيلة.. غير الحقائب والربط (تتجه نحو السلم ووراءها بالميرا وازيدورو)

(جاكومينو يتقدم وعيناه تحدقان في السلم)

جيرونتا : (بعد وقفة قصيرة) يؤسفني ما سيحدث لك ولكني لا استطيع إلا أن أفي بتعهدي لابن عمك.

جاكومينو : تصرف بما يمليه عليك ضميرك وسأفعل أنا نفس الشيء.

جيرونتا : في الدقائق العشر التي مكثتها هنا أدركت أنك الإنسان الوحيد النظيف فيهم.

جاكومينو : ولكن ماداموا يحاولون حرق دمي فسأصبح أقذر منهم جميعا.

جيرونتا : الجوع وبال عظيم.

جاكومينو : وقد عانيت منه الكثير في حياتي البائسة.

جيرونتا : أود أن أساعدك .

جاكومينو : المساعدة الوحيدة التي يمكن أن تقدمها لي هي أن تغادر هذا البيت وتترك كل شيء على حاله .

جيرونتا : ماذا تقصد؟

جاكومينو : الميت له حرمته ولا يجب أن يمس .

جيرونتا : كلا آسف ، لقد قلت لك من قبل إنه يجب أن أفي بتعهدي لابن عمك .

جاكومينو : ولنفرض أن محاولتك نجحت ، فستفي أنت بتعهدك له وسأعود أنا مرة أخرى للشارع . مزق العقد واحرق التعهد . وسأكتب لك تعهدا بالتنازل عن نصف نصيبي من الميراث .

جيرونتا : لماذا تحاول يا أخي أن تجرحني؟ إن الدم الذي ستراه ينزف من قلبي حين تشطره بسلاح الرشوة هو دمك أنت يا أخي . إنني أقدم خدماتي بالمجان فلم أقبل مليما واحدا من جايتانو قبل وفاته ولن أقبل مليما واحدا أيضا بعد مماته . إن مشكلتك لا يمكن أن تحلها بالمال .

جاكومينو : وماذا لو نجحت فعلتك؟

جيرونتا : سواء نجحت أم لا فأنت مصيرك الشارع .

جاكومينو : وكيف يكون هذا؟

جيرونتا : عودة جايتانو إلى الحياة لا يجب أن تقلقك فأنا كفيل بالكلام معه وتوضيح موقفك. كما أن فرحته بالحياة ستجعله كريما معك. أما مشكلتك الكبرى فهي أن يظل ميتا، فأنا عرفت يا صديقي نوايا الورثة. إن هؤلاء الناس لن يفرطوا بسهولة في النصيب غير المشروط الذي تركه لك، وسيرفعون عليك القضية.

جاكومينو : لقد قالوا هذا وأكدوه. كارميلو تشو بوقاحة، وسيرفعون قضية الحجز ويوقفون كل شيء.

جيرونتا : سيطعنون في الوصية.

جاكومينو : سفلة، سفلة.. ولكني لم أقف مكتوف الأيدي.

جيرونتا : وماذا ستفعل؟

جاكومينو : سأوكل محامي.

(تدخل سيلفيا. تتبعها بالميرا وازيدورو. الثلاثة يحملون لفائف ومجموعة من الملابس الداخلية، وبدلة وقميص من الحرير وحقيبة ضخمة وبندقية).

سيلفيا : لابد من الرجوع مرة أخرى.

بالميرا : ما أثقل هذه البندقية!

ازيدورو : وهذه الحقيبة.. فما بالنا بالحقيبة الأخرى الأكبر!

سيلفيا : ضعي البندقية في مكانها فمازال مسمارها في الحائط (تخرج ويتبعها الآخران)

جيرونتا : توكل محامي؟ ما أسهل القول. أولا المحامي سيطلب منك مقدما ضخما فهل لديك النقود؟

جاكومينو : ولا مليم واحد.

جيرونتا : حسن.. سأعطيك أنا مقدم المحامي.

جاكومينو : حقا تقول؟

جيرونتا : يمكنك أن تطلب مني ما تشاء.

جاكومينو : وسأرده لك عن آخر مليم.

جيرونتا : لماذا تسيء إليّ؟

جاكومينو : لم؟ ماذا بدر مني؟

جيرونتا : من قبل جرحتني والآن تهوي على وجهي بصفعة.

جاكومينو : أنا؟

جيرونتا : ولكني أصفح عنك لأنك لم تقصد الإساءة عن عمد. كم من أذى ألحقوا بك يا أخي، وكم اهتز قلبك وملأه الشك في عمل الخير للظلم الذي غرسه في الأرض منذ الأزل جشع الجشعين، وظلم الظالمين. . يا أخي الحبيب، أنا لم أقل إني سأقرضك النقود وإنما قلت سأعطيها لك، . فلم لا تصدقني.

جاكومينو : لا تغضب مني يا أخي. . فأنا أكاد أبكي، بل أنا أصدقك، وسيزداد تصديقي يقينا حين تقدم لي النقود.

جيرونتا : من الآن إذا شئت فهل تريدها فورا؟ سأعطيها لك، ولكن أتعرف ماذا يعني رفع قضية مدنية لخلاف على وصية؟ يعني تأجيل وتأجيل وتأجيل ومعارضة واستئناف وطعن في الاستئناف ونقض وإبرام. . وتمر عشرات و عشرات من السنين. . خمسون أو ستون أو سبعون أو ثمانون سنة، وعندما يبتون في القضية في آخر الأمر وتخسرها وأنت ستخسرها بدون شك ستصل المصاريف إلى أرقام فلكية وستعجز عن دفعها، ويلقون بك في السجن.

جاكومينو : ألم تقل إنك ستعطيني النقود؟

جيرونتا : بكل تأكيد، ولكن ماذا يحدث لو وافتني المنية أثناء نظر القضية؟ من يعيد إلي الحياة لأدفع لك مصاريف القضية؟

سيلفيا : (تعود وبصحبتها بالميرا وازيدورو) كم أتصبب عرقا!

يرتقي الثلاثة السلم في عجلة.

جاكومينو : ومن ثم؟

جيرونتا : ومن ثم.. ومن ثم ليس صحيحا إلا ما قلته لك. إنك واحد من الناس البسطاء الطيبين الأصلاء الذين أكن لهم كل تقدير وأحبهم وأدافع عنهم. وهذا هو السبب الذي شدني إليك منذ أن رأيتك. ولكن لا تؤاخذني إذا قلت لك إنك أسأت بطيبتك هذه إلى من أحسن إليك بالذات وأقصد به جايتانو تروتشينا.

جاكومينو : أنا؟

جيرونتا : نعم أنت. لقد تركت الورثة ينهبون حجرته ويفتحون الدواليب ويخفون النقود والمجوهرات دون أن تتدخل، ودون أن تحاول وقف تعديهم عليه.

جاكومينو : وماذا كان في وسعي أن أفعل؟ لقد هجموا على الحجرة كالوحوش الضارية بمجرد أن أغمض عينيه. ودست أرملته رأسها في الدواليب وعبثت بكل شيء، وأخذوا يتبارون فيما بينهم من ينهب أكثر من الآخر.

جيرونتا : ووقفت أنت مكتوف الأيدي؟

جاكومينو : لم يكن أمامي غير هذا فبأي حق أمنعهم؟

جيرونتا : بالحق الذي منحه لك جايتانو نفسه. فقد ترك لك ثلث كل شيء في التركة. أترى هذه المائدة؟ كم عدد الكراسي هنا؟ تسعون؟ إن لك منهم ثلاثين. وكم طبقا هنا؟ ثلاثمائة؟ إن لك منهم مئة. وقل هذا أيضا عن الثياب والملابس الداخلية وغيرها. ومن حسن الحظ أنهم يعيدون كل شيء إلى مكانه وبالتالي فلا محل للخوف، ولكن من كان سيحاسبك أنت ويقول لك: «كيف تسمح بهذا؟ أأحسن إليك وأترك لك ثلث تركتي وأنت لا تفكر في جرد التركة، وحصر كل مقتنيات البيت؟ ألا تهتم باستدعاء النيابة لتشميع الدواليب بالشمع الأحمر؟».

جاكومينو : وكيل النيابة في بيته في مثل هذه الساعة.

جيرونتا : الأمر لا يقتضي أكثر من عشر دقائق للوصول إلى الميدان. هل معك شهادة الوفاة؟

جاكومينو : (يقدمها له) نعم ومعي أيضا الوصية.

جيرونتا : في حالة عاجلة مثل حالتك وكيل النيابة يصدر أوامره على الفور، وفي هذه الساعة تجد دون سلفاتوري كومو وكيل النيابة في المقهى. ومن غير المعقول ألا يوجد شرطيان يعاونانه.

سيلفيا : (تصحبها كالعادة بالميرا وازيدورو محملين بالمقتنيات)
هذه آخر الأشياء يا سيد جيرونتا . .

سنضعها محلها، ونصبح جاهزين (تصيح نحو الشرفة) كارميلوتشو!

تخرج سيلفيا ومعها بالميرا وازيدورو.

جاكومينو : لا أريد الحضور عندما تعقد الدائرة لإعادة جايتانو إلى الحياة.

جيرونتا : حضورك ليس ضروريا.

جاكومينو : الواقع أني أشعر بالإعياء بعد كل ما حدث اليوم كما انتابني صداع لعين لن أتخلص منه إلا بالخروج وتنسم الهواء.

جيرونتا : تنسم الهواء يعيدك إلى حالتك الطبيعية.

جاكومينو : آمل هذا، والحق أنك أصبت يا أخي فالقضايا حبالها طويلة.

جيرونتا : ولا أحد يعرف نهايتها. وليست هذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها بريء السجن «فمن له قديسون يحمونه يدخل الجنة» وأشرار الناس لهم قديسون، ولكن أتعرف أين يحتفظون بهم؟ في خزائن النقود.

جاكومينو : هذا ما يحدث.

جيرونتا : دعك إذن من القضايا وإلا ظللت مغلول الأيدي والأرجل طول حياتك.

جاكومينو : (يتأهب للخروج ثم يتراجع) أخي!

جيرونتا : أوامرك.

جاكومينو : أريد أن أسألك معروفا. كم تستغرق من الوقت لإعادة جايتانو إلى الحياة.

جيرونتا : هذا يعتمد على المناخ الذي يسود أثناء العمل. ففي بعض الأحيان لا تكفي ساعتان، وفي كل الحالات لا تتحقق هذه الظاهرة أبدا قبل نصف ساعة.

جاكومينو : إذن من المستحسن أن انصرف على الفور يا أخي (يخرج)

سيلفيا : (تدخل زافرة) يا لها من هدة حيل! أخيرا وضعنا كل شيء في محله. (تتوجه بالكلام إلى الحجرة المجاورة) اجعلي لك همة يا بالميرا!

بالميرا : (من داخل الحجرة) الدولاب لا يقفل.

ازيدورو : (كالسابق) دعيه لي يا آنسة.

سيلفيا : بعد أن تقفليه ضعي سلسلة المفاتيح في جيب الجاكتة ثم ضعي الساعة ،والسلسلة الذهبية، والخاتمين على الكومودينو.

كارميلوتشو : (قادم من الدور الأرضي وعلى كتفه صندوق ثقيل من الحديد المقوى) هذا وزنه قنطار!

سيلفيا : دع ذلك الرجل الطيب يعاونك وضعه تحت السرير في مكانه (كارميلوتشو يجتاز الحجرة ويخرج) يا إلهي! ما كل هذا العطش! لعلها شربة المكرونة والفاصوليا. (تقترب من المائدة وتسكب الماء في الكوب وتحتسيه).

بالميرا : (تدخل) قفلنا الدولاب، والمفاتيح وضعتها في مكانها.

سيلفيا : أين جاكومينو؟

جيرونتا : شعر المسكين بالتعب فخرج ليتمشى في الخارج ويتنسم الهواء.

سيلفيا : يا له من رجل لئيم! . . لقد كان دائما مصدر نكد لجايتانو وللبيت!

كارميلوتشو : (ووراءه ازيدورو) وضعنا الصندوق في مكانه.

سيلفيا : جاكومينو خرج ليشم الهواء.

كارميلوتشو : طبيعي، فقد أدرك أن الموقف انقلب ضده.

سيلفيا : مفهوم.

جيرونتا : وجوده سيصدر طاقة سلبية من شأنها أن تقطع الدائرة. فمن الأفضل أن يظل بعيداً لنجاح مهمتي. ففيما بيننا ستكتمل الدائرة على الفور.

سيلفيا : أي دائرة؟

جيرونتا : دائرة المحبة، ونجاحها يتوقف عليكم، فأنتم التيار الكهربي، وأنا السلك الذي يمر من خلاله التياروإذا أردنا أن يعود نبض الحياة مرة أخرى لذلك القلب المنتظر هناك فيتعين أن تصل إليه صيحتي بعد أن تستجمع من قلوبكم المكلومة لفقد الزوج والأب خلاصة المحبة الطاهرة الخالصة المنزهة من الغرض، واللحظة مناسبة ولا داعي لإضاعة الوقت، فليركز كل منكم مشاعره ويستحضر في ذاكرته أجمل المناسبات وأرقها، وأكثرها دفئا في حياتكم من يوم الزواج إلى الساعات الأخيرة قبل وفاته. (يتبادل الثلاثة نظرات ذات مغزى). ابقوا في أماكنكم وركزوا جيدا. (بعد وقفة قصيرة) جايتانو تروتشينا، يا أخي، أنت لست ميتا، انهض من رقادك. (ينتظر ذاهلا جامدا. ازيدورو يحدق في الحجرة المجاورة واضعا يده فوق حاجبيه. الورثة الثلاثة جهلة ومؤمنون بالخرافات، يثبتون أبصارهم على ازيدورو. بعد وقفة قصير ة جيرونتا يسأل) ماذا يفعل؟

ازيدورو : لا شيء، ولكن . .

جيرونتا : ولكن ماذا؟

ازيدورو : الهواء فتح النافذة قليلا ولكنه لم يتحرك من موضعه.

جيرونتا : إنه يقاوم لأنه في حياته كان يعتقد أن حبكم له زائف ويريد الآن في موته أن يتأكد قبل عودته إلى كنف الأسرة أنه كان مخطئا. . إنه كالأطفال الصغار فحين يقعون مرة يمتنعون عن المشي خشية أن يقعوا مرة أخرى. ولكننا سنجعله يمشي رغم تردده. حاولوا أن تصلوا إلى أقصى تركيز. جايتانو تروتشينا، يا أخي! أنت لست ميتا انهض من رقادك. (بعد فترة صمت قصيرة مفعمة بالقلق) هل تحرك يا ازيدورو؟

ازيدورو : كلا يا سيدي.

جيرونتا : مازال يقاوم!

ازيدورو : رأسه ناشف.

جيرونتا : هناك شيء يفسد الجو هنا. ساعدوني يا أصدقائي. . أعينوني.

سيلفيا : أنا ركزت كل مشاعري.

كارميلوتشو : وأنا أيضا .

بالميرا : وأنا .

جيرونتا : في أي شيء . . هـذا هـو المهـم . إن صيحتـي تجد في قلوبكم حقدا على الفقيد أكثر مما تجد من محبة طاهرة .

سيلفيا : طبيعـي . فـأنا كلما فكـرت في وصيتـه كلما غلى الـدم في عروقي .

جيرونتا : مادام الموقف هكـذا فلا فائدة من أية محاولـة . أنت يا سيدتي لا تهتمين برؤية زوجك حيا مرة أخرى .

سيلفيا : بل اهتم .

جيرونتا : من أجل ميراث جاكومينو؟

سيلفيا : ميراث جاكومينـو من جانب وهـذه الفاجرة من جـانب آخر (تشير إلى ابنتها) كـانت على وشك الزواج فـإذا ظل جايتانوميتـا سترتدي ملابس الحـداد ونؤجـل الفرح ستة أو سبعة أشهـر على الأقل، ففي هـذه البلدة القذرة من لا يراعي واجب الحداد أفضل له أن يختفي منها .

كارميلوتشو : موتها أفضـل . موتها أفضل مـن جلب العار. وحـق من أسماني كارميلوتشو لأقتلك! (يهجم على أخته)

بالميرا : أغيثيني يا أمي! (تهرب وتلوذ بركن من أركان الحجرة)

كارميلوتشو : لا تهربي، لا تهربي، ليس هذا وقت الحساب. الوقت سأحدده أنا أيتها الفاجرة. (يندفع نحوها ولكن ازيدورو وسيلفيا يعترضانه)

ازيدورو : ماذا تفعل. . انتظر!

سيلفيا : اهدأ يا كارميلوتشو!

جيرونتا : ما الحكاية؟

سيلفيا : الحكاية أننا سنحتفل بقرانها في الكنيسة وبطنها أمامها. إنها حامل في الشهر الثالث. يا للعار! يا للعار!

كارميلوتشو : سأقتلها! سأقتلها!

جيرونتا : الهدوء، الهدوء أأنتم بشر أم حيوانات؟ أترون أن ما تفعلونه صحيح؟ البنت أخطأت ولكن يمكن إصلاح كل شيء بالحب. يجب أن تفكروا الآن في جايتانو فقط.

سيلفيا : إن الغضب يتملكني حين أفكر فيه هو بالذات. هو الذي خرب البيت (تجهش بالبكاء) أي حبّ؟ متى كان هناك حب؟ إن زواجي منه لم يعد علي إلا بالهم والبكاء ولم يجلب لي إلا الغم.

جاكومينو : (يرتفع صوته من الداخل) تفضل يا دون سلفاتوري! (يدخل ومعه دون سلفاتوري كومو وشرطيان).

سلفاتوري : مساء الخير (يضع على المائدة الأدوات الخاصة بالشمع الأحمر، ويبدأ في إشعال الشمع) الشرطيان يقفان على باب البيت .

كارميلوتشو : أفي هذه الساعة يا دون سلفاتوري؟

سلفاتوري : (وهو يذيب الشمع على الشعلة) وضع الشمع الأحمر لا يحتاج إلى مواعيد .

سيلفيا : الشمع الأحمر! ماذا دهاك يا جاكومينو؟

جاكومينو : يمكنك أن تبدأ بهذه الحجرة يا دون سلفاتوري ثم بباقي الحجرات .

دون سلفاتوري يبدأ في مباشرة عمله بمعاونة الشرطيين

سيلفيا : وأنت . . أليس لديك ما تقوله يا سيد سبتزيو؟

جيرونتا : هذا عمل لا يعنيني، ولا ينبغي أن تتأثري به . أيريدون وضع الشمع الأحمر؟ حسن، فليضعوه . وماذا يهمك منه؟ فبمجرد أن تكتمل دائرة المحبة سينهض جايتانو تروتشينا من فراشه، وينزع الشمع . عليك أن تهدئي، وتركزي مشاعرك، وعندما تصبحون جاهزين اخبروني، وسأطلق صيحتي .

يسدل الستار

الفصل الثالث

جمهور من أهل البلدة. أجراء وسماسرة وعمال وتجار بكامل عائلاتهم في ضيافة نابليوني بوتا، أكلوا حتى التخمة وشربوا ملء الجوف. الساعة الحادية عشر مساء ومازالوا ينتشرون بين الأشجار ويتنقلون في الممرات وعلى الطريق الواسع المفضي إلى مدخل البيت ويواصلون التهام الطعام واحتساء الخمر منتشين بالغناء، والرقص الشعبي ليتوجوا الوليمة الفاخرة السخية التي أقامها صاحب البيت بمناسبة زواجه الذي عقده في الصباح وفقا للشعائر الدينية.

نابليوني لم يبخل ببعثرة النقود يمينا ويسارا حتى قاعة بيت جيرونتا الضخمة زينها بباقات الزهور وعيدانها المورقة التي امتدت بشرائط الزينة من ناحية إلى ناحية أخرى وكلل أطرافها بعناقيد كبيرة من الليمون والبرتقال المتراكمة بعضها فوق بعض بنحو يلفت الأنظار، ووضع فوق الموائد وعلى قطع الأثاث وفي كل مكان مناسب سلال الفاكهة الطازجة والدواجن المحمرة والمشوية ببذخ يغلب عليه الذوق الريفي، فمن عتاقي الدجاج إلى البط ومن الديوك المسمنة إلى الديوك الرومية وضمها في ربطات تشتمل كل ربطة على ثلاثة أو أربعة منها.

صخب المدعوين يهدأ ويصل صداه إلى القاعة الضخمة من قريب أحيانا، وأحيانا من بعيد على حين تلقي أضواء الاحتفال المبهرة بأشعتها من أسفل على فرجات النوافذ المفتوحة على مصراعيها فتحدث تناقضا مع إضاءة الكيروسين المعتادة في الداخل.

في أحد الأركان يجلس رجل في منتصف العمر يرتدي ملابس داكنة اللون ويضع على عينيه نظارة سوداء ولا يعتني بمظهره، يتحسس بكعبية حقيبة صغيرة داكنة اللون هي الأخرى، يضعها بين المقعد وساقيه، ويستغرق في قراءة بعض الأوراق التي يخرجها بين الحين والحين من حقيبة يد جلدية. يظل شاردا بفكره بعيدا عن كل ما يحدث في القاعة الضخمة وحول البيت.

يطل ازيدورو من إحدى النوافذ ويشاهد مسرورا مظاهر الاحتفال المتفجرة وصيحات الفرح والضحكات العالية والانخاب المتبادلة على شرف العروسين. تتعالى أصوات المدعوين في الداخل «مئة عام من الصحة يا نابليوني»، «في صحتك!»، «اشربوا، اشربوا معي في صحة العروسين السعيدين»، «في صحتكم»، «عاش نابليوني»، «عاش رجل البر والإحسان»، «عاش!»

نابليوني : (من الداخل) شكرا، شكرا، كلو واشربوا فكل هذا ملك لكم.

أصوات جماعية : (كالسابق) عاش نابليوني! عاش.. عاش..

الموسيقى مايسترو

تبدأ فرقة موسيقى مكونة من آلات الجيتار والماندولين والفيلهارموني في عزف مطلع أغنية ريفية، وترتفع عقيرة جمهور المدعوين بالغناء معا :

الحياة عابرة والخمر عابر

الخمر عابرة وجميعنا عابر

ما تجودون به من خمر

لا يبقى منه في الجوف، لا يبقى منه شيء

لابد أن يمر

تمر الحياة في سرعة البرق

وفي سرعتها تمر الخمر

ها هنا هاتيها لنا

هذي كأس لي أنا وهذى كأس لك أنت

واملأ لنا ثانيـا

املأ لنا، املأ لنا

يغنون ويرقصون ويعربدون على القرار الأخير

مساعد الشرطة : (تتبعه زوجته نونتزياتا، امرأة في نحو الأربعين، وابنته بريجيدا، وتبلـغ من العمر الخـــامسة عشر) ادخلـــي يا نونتزياتا ولنسأل ازيدورو.

نونتزياتا : لا أريد أن أبقى لحظـة واحدة. ولـن أنسى هذه الليـــلة ما حييت. يا إلهي! ما أقبح هؤلاء الناس!

مساعد الشرطة : إنهم أناس بسطاء. فلاحون وأجراء وسماسرة.

نونتزياتا : وقليلو الحياء ومبتذلون لا يعرفون الاحترام.

مساعد الشرطة : (إلى ابنته) ومتى حدث هذا؟

بريجيدا : عندما كنت تتناول أنت وأمي ساندوتش الخنزير.. كنتما تضعان عليه الملح على حين كنت أنا قد تناولته. وفجأة شعرت بيد رجل شايب عاري الصدر حافي القدمين يشدني، ويقول: «أنا الذي سيسقيك الخمر»، فقلت له: «أنا لا أشربها» قال: «لابد أن تشربي كأسا.. هيا أمامي». وسار بي في الظلام في ممر وراء أشجار الليمون.

مساعد الشرطة : ألا تعرفين من هو؟

بريجيدا : لا، لا أعرفه، ولكن شعره شايب.

نونتزياتا : ألن تقولي ماذا فعل بك؟.

بريجيدا : لا شيء يا أمي.. فقط كشف لي عن نفسه في وضع فاضح.

مساعد الشرطة : السافل..

بريجيدا : كدت أكسر ساقي لأهرب منه.

نونتزياتا : لنحمد الله أن الممر كان مظلما.

بريجيدا : ماذا تقولين، اليوم قمر١٤ يا أمي .

نونتزياتا : (تشعر بالغثيان) إلى هذا الحد، ماذا دهانا . . رجل شايب!!!

مساعد الشرطة : الكلام عيب، وما كنت أحب أن أخوض في هذا الموضوع، ولكن أيصح في نظرك أن تلبس البنت مثل هذا الملبس؟ .

الفتاة تغالي في تقليد الموضة على الذوق الريفي وترتدي «الميني جيب»

نونتزياتا : لو كانت في مدينة لما نظر إليها أحد، أما في هذه البلدة القذرة . . هيا بنا لننصرف . .

مساعد الشرطة : أريد أن أحيي السيد سبتزيو قبل انصرافي، ثم إني لا استطيع أن أصحبكم إلى البيت .

نونتزياتا : ولماذا؟

مساعد الشرطة : انتظري لحظة . ازيدورو! هل السيد سبتزيو موجود؟

ازيدورو : كلا، ذهب إلى نابولي لزيارة شقيقته لأنها شعرت بوعكة مفاجئة، ولكنه سيحضر بعد قليل، فقد اتصل منذ ساعة ونصف وأخبرني أنه ذاهب ليركب سيارته ويحضر.

مساعد الشرطة : إذن لنفعل هكـذا. سأقوم أنا بـالاتصال بقسم سـورنتو ليرسلوا لنا عشرة عسـاكر لتعزيز القـوة، فكما هو واضح الخمر أطاحت بالـرؤوس، وبعد أن ينتهي الحفل ستبدأ المجادلات وتطفو على السطح الأحقاد القديمة والمصالح الشخصيـة فيقول أحـدهم لـلآخر «أنـت ديوث» ويـرد الآخر «بل الديوث هـو أنت» وسنضطـر للانشغـال بما لا يقل عن عشريـن من هؤلاء المجرمين فنلقـي ببعضهم في الحجز ونحمل البعض الآخـر إلى الإسعاف. أما أنتما فابقيا هنـا في غيابي وأطلا من النافذة مـع ازيدورو وتمتعا بالحفل. وفي هذه الأثناء قد يصل السيد سبتزيو فنحييه ثم ننصرف.

ازيدورو : النافذة واسعة. . سنجلس هنا.

مساعد الشرطة : لا تحاولا النزو ل إلى أسفل لأي سبب.

نونتزياتا : ومن يحاول هذا؟ والله حتى لو قتلوني!

مساعد الشرطة : أنا ذاهـب (يخرج) يجذب انتباه الثلاثـة تصفيق حـاد من أسفل وأصوات عالية تطغى على الهمهمة المعتادة.

ازيدورو : (يسرع إلى النـافذة ويعلـن)العـروس! هـل رأيتماها مـن قبل؟

بريجيدا : في الكنيسة.

ازيدورو : لقد غيرت رداءها مرة أخرى . . منذ الصباح وحتى الآن غيرت ثلاثة فساتين (الأم والابنة تسرعان إلى النافذة) نابليوني سيرقص مع العروس .

نونتزياتا : أهي تلك؟

ازيدورو : هي بعينها .

بريجيدا : صبغت وجهها بالمساحيق، ولكن لا يخفى أنها عجوز.

جيرونتا : (يدخل) مساء الخير يا سيدة نونتزياتا . . . مساء الخير يا آنسة بريجيدا .

نونتزياتا : مساء الخير.

بريجيدا : مساء الخير يا سيد سبتزيو.

جيرونتا : كم صرت فتاة جميلة! لقد شاهدتك صغيرة هكذا . . أين أبوك؟

بريجيدا : ذهب ليتصل بقسم سورنتو.

نونتزياتا : سيعود الآن ليسلم عليك وليصحبنا إلى البيت .

ازيدورو : كيف حال السيدة أختك؟

جيرونتا : (ساهيا) أختي من؟

ازيدورو : السيدة ماتيلدة . .

جيرونتا : آه، حقا. بخير. . بخير. . وعكة خفيفة ليس إلا، ولكنها أصرت على أن أتناول معها الطعام فتأخرت في الحضور.

ازيدورو : السيد لنشانو ينتظرك .

جيرونتا : عزيزي لنشانو. . أهلا بك!

لنشانو : (متملقا) خادمك .

جيرونتا : هل تنتظر منذ وقت طويل؟

لنشانو : منذ ساعة تقريبا ولكن لا يهم .

جيرونتا : لقد زاد من تأخيري زحمة المرور. هل الأخبار طيبة؟

لنشانو : طيبة . . طيبة. لو سمح لي و قتك بخمس دقائق، أطلعك على كل شيء .

نونتزياتا : هيا بنا يا بريجيدا . . لنترك السيد سبتزيو على راحته .

بريجيدا : لن أنزل إلى أسفل .

ازيدورو : توجد في الحجرة المجاورة نافذة واسعة أخرى يمكننا أن نشاهد الحفل منها . هيا بنا .

جيرونتا : خمس دقائق فقط وألحق بكم .

نونتزياتا : تفضل فهذا بيتك .

جيرونتا : اغلق النوافذ يا ازيدورو فالضجة شديدة .

ازيدورو : (يغلق النوافذ ثم يتوجه إلى الأم وابنتها) تفضلا .

نونتزياتا : بإذنك .

بريجيدا : بإذنك .

جيرونتا : تفضلي يا حبيبتي، تفضلي (يخرج ازيـدورو وبرفقته المرأة وابنتها) اجلس يـا سيد لنشانو (يشير إلى المكـان المواجه للمكتب)

لنشانو : شكرا لك! (يضع أثناء جلوسـه حقيبة اليد الجلدية على المكتب والحقيبة الصغيرة بين ساقيـه والمقعد كما فعل من قبل)

جيرونتا : (مسترخيا على كرسي المكتب المريح) حسن؟

لنشانو : يـا سيد سبتـزيو إننـي وددت لـو أصنع لـك تمثالا مـن الذهب لكل ما قدمته من خير وما تقدمه وما ستقدمه لي ولأسرتي كلها .

جيرونتا : لقد رددت هـذا مـرارا وتكرارا وفي كـل مرة قلـت لك لا يجب أن تشعر بأنك مدين لي بالعرفان.

إن القليل الذي أفعله من أجلك أحصل على مقابل مجز له بالسعـادة التي تمنحها لي مساعدة صـديق محترم أحبه وأقدره.

لنشانو : (يهب واقفا متأثـرا) وأنا لا يسعني إلا أن أشكرك يـا سيد سبتزيو (يعـود إلى الجلوس) إن قولك هـذا يثلج صدري ويشعـرني بالتـأثر، وأقـول يشعرني بـالتأثـر لأني أحيانـا أتسـاءل: ترى لماذا يشملنـي السيد سبتـزيـو بكل هـذا العطف؟ وأي سجايا خفية يجدها في؟ يا سيد سبتزيو أنا لا أحد يحبني.

جيرونتا : أليس لك أصدقاء؟

لنشانو : بـالتـأكيـد! ولكن بما أني أعيـش في حـالي وأحـرص على تحقيق مصـالحي، فإنهم يصفونني بـأني دب غير أليـف، وأني أجـري وراء إعلانـات التفليسات واشتري الأمـلاك التي تعرضها المحاكم في المزاد بأبخس الأسعار. فما معنى هذا؟ أليس لكل إنسان نظام يـدير به حياتـه؟ وصدقني يا سيد سبتزيو أنهم يكرهونني. يكرهونني..

جيرونتا : ولهذا أحبك أنا.

لنشانو : أنت رجل فريد من نوعك .

جيرونتا : دعك من المجاملات، ولندخل في لب الموضوع . هل انتهيت من مسألة ورثة تروتشينا؟

لنشانو : على خير ما يرام . ولكن كم عانيت منهم! إنهم أناس غريبو الطباع، أجلاف، متأخرون ولا عقل لهم .

فكلما حاولت أن أشرح لهم حقيقة الأمر كلما ازدادوا تحفزا وريبة . إنهم أهل سوء يا سيد سبتزيو وطبيعي أنه وسط عائلة كهذه لابد لرجل مثل جايتانو تروتشينا أن يموت بالسكتة القلبية! يا للمسكين! كيف كان في استطاعتك أن تعيده إلى الحياة؟!

جيرونتا : لقد سلك مسلكا حميدا في حياته، واحترم العقد، وكان له أن يثق في نجاح مهمتي، ولكن دائرة المحبة لم تلتئم أبدا لأن الحب لا أثر له في هذه العائلة .

لنشانو : أي حب لا سمح الله! إنهم ثلاثة وحوش .

جيرونتا : وكيف سويت الموضوع معهم؟

لنشانو : على هذا النحو (يخرج ملفا من الحقيبة ثم يتناول منه ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة ويطلع عليها أثناء كلامه) بعد مراجعة الشهر العقاري والرهونات تبلغ تركة المرحوم جايتانو تروتشينا ما قيمته ٩٠٠ مليون ليرة كاملة . فقد ربح المرحوم الكثير من عمله بالزراعة والبناء .

جيرونتا : اكمل .

لنشانو : وتتجاوز المليون لتصبح حوالي مليون ونصف إذا أضفنا إليها سندات الخزانة المستخرجة باسم حاملها، والتي وجدت في الخزينة الحديدية .

جيرونتا : (فاغرا فاهه مندهشا) آه . . حقا!

لنشانو : الجزء الحر المرهون بإرادة الموصي والخاص بقريبهم . . ما اسم الرجل الذي طلب وضع الشمع الأحمر؟

جيرونتا : جاكومينو تروتشينا .

لنشانو : نعم هو . . نصيب هذا الجاكومينو حوالي ٤٠٠ مليون ليرة، ولكن عليه أن يدفع ضريبة الأيلولة .

جيرونتا : ولكنه لن يدفعها عن سندات الخزانة .

لنشانو : كلا . . كلا . . إن السندات معفاة من أي نوع من ضرائب الأيلولة الراهنة واللاحقة . وهذه ضربة حظ، ومن المدهش حقا أنك في كل مرة تكلفني فيها بعمل من هذا النوع أجد دائما سندات الخزانة .

جيرونتا : فعلا .

لنشانو : قلت لك إنها ضربة حظ لأني بهذا الشكل استطعت أن أثبت للورثة أن أملاكهم ستظل خالصة لهم، ويمكنهم استغلالها كما يحلو لهم بشرط أن يقوموا أولا بتصفية وضع جاكومينو.

جيرونتا : وهل قبلوا؟

لنشانو : بعد أن استهلكت ١٨ قميصا من العرق، وبعد أن سألوا بأنفسهم عن جميع التفاصيل الدقيقة. ولا استطيع أن أصف لك مقدار الحقد الذي يكنونه لقريبهم هذا. فمنذ الليلة التي طلب فيها وضع الشمع الأحمر لم يروا وجهه. أما كارميلوتشو فإنه يجوب الطرقات حاملا في جيبه المسدس ويقول إنه سيطلق عليه النار أينما وجده.

جيرونتا : اكمل.

لنشانو : لقد أنجزت كل شيء كما ينبغي، وأخذ الورثة سندات خزانة من الخزينة قيمتها ٣٠٠ مليون ليرة وأودعوها لدى موثق العقود بشرط ألاّ يسلمها لأحد إلا بعد تقديم شهادة يتنازل فيها جاكومينو تروتشينا عن الميراث. وأي شخص يذهب إلى الموثق، وليكن أنا أو أنت، ويقدم له الشهادة سيسلمه مبلغ الـ ٣٠٠ مليون ليرة.

جيرونتا : إذن استراح جاكومينو.

لنشانو : أكثر من اللازم.

جيرونتا : ماذا تعني بأكثر من اللازم؟

لنشانو : نعم أكثر من اللازم لأني أعرف رأيك جيدا، وأدرك مدى الحظ الذي أوقع هذا الجاكومينو بين يـديك. فأنت قادر على أن تـأخـذ الـ ٣٠٠ مليـون ليرة التـي معـي هنـا في الحقيبة وأن تعطيها لـه كلها بعد خصم المكـافأة البسيطة التي ستتكرم بها علي.

جيرونتا : سأعطيها له لأنها تخصه.

لنشانو : دعنـا مـن مسـألـة أنها تخصـه أو لا تخصـه أو إذا كـان يستحقها أو لا يستحقهـا، ولا تؤاخـذني إذا كنت أقـول لك هـذا ولكني أرى أنك لو أعطيتـه المبلغ كاملا فـإنك ترتكـب ظلما ليس في حقـي وحدي وإنما في حقـك أنت أيضا. أما إذا عقدنا اتفاقا بسيطا بيني وبينك . .

جيرونتا : كفى . . أنت مخطىء. وليست هذه هي المرة الأولى التي تحاول فيها أن تحملنـي على مغالطة ضميري. وأنـا أقول لك بـإخلاص إن تصرفـك هذا أصبـح النقطة السـوداء الوحيـدة في صداقتنـا فأنـت تعرف جيـدا أنني لا أبغـي الربح من وراء كل ما أفعل. فـأنا أحمي حقوق جاكومينو تروتشينا كما أحمي حقوق أي أحد آخر، وكذلك حقوقك أنت نفسك في حدود المستطاع. جاكومينو حجز بالفعل تذكـرة سفر بالطـائرة للذهاب إلى الأرجنتين، وسيسـافر صباح الغد وفي يده ميراثه. وهو لا يريد إضاعة الوقت. فإذا أردت أن تـوفر عليه الـوقت اللازم لتسجيـل التنازل وإعطائه النقود سيقدم لك أتعابا خمسة ملايين ليرة.

لنشانو : (في خيبة أمل) خمسة ملايين ليرة؟!

جيرونتا : وسيدفعها مقدما. أين النقود؟

لنشانو : في الحقيبة.

جيرونتا : افتحها وضع النقود هنا.

لنشانو : فكر في الأمر جيداً.

جيرونتا : أنت تعرف طبعي. وإذا كان في رأيك أن خمسة ملايين ليرة مبلغ قليل تستطيع أن ترفض الصفقة. وبكل تواضع يمكنني أن أدفع أنا الـ ٣٠٠ مليون ليرة لجاكومينو، وبما أنني لا أتقاضى أجراً عن عملي فإنه سيوفر الملايين الخمسة التي أردت لك أن تربحها.

لنشانو : (قلقا) لا. لا، فأنا أعول أسرتي بهذه الصفقات الصغيرة.

جيرونتا : إني أحرص منك على أسرتك.

لنشانو : صحيح.. صحيح.

جيرونتا : إذن لا تغال، وعليك أن ترضى بالقليل والصفقات كثيرة.

لنشانو : الحق معك.

جيرونتا : ضع النقود هنا .

لنشانو : (يقوم بمساعدة جيرونتا بإفراغ الحقيبة ويضع النقود فوق المكتب) الواقع أني كنت اعتقد أن من الممكن أن تبدي شيئا من المرونة فأحضرت مائتي مليون ليرة سندات خزانة ومئة مليون نقدا .

جيرونتا : أسأت الاعتقاد .

لنشانو : لو قبلت ما عرضت عليك كان بوسعك أن تقتطع جزءا من المبلغ . .

جيرونتا : ولكني لم أقبل العرض . (كلما يضع لنشانو على المكتب رزما من النقود قيمتها مليون ليرة يدسها جيرونتا في درج المكتب ويعدها) عشر رزم في عشر يصبحون مئة رزمة بالضبط . (يأخذ خمس رزم ويناولها للنشانو) هذه هي الخمسة ملايين، فالدفع مقدما كما وعدتك . .

لنشانو : (يضع النقود في جيبه) وأنا في غاية الامتنان والشكر. هلا تفضلت بإعطائي الحقيبة؟

جيرونتا : وأين يضع جاكومينو تروتشينا نقوده؟

لنشانو : ولكن الحقيبة حقيبتي .

جيرونتا : حقيبة قديمة ويمكنك أن تشتري واحدة أخرى من الفبر مثلها .

لنشانو : أعليّ أن أتحمل ثمن حقيبة جديدة أيضا؟

جيرونتا : كم ثمنهـا؟ خمسة أو ستة آلاف ليرة . . سـأعطيك عشرة آلاف . (يعطيه ورقة فئة عشرة آلاف ليرة)

لنشانو : لا تدفـع من جيبك على الأقـل هذه العشرة آلاف ليرة ، دع جاكومينو يردها لك .

جيرونتا : هـل تصـدق؟ أن هـذه العشرة آلاف ليرة كـانـت تثقـل جيبي .

لنشانو : أنت بحق رجل خارق للعادة . .

جيرونتا : أتشعر أنك متعلق بالمال إلى هذا الحد؟

لنشانو : ولا استطيـع أن أدرك كيف لا تهتـم به أنـت أي اهتمام . بالنسبة لي المال كالنسيم الشافي لمريض القلب .

جيرونتا : وتضحك عيناك حين تخوض في سيرته .

لنشانو : (متوسلا) دعني أخرج من الصفقة بكم مليون آخر . .

جيرونتا : أنـا أقدرك وأميـل إليـك ، ولكنـي لا استطيع أن أعـدك بهذا . على أية حال لو أتيح لي أن أفعل فلن أتأخر .

لنشانو : أشكرك .

ازيدورو : (يدخل) جيرونتا! . . جاء جاكومينو تروتشينا ويقول إن بينك وبينه موعد.

جيرونتا : هل ندعه يدخل؟

لنشانو : اعتقد هذا. ولعلك تستطيع أن تحصل لي منه على مليونين أو ثلاثة . . إنه لا يملك مليما فإذا رأى النقود . . صدقني إنه رجل بائس.

جيرونتا : أتحب أن تكلمه بنفسك.

لنشانو : كلا . . سيرتاب في . . إنه أسوأ من أقار به وأنا لا أثق فيه.

جيرونتا : اعطني شهادة التنازل.

لنشانو : هاهي . . سأذهب إلى الحجرة المجاورة.

جيرونتا : سوف أناديك عندما ينصرف.

لنشانو : بإذنك (يخرج)

جيرونتا : دعه يدخل يا ازيدورو.

ازيدورو : وتوجد أيضا السيدة التي حضرت معك وقالت إنها تريد أن تنصرف لأن زوجها ينتظرها في السيارة في الخارج.

جيرونتا : عليها أن تتحلى بالصبر عشر دقـائق أخرى. لا يجب أن تنصرف. تول أنت أمرها.

ازيدورو : سأقف على الباب و لن أدعها تخرج.

جيرونتا : ادخل جاكومينو.

ازيدورو : حالا. (يخرج، جيرونتـا يلقي نظرة على شهـادة التنازل. ازيدورو يدخل ويقول) تفضل.

جاكومينو : مساء الخير.

جيرونتا : تعال يا جاكومينو، اجلس.

جاكومينو : شكرا. (لا يجلس)

ازيدورو : سأذهب لاحتجز السيدة. (يخرج)

جيرونتا : ماذ بك يا جاكومينو؟ ماذا حدث؟

جاكومينو : حدث أنـه لابد لي من منغـص. ما أشقاني! لقـد ولدت وولد معي سوء الحظ.

جيرونتا : أهناك ما يغضبك مني؟

جاكومينو : لا يغضبنـي منك شيء يـا أخـي وإنما يغضبني النحـس الذي يلازمني منذ أن جئت إلى الدنيا.

جيرونتا : إذا كنت لا تشعر بالسعادة المشتركة التي منحها لنا لقاؤنا فهذا يعني أنك تريد أن تورطني في النحس الذي يلازمك. فماذا يغضبك؟

جاكومينو : كيف لا أغضب؟ ميراث ملايين وملايين الليرات يتقلص إلى هذا الحد.

جيرونتا : تقصد ضريبة الأيلولة؟

جاكومينو : إنهم يغالون كثيرا.

جيرونتا : القانون يعتبر درجة القرابة بين أبناء العم غير درجتها بين الأب والابن لذا ينص على ضريبة كبيرة. ونحمد الله أنك اقتنعت أخيرا. فأنت لم تصدقني عندما نبهتك إلى هذا.

جاكومينو : لقد أكده لي القسيس.

جيرونتا : هل ذهبت لتسأل يا أخي؟

جاكومينو : جرني الحديث معه إلى السؤال. . وأكد لي موثق العقود نفس الشيء.

جيرونتا : وهل سألت أيضا موثق العقود؟

جاكومينو : جرني الحديث معه إلى السؤال. .

جيرونتا : لا مفر يا عزيزي جاكومينو. إنها وصية علنية وليس في وسعك الإفلات من القانون بأي شكل من الأشكال فإذا أردت قبول الوصية عليك أن تدفع ٢٧٥ مليونا من الـ ٣٠٠ مليون ضريبة للأيلولة علاوة على ٢٪ ضريبة تسجيل، و١٪ للشهر العقاري.

جاكومينو : (في يأس) سوف أثخن وجهي لطما. (ينهال باللطمات على وجهه).

جيرونتا : انتظر. ماذا تفعل؟ اسمعني. إنك إذا دفعت الـ ٢٧٥ مليون ليرة ضريبة الأيلولة وأضفت التسجيل والشهر العقاري تبقى لك من الـ ٣٠٠ مليون ليرة حوالي عشرة ملايين ونصف أو أحد عشر مليونا.

جاكومينو : (ينهال على وجهه لطما) يا إلهي! يا إلهي!

جيرونتا : انتظر يا أخي.

جاكومينو : (مقهورا) ماذا انتظر؟ أن تتبخر العشرة ملايين الباقية؟

جيرونتا : لا تجعل الأمر يلتبس عليك. فهناك المئة مليون ليرة سندات الخزانة لحاملها، فهذه ستدخل جيبك عن آخر مليم لأنها معفاة من جميع الضرائب.

جاكومينو : أتريد أن تقارنها بنصيبي في الميراث؟

جيرونتا : لحظة واحدة. إذا رفضت الميراث فإن الورثة سوف يقدمون لك مكافأة مالية، ويعطونك (يتناول من الدرج مائة مليون ليرة سندات خزانة ويضعها على المنضدة) سندات خزانة قيمتها مائة مليون ليرة. (يتناول أيضا أربع رزم في كل منها عشرة ملايين ليرة ويضعها على المكتب) و. . واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة رزم في كل منها عشرة ملايين. . أي أربعون مليون ليرة. . (تعقد الدهشة لسان جاكومينو وتجحظ عيناه) فإذا وقعت إقرار التنازل هذا، فسوف تكسب أربعين مليونا أخرى فإذا أضفتها إلى المئة مليون يصبح إجمالي المبلغ مئة وأربعين مليون ليرة. هذا ما استطاع أن يفعله من أجلك خادمك وأخوك جيرونتا.

جاكومينو : (يغمغم مرتبكا) أليس في استطاعتهم أن يعطوني شيئا أكثر؟

جيرونتا : الورثة سوف يتكفلو ن بكل الضرائب. . يا لهم من مساكين! سيتلقون ضربة قاصمة. أنت أحسن منهم حالا. وإذا قررت أن توقع الإقرار فلا تحدث أحدا عما أخذت وعما لم تأخذ لأنك إذا وافقت فيجب ألا تظهر أمام القانون أن وراء التنازل اتفاقاً سرياً بينك وبين الورثة.

جاكومينو : ومن يفتح فمه؟ ثم إني قطعت تذكرة السفر إلى الأرجنتين وسأسافر غدا .

جيرونتا : هذا عين الصواب وإلا فإن كارميلوتشو لن يتوانى عن قتلك في أي مكان يجدك فيه .

جاكومينو : وهل تعطيني النقود؟

جيرونتا : النقود تأخذها وترحل ومعها هذه الحقيبة أيضا (يضع المئة وأربعين مليون ليرة في الحقيبة ويقفلها) ويمكنك أن تثق أنها كاملة عن آخر مليم لأني عددتها بنفسي .

جاكومينو : (متلهفا) دعني أوقع التنازل .

جيرونتا : انتظر (ينادي) ازيدورو!

ازيدورو : (من الداخل) أمرك!

جيرونتا : ادخل السيدة .

ازيدورو : (تتبعه السيدة انجيليكا توزيللي) تفضلي يا سيدتي .

انجيليكا : (سيدة شابة في نحو الخامسة والعشرين، منظرها يلفت الأنظار وتتمتع بالثقة في النفس) عفوا يا سيد سبتزيو ولكن زوجي يتعجلني من السيارة بآلة التنبيه، وقد خرجت مرتين لأطلب منه أن ينتظر.

جيرونتا : لا تـؤاخذينـي يا سيـدتي الموثقة إذا كنـت قد اضطـررت للانتظار أكثر من اللازم .

انجيليكا : لننته بسرعة .

جيرونتا : إذا أراد زوجـك الـذهـاب فليتفضـل وسـأصحبـك أنـا بالسيارة حتى سورنتو.

انجيليكا : كلا . . كلا . . سأذهب معه ولكن لنسرع .

جيرونتا : هل أحضرت معك الختم؟

انجيليكا : وماذا نفعل بدونه . أحضرت كل شيء الختم والختامة .

جيرونتا : هذا هـو إقرار التنازل . . ثـلاث نسخ مكتـوبة على ورق دمغة . انظري إن كان صحيحا .

انجيليكا : (تقرأ) «إقرار تنازل . الجمهور ية الإيطالية . إنه في يوم . . من شهـر . . سنة ١٩٦٧ إلخ إلخ تقـدم السيد جاكـومو تروتشينا . . أين هو؟

جيرونتا : هذا .

انجيليكا : (تلقي عليه نظرة عابرة) عظيم . (تواصل قراءة الإقرار في السر) .

جاكومينو : حضرتك موثقة عقود؟

انجيليكا : ولم السؤال؟ ألا يعجبك؟

جاكومينو : بلى . . بلى .

جيرونتا : السيدة مكتبها في سورنتو وكسبا للوقت رجوتها وأنا عائد إلى نابولي أن تحضر لتوثيق الإقرار، وستنتهي العملية في خمس دقائق وتحل مشكلتك . هل أحضرت معك الصورة؟

جاكومينو : تركتها في الخارج لأنها كبيرة فقد صنعتها بالحجم الذي طلبته .

جيرونتا : دعه يساعدك واحضرها هنا . ساعده يا ازيدورو.

جاكومينو : لا داعي . يمكنني أن أحضرها وحدي .

ازيدورو : اثنان أفضل من واحد (يخرج وراء جاكومينو)

جيرونتا : (مشيرا إلى الإقرار الذي تقوم بقراءته انجيليكا) لقد حرره زميل لك .

انجيليكا : مضبوط، مضبوط . سأوثقه وأسلمه لك .

جيرونتا : وستتولين أنت التسجيل .

انجيليكا : التسجيل يحتاج إلى خمسة أو ستة أيام .

جيرونتا : إن ما يهم جاكومينو هو أن يأخذ العقد موثقا اليوم .

(ازيدورو يحمل وبرفقته جاكومينو صورة كبيرة مغلفة بالورق، ومربوطة بدوبار. الصورة في نفس حجم الصور التي يقدمها ازيدورو للناس على حامل الرسم الكبير بناء على طلب جيرونتا)

ازيدورو : ها هي.

جاكومينو : لنضعها هنا.

انجيليكا : الإقرار لا غبار عليه، فلنسرع. اعطني بطاقة تحقيق شخصية.

جيرونتا : تعال يا جاكومينو.

جاكومينو : حالا. (يسرع إلى المكتب ويناولها بطاقة تحقيق الشخصية)

انجيليكا : اسمعني وركز معي. (تقرأ الإقرار في عجلة وتسأل جاكومينو بين الحين والحين) فاهم!

جاكومينو : نعم.

(انجيليكا توجه إليه السؤال مرتين أو ثلاث مرات أخرى. فيجيبها بثبات بالإيجاب)

انجيليكا : (تقرأ)

إقرار تنازل عن ميراث

الجمهورية الإيطالية

إنه في يوم ٦ من شهر يوليو سنة ١٩٦٧ وبحضوري أنا انجيليكا توزيللي موثقة عقود مدينة سورنتو تقدم السيد جاكومينو تروتشينا المولود في بلدة كاليفانو بمقاطعة نابولي يوم ٣/ ٢/ ١٩٢٠ والمقيم في شارع مونتيكو بإقرار تنازل وذلك بدون شهود وبناء على رغبته وبعد موافقتي. ويقر المذكور أعلاه بالتنازل عن الميراث المخصص له في الوصية العلنية المؤرخة في ٢٤/ ٥/ ١٩٦٥ المشهرة بالمحضر المحرر من موثق العقود استرافينو أرتورو بشأن وصية السيد جايتانو تروتشينا.

وبناء على ما طلب مني تسلمت الإقرار وقمت بقراءته على المتقدم قبل التوقيع فأقر بأنه مطابق لإرادته وموافق على كل ما يترتب عليه قانونيا.

(تقدم الورقات الثلاث وقلما إلى جاكومينو) والآن وقع.

جاكومينو : حاضر (يوقع)

انجيليكا : اعطها لي. (تقوم بدورها بتوقيع الورقات وتختمها) تمام. هذا الإقرار المعتمد احتفظ به أنت، أما هذان فسآخذهما معي لأقوم بإجراءات التسجيل.. ألف مبروك ومع السلامة. سأنصرف لأن الوقت تأخر جدا.

جيرونتا : شكرا يا سيدتي الموثقة .

جاكومينو : شكرا .

جيرونتا : بخصوص الأتعاب سأحضر إلى مكتبك .

انجيليكا : تشرف في أي وقت . . طاب مساؤكم .

جيرونتا : رافق السيدة يا ازيدورو.

ازيدورو : حالاً. (يخرج)

جيرونتا : انظر في عيني يا أخي الآن .

جاكومينو : حاضر.

جيرونتا : لقد نلت المئة وأربعين مليون ليرة .

جاكومينو : (مرتبكا) أين هي؟

جيرونتا : في هذه الحقيبة .

جاكومينو : افتحها ودعني أراها مرة أخرى .

جيرونتا : (يفتح الحقيبة) انظر.

جاكومينو : هل قمت بعدّها بنفسك؟

جيرونتا : مرتين . . كن واثقا . (يقفل الحقيبة ويناولها إلى جاكومينو) إنني أشعر بالسعادة لأنني أعدتك إلى الدنيا .

جاكومينو : (يضم الحقيبة بيديه محموماً) لقد أنقذتني!

جيرونتا : أعدت إليك الحياة.

جاكومينو : (تنهال دموعه) هذا حق.. هذا حق.

جيرونتا : فماذا يصبح الإنسان بلا مال؟ جسدا بروح.

جاكومينو : ميتا.

جيرونتا : وأنت كنت ميتا.

جاكومينو : ميتا يمشي على الأرض.

جيرونتا : ميتا من الجوع.

جاكومينو : وأنت بعثتني إلى الحياة.

جيرونتا : عظيم. هذه هي الكلمة الصحيحة. كف عن البكاء وأرني الصورة.

جاكومينو : إنها حسنة وتطابق صورتي الحقيقية (يفك دوبار الصورة ويخلصها من اللفة الورقية بمعاونة جيرونتا ودون أن يبتعد عن الحقيبة)

جيرونتا : ستظل ذكرى منك في بيتي بعد رحيلك غدا.

جاكومينو : لقد عانيت الكثير في إيطاليا ولن أبقى بها حتى لو جعلوني أسقفا. (يريه الصورة في اعتزاز) انظر.

جيرونتا : رائعة .

جاكومينو : لقد أخذت الوضع الذي أشرت به علي .

جيرونتا : ولن تبخل علي بكلمة إهداء .

جاكومينو : ليست لي دراية كبيرة بالقلم فقد درست حتى الثالثة الابتدائية .

جيرونتا : (يناوله القلم) سأساعدك أنا . اكتب «إلى أخي جيرونتا . . » .

جاكومينو : (يكتب بصعوبة) « . . جيرونتا . . » ثم ماذا؟

جيرونتا : كفى .

جاكومينو : أريد أن أكتب أنك أنقذتني وأعدتني إلى الحياة .

جيرونتا : (ساخرا) وأني بعثتك حيا .

جاكومينو : (يجد الكلمة مهللا) «إلى أخي جيرونتا الذي بعثني حيا . . جاكومو تروتشينا»

جيرونتا : يمكنك الانصراف الآن .

جاكومينو : سأذهب من فوري إلى نابولي . و في الصباح . .

جيرونتا : احرص على النقود .

جاكومينو : الحقيبة قديمة ولن تغري أحـدا أبدا. ولكن أمتأكد أنك عددتها جيدا .

جيرونتا : لا يساورنك شك يا أخي .

جاكومينو : سأرسل إليك بأخباري من الأرجنتين .

جيرونتا : أود أن أعانقك .

جاكومينو : الوداع يا أخي (يخرج جاكومينو بعد العناق)

جيرونتا : (يطل على حجرة مجاورة وينادي) يا سيد لنشانو!

لنشانو : (من الـداخل) رهن إشـارتك . (يـدخل) كنت أشـاهد الحفل من النافذة. ماذا تم؟

جيرونتا : أنت موفق . . لقد تمت الصفقة .

لنشانو : أوه . . الشكر لله!

جيرونتا : هذا هو إقرار التنازل موقعا عليه .

لنشانو : وماذا نصنع به بدون توثيق موثق العقود؟

جيرونتا : إنه موثق .

لنشانو : (مندهشا) من موثق العقود؟

جيرونتا : ومن يوثقه غيره .

لنشانو : هل أحضرته أنت .

جيرونتا : كلا، أحضره جاكومينو تروتشينا .

لنشانو : ماذا تقول . .

جيرونتا : كان يتعجل إنهاء الموضوع لأنـه سيرحل في الصباح فجاء مستعدا .

لنشانو : ويقولون ويعيـدون عن الفلاحين وسذاجتهـم . . عال، عال . . ولم تستطع أن تقنعه بقبول مبلغ أقل؟

جيرونتا : وجدت أن لديه الاستعداد .

لنشانو : حمدا لله .

جيرونتا : كلمتـه للتنـازل عـن ثلاثين مليـون ليرة فلـم يطـرف لـه رمش .

لنشانو : كريم أنت يا رب!

جيرونتا : ولكن لم يكن في وسعي أن أغشه وألا أخبره بأنك ستدفع لـه المبلغ مقـدما، ومـا أن سمـع اسمك حتـى تحول إلى وحش كـاسر وتشبث بمـوقفه ورفـض التنازل عـن مليم واحد .

لنشانو : ولماذا ذكرت له اسمي بحق السماء!

جيرونتا : لأني لا استطيع أن أكـذب يا عزيـزي لنشانـو. فالملايين دفعتها أنت مقدما وكان لابد أن يعرف . وهل كان يمكن أن أغالط ضميري . على أية حال كـان قاسيا جدا معك وو صفك بأنك مراب .

لنشانو : أوه!

جيرونتا : وأنك مكروه من أهل البلدة جميعا .

لنشانو : أقال هذا؟

جيرونتا : وغيره مما لا أريـد أن أردده على مسامعـك . ولقد فعلـت الكثير حتـى أثنيه عـن عزمـه وأمنعـه عن تقـديم بـلاغ يتهمك فيه بالابتزاز.

لنشانو : لو فعل هذا لتكفلت به أنا .

جيرونتا : كلا ، كـلا يا عـزيزي لنشـانو فشهـادتي لصالحه كـانت سترمي بك في السجن في التو.

لنشانو : وهل كنت تشهد ضدي؟

جيرونتا : هل بيني وبينك سوء؟

لنشانو : كلا .

جيرونتا : حسن، ألم أقل لك منذ قليل إني أقدرك وأكن لك المحبة؟ أليس كذلك؟ ومع ذلك ففي المحكمة وأمام العدالة لم أكن أقول سوى الحقيقة دون غيرها.

لنشانو : معلوم، مؤكد. .

جيرونتا : على كل حال لا تحزن فإن رأس مالك جلب لك خمسة ملايين ليرة في أربعة أو خمسة أيام على الأكثر. فماذا كنت تريد أكثر من هذا؟ أن تربح ألف في المئة؟ أليس جاكومينو تروتشينا على حق؟

لنشانو : مضبوط، مؤكد. .

جيرونتا : لم أترك سبيلا إلا طرقته حتى أزيد من أرباحك، ولكن حين أدركت أن الإلحاح يهدد بفشل الصفقة كلها فكرت في ضرورة إبرامها. (يخطر له فجأة خاطر فيلقي نظره على درج المكتب ويغلقه) وأبرمتها على الفور.

لنشانو : أحسنت صنعا.

(تتعالى من الداخل أصوات وقع أقدام تقترب وغمغمة

أشخاص يحملون أشياء ثقيلة بمشقة)

ازيدورو : (من الداخل) بهدوء، بهدوء. . احترسوا أن تتسخ الجدران وابتعدوا عن الأبواب.

نابليوني : (كالسابق. يقود المجموعة ويوجهها) ضعوا أولا المقاعد ولوحي الخشب! واحترسوا حين تضعوا اللوحين على المقاعد (يدخل أربعة عمال كأرباب السجون ويحملون كراسي بدون مساند مشغولة بالقش ولوحين من الخشب الغفل. حين يصلون إلى منتصف الحجرة يصنعون مائدة من الكراسي ولوحي الخشب. في نفس الوقت يدخل العروسان ووراءهما ابنا العروس وقريب نابليوني. العمال الأربع يتنحون جانبا. يدخل ازيدورو وبرفقته عمال وفلاحون في أعقاب نابليوني الذي يفسح الطريق أمام اثنين من الفلاحين كالوحوش يحملان نصف ذبيحة «بتلو» لم يمض على ذبحها إلا القليل ويقول منتشيا) سيدي سبتزيو! خادمك الأمين نابليوني بوتا جاء يحمل إليك دليل إخلاصه ويضعه تحت قدمي سيده.. (ثم يتجه إلى الفلاحين) انزلا حملكما! (الفلاحان يضعان حملهما الثقيل في صخب على المائدة المرتجلة) هذا نصيبك الذي تستحقه عن حق.

جيرونتا : هذا كثير جدا! ماذا أفعل به.

نابليوني : ذقه.. يكفي أن تأكل قطعة صغيرة منه كهذه، ثم وزع ما لا تحتاجه على الأصدقاء أو الفقراء فهذا سيسعد نابليوني بوتا كثيرا.

جيرونتا : شكرا ويؤسفني أنني لم استطع الحضور إلى الكنيسة للمشاركة في الزفاف.

نابليوني : أعرف أنك كنت عند السيدة شقيقتك في نابولي، وقد أحضرت الأسرة هنا لتتعرف عليها. (يشير إلى أفراد الأسرة) مادلينا تريونفو أصبح لقبها الآن مادلينا بوتا بعد أن تزوجتها (يلتفت إلى مادلينا في هيمنة قائلا) أدي فروض الولاء إلى سيدك!

مادلينا : (عابسة ومكفهرة الوجه) خادمتك.

جيرونتا : (في غموض) عظيم.

نابليوني : ابنا مادلينا تريونفو، رومنكو وفرانشيسكو اللذان أصبح لقبهما الآن بوتا أيضا. (يتوجه إلى الشابين بنفس اللهجة السابقة) سلما على سيدكما!

الاثنان : (وعيناهما إلى الأرض) خادمك.. خادمك.

نابليوني : (مشيرا إلى قريبة) بسكوالي ساليني.. حفيد أخت غير شقيقة من الزواج الثاني لابن أخ جدي.

بسكوالي : (يغمغم) سلامات! (يدير رأسه إلى الجانب الآخر)

نابليوني : لم أره منذ خمسة عشر عاما، ولكي أجده اضطررت أن أقلب عليه الدنيا في كل مكاتب الفيش والتشبيه في نابولي وفي المحافظة كلها.

جيرونتا : (في غموض) عظيم. عظيم يا نابليوني! لقد أصبحت صاحب أسرة وبإمكانك الآن أن تعيش في سلام. مادلينا تريونفو. اسم جميل عليك يا عزيزتي مادلينا أن تكوني رفيقة مخلصة لزوجك ودعامة للأسرة.

مادلينا : إذا كسب الإنسان قرشا يجب أن يحافظ عليه لبيته ولأبنائه، لأنك لو كنت صاحب مركز مرموق فالجميع يتوددون إليك ويحترمونك أما إذا كنت معدما فالناس يتحاشونك ويديرون لك ظهورهم حتى لو كنت تشرف على الموت جوعا. وإذا استمر نابليوني في بعزقة النقود بلا حساب كما فعل في حفل الزفاف فإن الزواج سينتهي شر نهاية. قلت له هذا أمس وقلته له اليوم عند خروجنا من الكنيسة.

نابليوني : (في إحساس بالرضا والفخر الصادق بحسن اختياره) إنها نعم الزوجة.

جيرونتا : (في غموض) عظيم. (ثم يتوجه إلى بسكوالي) وأنت ماذا تعمل؟

بسكوالي : (متجهما) «بالوعاتجي».

جيرونتا : ماذا؟

نابليوني : عمل دائما في البالوعات والأبيار الصحية، ولكن بعد أن جئت به ليبقى في بيتي سيعمل معي.

بسكوالي : (دون أن يرفع عينيه عن الأرض) أنت طلبتني ، وأنا لبيت طلبك ، ولكن ليعمل كل منا فيما يريحه .

نابليوني : (ينتحى جانبا بجيرونتا) سوف يرتبط بنا بمرور الوقت .

جيرونتا : (في غموض) عظيم .

نابليوني : (ملمحا) والآن أنا في الانتظار.

جيرونتا : انتظار ماذا؟

نابليوني : هديتك من الورد إلى العروس وصلتنا ولكن هديتك إلي لم تقدمها لي بعد .

جيروتنا : لقد جهزتها ولا عليك إلا أن توقع . هاهو العقد . (يقدم له العقد المطبوع والقلم)

نابليوني : (عندما يرى العقد يقف مشدوها ويتمتم فرحا) إن قدمي ترتعشان يا سيد سبتزيو، قلبي يؤلمني . . أحقا تعطيه لي؟ أأستطيع أن أوقعه؟ إنني أموت . .

جيرونتا : (في برود) وقعه أولا.

نابليوني : نعم . (يوقع على العقد ويستولي عليه ويخفيه في قميصه)إنني استحقه .

مساعد الشرطة : (يدخل ووراءه نونتزياتا وبريجيدا) يا سيد سبتزيو جئنا لنسلم عليك قبل أن ننصرف .

لنشانو : وأنا أيضا حان وقت انصرافي.

جيرونتا : أتنصرفون جميعا؟

نونتزياتا : الوقت متأخر.

نابليوني : إذن لا تكسفوني ولنشرب كأس شامبانيا في صحة العروسين وتكريما لصاحب البيت. (الفلاحو ن أحضروا الصواني وعليها كؤوس وشامبانيا للجميع. تنزع السدادات من الزجاجات وتملأ الكؤوس إلى آخرها. يرفع نابليوني كأسه قبل الآخرين إشارة لبدء النخب الجماعي) في صحتكم!

الجميع : في صحتكم!

لا أحد يحتسي كأسه انتظاراً لإشارة جيرونتا الذي ينهض ويأخذ طريقه في بطء نحو المقعد الضخم المذهب «العرش» وحين يصله يدرك ازيدورو مقصده فيبسط العباءة ويضعها على كتفيه. ما أن يتجه جيرونتا إلى الضيوف، ويلقي عليهم نظرة شاملة كأنهم رجل واحد، ينحني له الجميع ويتمتعون كأنهم في حلم «صاحب السعادة! صاحب السعادة!». بعد وقفة قصيرة يرسم جيرونتا على شفتيه ابتسامة خفيفة للجميع ويرفع كأسه.

جيرونتا : أشرب نخب صحة ورفاهية وسعادة الأسرة الجديدة وأتمنى لنابليوني بوتا ألا تبارحه قط الروح التي تفجرت في نفسه بعدما جمعه الرباط المقدس بالسيدة الرقيقة الحلوة الطيبة الوديعة مادلينا تريونفو (تصفيق) فكأني بها وقد فاضت عليه نفسها الكريمة فتفتح قلبه للمروءة والتفاهم والرحمة والحنان والمحبة نحو الوالدين والأهل والأصدقاء والجيران والوطن (تصفيق ودموع). لقد كان الجميع يمقتونه لبخله وشحه وتقتيره وجشعه. ولم يكن هذا إلا حلقة مفرغة فكلما ازداد المقت حوله كلما جمع وعدد وكدس وكوش وحوش ليحمي نفسه من المقت ويصارعه (همهمات تأييد) ولكن من الآن فصاعدا لن يصارع نابليوني. فهل أحد منكم يريد له الموت؟

الجميع : لا !!!..

جيرونتا : نريده حيا سخيا (يتوجه إلى الجميع) تفضلوا.. خذوا ما تشاؤون من خيرات الله التي ملأ بها بيته.. خذوا الفاكهة والدجاج والبيض الطازج والجبن ولحم الخنزير.. وأنت يا سيدة نونتزياتا خذي بعض الأوز والدجاج. لا تخجلوا ولا تخافوا اقتربوا من الموائد فهذا يدخل السعادة على قلب نابليوني.. نابليوني الذي عرف الحب. هاهو أمامكم ترونه متهللا ومرحبا وعلى أهبة الاستعداد للعطاء والعطاء والعطاء ولا يطلب منكم في

مقابل هــذا إلا أن تمنحـوه محبتكـم. دائـــرة من المحبة لا يستطيع حتـى الموت فرط عقـدها. دائرة المحبـة التي تجمـع شملكـــم وتـربطكـم بـربـــاط احترام المصلحـة العامة.. محبة حقة طاهرة خالصة منزهة.

يغلب التـأثر على نابليوني فـلا يرفع عينيه المفتـونتين عن جيرونتـا على حين لا يتـــابـع الآخـــرون نهايـة النخـــب فينهمكـون بهمة ونشـاط في نـزع الليمـون والبرتقال مـن السلال، ويكـوم كل منهم أمـامه على الأرض كومـة من الدجاج ولحم الخنزير والجبن.

يسدل الستـار

عمدة حي سانيتا

تــأليـــــف : ادواردو دي فيليبو

ترجمـة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان

مراجعــــــة : د. كليليا تشركوا

العنوان الأصلي للمسرحية

IL SINDACO DEL RIONE SANITÁ

مقدمة

تقوم مسرحية «عمدة في حي سانيتا» على قضية العدالة، ومالها من أهمية مصيرية في حياة الناس. والعدالة عموما من القضايا البارزة التي عني بها ادواردو دى فيليبو في كثير من مسرحياته على مدى حياته المديدة، ونذكر من ذلك مسرحية «فيلومينا مارتورنانو»(١٩٤٦) ومسرحية «دي بريتوري فتشنزو»(١٩٥٧) ومسرحية «العقد» (١٩٦٧).

ولاشك أن للعدالة مؤسساتها الشرعية والرسمية في كافة المجتمعات، ولاشك أيضا أنها تقوم على دساتير وقوانين توحد بين الناس، وتنص على كفالة الحقوق وضمان وصولها لأصحابها. وادواردو دي فيليبو لا يقف في وجه هذه العدالة، ولا يكيل لها الاتهامات ولكنه يرى في نهج تطبيقها عمليا خللا بينا يترتب عليه ضياع الحقوق والتسبب في الظلم، ويسعى من خلال معالجته المسرحية إلى البحث عن طرق لإنصاف المظلوم وأساليب قويمة لرد الحقوق المسلوبة إلى مستحقيها، والتنبيه إلى أوجه القصور في المجتمع وفي إجراءات تحقيق العدالة.

ومن خلال شخصية دون انطونيو بطل المسرحية «يوجه المؤلف دعوة إلى المسئولين للاقتراب من الشعب ومحاولة تفهمه ومعالجة جراحه، وفي نفس الوقت يوجه نداءه إلى المجتمع الإنساني للتمسك بالقيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية»(*).

ويوضح الناقد الإيطالي أندريا بيزيكيا أن وراء هذه الدعوة عوامل اجتماعية

---

* جنارو ماليولو ـ ادواردو دي فيليبو ـ كابيللي ـ بولونيا ـ ١٩٥٩. ص٢٣٧.

وأخلاقية تقف في وجه العدالة وتعمل على النيل منها. فيقول في دراسته عن مسرح ادواردو: «إن المجتمع لا يمكن أن يبلغ مبلغ الرخاء اعتمادا على الفساد وحتى إن كانت القوانين والعدالة تبدو صحيحة فإن أطماع الحياة ودناءتها تحول دون سلامة تطبيقها». و«إذا كان المجتمع ظالما فإن العدالة تقع فريسة لألاعيب الأقوياء واحتيالهم. ومن ثم لابد أن يكون هناك علاج. والعلاج هو الثورة على الظلم فإذا كانت القوانين لا تستطيع أن تمد إلينا أيديها فإن الناس في مقدورهم أن يحلو محلها، وأن يقيموا العدالة بأنفسهم»(*).

ووجود الظلم وتلاعب القادرين بالقوانين وتسخيرها لصالحهم يفرز نوعا آخر من العدالة يسير جنبا إلى جنب مع العدالة الشرعية، وهو عدالة الضعفاء وهي نوع من العدالة التلقائية والفورية التي تقوم على مواجهة القهر ورفع الظلم من منطلق اليأس والتدمير عملا بمبدأ «علي وعلى أعدائي». وبديهي أن هذه الازدواجية في التعامل مع الحقوق من شأنها أن تهدد المجتمع، وأن تعرضه للفوضى ولافتقاد الأمن والأمان، ويرى ادواردو دي فيليبو أنه «من الضروري التصدي لهذا الوضع للوقوف أمام الجهل من جانب والعثور على نهج قويم لتحقيق العدالة من جانب آخر، فالقانون لا يقبل علينا أحياناً، وإذا أقبل فإن الناس لا يقبلون فالحل الوحيد إذن هو أن نقيم العدالة بأنفسنا تماما كما كانت تفعل الكامورا في نابولي أو المافيا في صقلية»(**).

وجدير بالذكر أن عصابات الكامورا في نابولي هي وليدة المافيا في صقلية شأنها في هذا شأن مثيلتها المسماة في كالابريا اندرجيتا. ولقد قامت هذه العصابات على الأسس العتيقة لتنظيم المافيا المعروف. وكان هذا التنظيم في الأصل يضم عقلاء القوم في المناطق النائية في صقلية في الماضي. وكان القانون

* اندريا بيزيكيا ـ دعوة لقراءة ادواردو ـ مورسيا ـ ميلانو ـ ١٩٨٢. ص١١٠ وص١٢٧.
** جوفاني انطونوتشي ـ ادواردو دي فيليبو ـ لومنيه ـ فلورنسا ـ ١٩٨١ ص١٢٥.

ورجاله لا يصلـون إلى تلك المناطق لبعدهـا عن العاصمة، وصعـوبة السيطرة عليها. فكان هؤلاء يقضون بين الناس بـالعدل، وعلى أساس قانون شرف غير مكتوب ومعلوم للجميع يـدينون له بالطاعة والولاء، وغني عـن الذكر أن هذا التنظيم الاجتماعـي قد تحول فيها بعـد إلى عصابـات إجراميـة تقوم على سفـك الدماء والإتجار في المخدرات والأعراض وتنتهج الاحتكارات والخطف والفساد السياسي.

وفي الواقع فإن كثيرا من ملامح شخصيـة دون انطونيو، ومن مفاهيم رؤيته للعـدالة وأسلـوب معالجتهـا تـدل على انتمائه لشخصيات ذلـك العالم التليـد المفقود. ولقب عمـدة المقرون باسمه لا يعنـي وظيفة رسمية أو تسكينا قـانونيا وإنما هو لقـب خلعه عليه أبنـاء الحي لما لمسوه فيـه من إيمان بهم وبقضايـاهم ومن نجدة منزهة عن الغرض وعدالة في الحكم بينهم قبل كل شيء. وهو وإن كان لا يختلف كثيرا في حالتنا هذه عـن لقب «الأب الروحي» الذي يطلق على زعماء المافيا ممن يسبغون حمايتهم على المستضعفين إلا أن المؤلف في اعتقادنا قد نأى بـه عن شخـص دون انطونيـو ليجعل منـه جانبـا متمما للعدالـة الشرعية وضوءا يكشـف عن المسـاحات المعتمة في نظـامها دون أن يكـون نقيضا لها أو مناهضا لحرماتها.

وإذا نظـرنا إلى بـاقـي شخصيات المسرحيـة نجدهـا جميعـا تدور في فلـك شخصية دون انطونيو، وأن لكـل منها دورا يعكس جانبا أو بعدا مـن أبعادها الظاهرة أو الباطنة.

ودون انطونيو شخصية مهيبة تحيط بها هالة من العظمة والشموخ والجلال تدخـل الرهبة في النفوس، وهـو على قلة إلمامه بـالقراءة والكتابة رفيـع الذوق متقد الـذكاء واسـع الحيلة نافـذ البصيرة، وعلى الرغم مـن شدة ثـرائه وعظمة جاهه إلا أنه خرج من صفوف العامة ومن أكثر الطبقات فقرا وعوزا.

وقصته في الحياة قصـة المظاليم المهدرة حقوقهـم العاجزين أمـام التلاعب

بالقانون. . وقصة الضعفاء الذين ينصّبون أنفسهم قضاة ومنفذين للأحكام لينالوا حقوقهم بأيديهم، والفارق بينه وبين أبناء طبقته هو قدراته الشخصية الخارقة وإرادته القوية وتميزه النادر في خوض تجارب الحياة والإفادة منها واستيعاب دروسها.

وهو نفسه قد تعرض في صباه لعسف الأقوياء وظلمهم وكاد أن يفقد حياته مرتين. مرة نتيجة لهذا العسف ومرة نتيجة لاقتصاصه لنفسه بيده. وخرج من التجربة بمجموعة من القواعد القانونية والاجتماعية والنفسية بني عليها منهجه في استيعاب العدالة وإقامتها في الحي الذي يعيش بين جوانبه، وهو حي من الأحياء الشعبية البسيطة المكتظة بالفقراء وأغلبهم من الحرفيين وصغار التجار والعاطلين، والجهل - على حد تعبير دون انطونيو - هو السيد المطلق في هذه البيئة. ومن هنا وهب حياته بعد تجربته المريرة وبعد الأخطار التي كادت تعصف بحياته لنصرة هؤلاء الفقراء والجهلاء المغلوبين على أمرهم ليعمل على وصول الحق إليهم ويساهم في تلافي وقوع الجرائم في المجتمع ويعرض دون انطونيو في بساطة وفطنة حقيقة الأوضاع القانونية والسلبيات التي تكتنفها والمخاطر الناجمة عنها كما تتمثل في الواقع، ويوضح أيضا فلسفته في تناولها ونظرته إلى أبناء الطبقة المغمورة. ففي الفصل الأول حين يثور عليه الدكتور فابيو بعد أن يفقد الثقة في استحقاق هذه الفئة من الناس في العدل المنزه ويصفهم بأنهم سفلة منحطون وسبب البلاء في كل مجتمع، يرد عليه دون انطونيو بأنهم الضحايا الحقيقيون: «مؤكد أنهم الضحايا لأنهم جهلة والمجتمع يستغل جهلهم. . إن الجرائم والجنح التي يرتكبها الجهلة تتحرك بها وتعيش عليها عجلة الشراهة في المجتمع بأكملها. الجهل سهم رابح. ضع إلى جانبك جاهلا وعش هنيئا بقية حياتك. ولكن الجاهل قد فهم. . فهم أن من له قديس يحميه يدخل الجنة فيقول في نفسه إذا ذهبت إلى المحكمة لأسوي هذه القضية فمهما كان الحق معي فإن الخصم إما أن يلجأ إلى القديسين الذين يحمونه، وإما أن يأتي بثلاثة أو أربعة شهود زور، وأنت تعلم أنهم شهود

مأجورون يعملون لحساب من يـدفع، وتجدهم على باب المحكمة نفسها». .
(يقلد صوت القـاضي المهيب) «قل أقسم بـالله أن أقول الحق، كل الحـــق، ولا شيء غير الحق» ويقسم الأوغـاد الأربعة. فيقول الـواحد منهـم إذن هناك ملعوب. . شهـادة الزور، وفي نفس الوقـت لا يجد الأدلة وإن وجدهـا تختفي لأن النقود لها أرجل تقف عليها وعجلات تمشي بها. ولا يخسر الجاهل القضية فقط وإنما يقع في عدة إشكالات بتهمة القذف والتشهير. ولذا فإنه بدلا من أن يعرض نفســه لمخاطـر اللجوء إلى المحكمـة فإنـه يذهـب من فـوره وبنفسه إلى الخصم، ويأخذ حقـه بيده، وصحيح أنه يدخل السجـن ولكن الخصم أيضا يدخـل القبر»(*). ويخاطب دون أرتورو في موضع آخـر بقوله: «فلاداعي إذن للمهندس والمعماري. هذا النوع من الناس يحفظ القانون عن ظهر قلب وحين يجيئـون لتكبيل رجـل أقدم على البنـاء ويجهل أصـوله فـإنهم لا يتركونـه إلا إذا ساقوه إلى أحد سبيلين: إما الإفلاس، وإما مستشفى المجانين. . ولأن الجهل شديـد فإنهم يعيشون في تـرف ورفاهية، وهـم دائما على حق أمام القـانون لأن القانون لا يعترف بالجهـل، وفي رأيي أن هـــذا ليس عدلا لأن القـانون بهـــذا لا يعترف بثلاثـة أرباع الشعـب. ولكن إذا عُـدّلت العبـارة على سبيل المثـال لتصبح «القـانون يعترف بالجهـل» فإني أضمن لـك أن أكثر من نصـف هؤلاء السادة سيخفون شهاداتهم وسيصبحون على الفور جهلاء»(**). ويخلص من تحليله هذا إلى «أن القانون عادل ولكن الناس يأكلون بعضهم بعضا. . الخبث يأكل الجهل، وأنا أدافع عن الجهل»(***).

وهكذا فإن دون انطـونيو يدافع عـن الجهل، ولكنه لا يدافـع عنه سعيا وراء الجاه والنفوذ، وإنما يدافع عنه لهدف محدد هو أولا وأخيرا صون المجتمع وحمايته. وهـو لا يسبـغ حمايته مـن فـراغ بـل يسبغهـا نتيجـة لحنكة في الحيـاة، ومعـرفـة بأغوارها، وبطبائع البشر، ويقين من دواعي الشقاء وأسباب السعادة.

---

* الفصل الأول.
** الفصل الثاني.
*** الفصل الثاني.

ويكفي في هذا الصـدد الإشارة إلى موقفين لاشك في أنهما ليسا الـوحيدين ولكنهما يكفيان لبيان مـدى حكمة دون انطونيو وعمق تجربتـه في الحياة . ففي الموقف الأول نجـده يلقن رافيلـوتشو درسـا في تعريـف الرجـل الحق بقولـه : «الرجل رجل فقط إذا لم يكن عنيدا متصلبا ، وإنه إذا أدرك أن لابد من التراجع يتراجع ، وأنه إذا أيقن أنه أخطأ يتحمـل مسئولية خطأه ويحاول الاعتذار، وإذا تـأكد مـن تفوق رجـل آخر عليـه يعترف بهذا . الـرجل رجـل إذا عرف مـدى شجاعته وكيـف يحسن استخدامها ، وأدرك مـدى خوفه ، وعرف كيـف يتدبر أمره»(*) . وفي الموقف الثاني نجده يحذر أباه من أن الصراع على المصالح المادية بين الأبناء والآباء يمكـن أن يولد البغض والكـراهية ويؤدي إلى سفك الـدماء فيقول له : « . . . وذات يوم قال لي ابني جنارو وكـان يومها في الثامنة من عمره صحيح يـاأبي عندما تموت ستصبـح كل هذه الأمـلاك لي؟ . . . آه إذن الأبناء ينتظرون مـوت الآباء وأبنائي أنـا جنارو وأميديو وجيرالـدينا هل ينتظـرون موتي عندمـا يكبرون؟ لا ياجنـارو يابنـي . . ليس عنـدما أمـوت بل الآن . . كلهـا أملاكك من الآن . . واستـدعيت موثق العقود وقسمت أملاكـي ثلاثة أقسام ودفعـت الضرائب وكتبتها كلهـا بـأسمائهـم وأنا على قيـد الحيـاة . والآن حين ينادونني بكلمة أبي يعرف كل منا حقيقة معنى هذه الكلمة»(**) .

وعدالة دون انطونيـو عدالة صارمة وفورية لا تعرف التـأجيل والتسويف ، ولكنها في نفس الوقت عدالة محسـوبة لها قوانينها ، ولها إجراءاتها الدقيقة ، كما وأنها تستمد قوامها من المثالية والموضوعية التي لاحيدة فيها مهما كانت مشاعره الخاصة نحـو أشخاص المتقـاضين . فهو إذا اتخذ حكما في شـأن أحد لابـد أن يقتنع أنه ليس أمامه غيره ، ثم يقوم من فوره بتحذير صاحب الشأن . والقضية عنده «جرسان دائما ، وقد اعتدت أن أسمعهما يدقان معا فالجرس الواحد يدق

* الفصل الثاني .
** الفصل الثاني .

للموتى فقط وأنا حي أرزق»(*). ومن ثم فهو لا يصدر أحكاما إلا في حضور طرفي النزاع ومواجهتهما بعضهما ببعض.

ومنذ البداية تتضح معايير عدالته بجلاء في قضايا أوه نايت، وأوه بالوميللو وأوه كوتزو، وأوه نازوني، وهذه كلها أسماء شعبية البعض منها يثير الضحك، ولكنها في النهاية أسماء محلية وواقعية كباقي أسماء شخصيات مسرح ادواردو دى فيليبو والتي تغلب على بعضها الآخر صيغ التدليل والتصغير مثل: جنارو التي تصبح جنارينو، ورفائيل التي تصبح رافيلوتشو أو فنشنزا التي تصبح فنشنزيللا وهي صيغ كثيرة الاستخدام والتبادل مع أسمائها في مدينة نابولي.

ففي المشهد الأول من المسرحية نستطيع أن نلمس مدى احتضان دون انطونيو لقضيته فبيته مفتوح لكل محتاج وفيه رعاية طبية مذهلة شبيهة بالرعاية الطبية في المستشفيات الحقيقية، وأبناؤه وأهل بيته مدربون تدريبا عاليا على أداء هذه الأعمال، وتقديم الخدمات حبا وكرامة للناس وإيمانا منهم بقضية رب البيت الذي أحسن غرسها فيهم. وهو وإن كان أعطى الحق لأوه نايت لأن «لقمة العيش هي لقمة العيش» ولا يحق لأحد أن يعتدي على لقمة عيش الآخر أو على عمله، لم يعفه من العقاب الحازم أولا لعدم إغاثته لخصمه بعد أن آذاه بمسدسه وثانيا لأنه ــ وهذا هو الأهم ـ لم يعرف كيف يصدر الحكم المناسب لجريرة خصمه فصحيح «أن بالوميللو قد أخطأ، ولكن خطأه لا يستحق الضرب بالنار».

وروح العدل قاعدة مطلقة ومتأصلة في نفس دون انطونيو فعندما يعتدي الكلب على زوجته، ويضطرها للعلاج في المصحة لا يتوانى عن إجراء تحقيق مع زوجته حول الحادث ليقضي فيه بحكم، وهو رغم حبه الشديد ومعاناته الصادقة لآلام رفيقة حياته يسأل: «أرميدا، ياروح توني، أريد أن أعرف شيئا واحدا فقط وبعده لن يقضي على مالافيتا إلا مسدس واحد.. مسدسي أنا:

---

* الفصل الثاني.

عندما هاجمك الكلب هل جاء إلى حجرتـك؟ وعندما ترد عليه بالسلب وبأنها ساعتهـا كانـت تجمع البيض في حظيرة الـدجاج . . لا يتردد دون انطـونيو في إصدار حكمـه : «مالافيتا هنا في العـزبة ليحمي البيت والأسرة والـدجاج . . الكلب صاحب الحق» .

ولعلـه من المستحيـل التسليم بجـواز المسـاواة بين الإنسان والحيـوان ، أو الاعتراف بوجـودهما في التقاضي بينهما ، وليس هناك مـايدعو إلى الاعتقـاد بأن المؤلـف يطالـب بمثـل هـذه المساواة ، كما وأن حكمـة دون انطـونيـو واتزانـه يستبعدان أي هزل في هذا المقام . ويبقى أن يظـل هذا مجرد رمز لتجرد العدالة ونصرة الحق ، وإنصاف أصحـابه . وليس هـذا بمستبعد على شخصيـة البطل الذي يقـدس العدالـة في حد ذاتها لبعـدها عـن الغرض بها في ذلـك العدالـة الشرعية التي يتضـح إجلاله لها من خـلال وصف أخلص أصدقـائه وأعرفهم بـه . . الدكتـور فابيـو . فحين تبدي دونـا أرميدا قلقهـا وخوفهـا من أن يفقـد أعصـابه أمام رجـــال القانـون يقول لها : اسمحي لي إذن أن أقول لك إنـــك لا تعرفين دون انطـونيو الرجـل . لعلك تعـرفين فيه الزوج على حقيقتـه ولكني أعرف فيه دون انطونيو الرجل أكثر منك . هل رأيته مرة في المحكمة ، وهو يركع على قدميه ويقـول للقاضي : «ياسيادة المستشـار الموقر» (يتظاهر بخلـع قبعته ويقلد في خشوع انحناء دون انطونيو أمام القاضي) .

أرميدا : (تبرر تصرف زوجها) ولكنه القاضي .

فابيو : لا ، لا . إنه يفعل هذا حتى مع الحاجـب . بل ومع كل من يعمل في القضاء كبر مركزه أم صغر(*) . والقضية الأساسية التي يـواجهها دون انطـونيو هـي قضية ذات مغـزى خاص

* الفصل الثاني .

وتتعلق في المقام الأول بالقيم الأسرية . و إذا كان ادواردو دي فيليبو قد جعل من فيلومينا مارتورانو في المسرحية التي تحمل اسمها رمزا لقدسية العـلاقة بين الآباء والأبناء ، ووضع على لسـانها عبارة مـوجزة مـن كلمتين مشحـونة بنبـل مشاعـر الأمومة ، وصـدق معاني البذل و إنكار الـذات وهي «الأبناء أبناء» ، فـإنه في هـذه المسرحية يوحـي إلينا بـأنه يتمـم هذه العبارة فيقول : و«الآباء آباء» أيضا .

فموقف دون انطونيو في هذه القضية يختلف عن مواقفه في باقي القضايا فهو يقوم دائما بـدور الدفـاع والادعاء والقضاة ، ويفعـل هذا في ثقـة وحزم دون أي تـردد . أما في هـذه القضية فـدوره يتسم بكثير مـن الصبر، والتروي والمثابـرة . فالوالد ليس خصما كباقي الخصـوم ومهما كان الخطأ في جانبه لا يجب قتله ، كما لا يجب أن تتوقف محاولات إصلاحـه أبدا . وفي الواقع فإن شخصية هـذا الوالد يمكن وصفها بأنها النقيض من شخصية دون انطونيو . فهو أب غافل ورب أسرة فاشل لا يستوعب احتياجات الأبناء ، ولا يتفهم مشاكلهم ، وقد تسبب بحمقه ورعونته في تمرد ابنه عليه ، ودفعه إلى التورط في عـلاقة كان من السهل أن تصبح علاقة سـوية ومشروعة لولا عـدم تفهمه لابنه ، وسوء تفسير لمسلكـه . ونجاحه في العمل ليس دليلا على تبصره بشئون الحياة أو تمرسه بـأحوالها بل إنه واحد من ذلك الطراز الأناني من الناس الذي لا يشغل نفسه بشئون المجتمع ولا يعنى إلا بأموره الخاصـة . وعلى الرغم من كل هـذا فإن دون انطونيو سعـى إلى بذل مافي وسعه لرفع هذا الأب إلى مستوى المسئولية ومستوى مكانته الأسرية .

ودون انطونيـو ظل حريصـا على الوفاء بعهده ، مـؤمنا بقضيته حتـى النزع الأخير من حياته . أما رفيـق دربه الدكتور فابيو فقد بدأ معـه طريق الكفاح في مقاومة الجريمة بحماس شديد ثم لم يلبـث أن أصابه اليأس من هؤلاء الناس ، ومن إمكانيـة إصلاحهم بعد أن أدرك مدى كثرتهم ، وبعـد المشقة بينهم وبين الوصول إلى تحقيق الهدف .

وتقول فرانكـادي فيورنتزو: «يبدو أن ادواردو دي فيليبو قـد أسقط في هذه المسرحية طـرفي شخصيته المركبـة، وقدم جانبيهـا المتعارضين: الجانـب المثالي والجانب العقلاني»(*).

وفي الواقـع فإننا نلحظ أن مثـالية دون انطونيـو مازالت تصطدم بعقـلانية الدكتور فابيو حول الهدف الذي سعيـا إليه معا، ثم اختلفا في أسلوب تحقيقه شيئا فشيئا حتى لم يصبح أمامهما إلا أن يركن كل منهما إلى رأيه في ثقة وهدوء. ويتضح هـذا الموقف خاصة في الحوار الختـامي الذي دار بينهما بعـد اكتشاف خيانة غير متوقعة من إحدى الشخصيات فجاء على لسانهما:

فابيو : أرأيت أنني على صواب؟ لا فـائدة.. إننا ندور في حلقة مفرغة.

انطونيو : بل أنـا الذي على صواب. فاليـوم دون انطونيو بركـانو، وغـدا دون انطونيـو غيره، وبعد غـد دون انطـونيو آخـر وهكذا.. وربما بهذا الشكل يجد أبناء أبنـاء أبنائي وأبناء أبنـاء أبناء هـذا الجبـان (يشير إلى أوه كوتـزو) ربما يجدون أرضـا تدور أيضـا كهـذه ولكنهـا أقل استـدارة، وأكثـر استقامة. ألا تتفق معي؟

فابيو : لا.

انطونيو : منذ فترة ونحن لا نتفق في الرأي...(**).

بيد أن هذا لا ينفي أن هناك علاقة حميمـة تربط بينهما بوشائج وثيقة تجعل منهما صفـوين متـلازمين ومتكـاملين. وحين تسير المسرحيـة نحو النهـايـة،

---

* الفصل الثاني.

** فيـورنـزا دي فـرانكـو ــ مسرح ادواردو ـ أونيفـرسـالي لـديترسـا ــ بـاري-١٩٧٥ ــ ص١٩٣. (بالإيطالية)

ويصير من المحتم أن يروح دون انطونيو ضحية للطعنة الغادرة، يصر على المضي في إتمام رسالته ويوصي صديقه بكتابة تقرير طبي ملفق تمشيا مع مثله العليا في محاصرة الجريمة، والوصول إلى عالم أفضل.

وفي نفس الوقت يسعى الدكتور فابيو للوصول إلى نفس المرامي من خلال مواجهة الواقع وحض الآخرين على اقتفاء أثره: «... الظاهر أنكم اعتدتم أن ترسلوا ضمائركم دائما إلى المغسلة.. ولستم وحدكم في هذا بل الجميع بلا استثناء من الكبير إلى أصغر صغير فهل لي بعد هذا أن أنفذ وصية دون انطونيو؟ أنا لن أرحل، سأبقى هنا.. (يخرج الشيك من جيبه ويسلمه لسانتانيللو) خذ هذا واعطه لأرملته إذا أردت أن تقوم بواجبك (يلتفت إلى أوه كوتزو)، وأنت ستتكلم إذا شئت (إلى الجميع)، وأنتم ستحكون مارأيتم وما سمعتم الليلة إذا أردتم. أما أنا فسأكتب شهادة الوفاة كما يمليها علي ضميري، وسيهب أبناء دون انطونيو ويهب أقارب دون أرتورو والرفاق ورفاق الرفاق والأصدقاء والحماة.. مذبحة.. حرب.. دمار.. ولكن هذا أفضل فربما خرجت من هذا الخراب دنيا كالتي كان يحلم بها دون انطونيو.. دنيا أقل استدارة وأكثر استقامة..»(*).

ومن ثم فإن مقصد الاثنين واحد وهو الوصول إلى الحق وتحقيق العدالة. وإذا كان دون انطونيو قد لقي حتفه في سبيل القيام برسالته، وأن فابيو قد عاد بالقضية مرة أخرى للعدالة الرسمية إلا أن الدرس الذي يقدمه ادواردو دي فيليبو من خلال شخصية دون انطونيو يظل محتفظا بقيمته، وفاعلية جدواه. وأهم المعاني التي تبرز منه هو كشف المساحات المعتمة في طريق العدالة ولفت الأنظار إلى مغبتها والعمل على تحريك الضمائر والقلوب نحو خطورة التلاعب بالقوانين والآثار المدمرة المترتبة على الظلم والإجحاف.

---

* الفصل الثالث.

أسماء الشخصيات

انطونيو بركانو

أرميدا ـ زوجته

جيرالدينا ـ ابنته

جنارينو ، أميديو (ابناه)

الدكتور فابيوديلا راجوني

أرتورو سانتانيلو

رافيلتشو سانتا نيللو

ريتا ـ خطيبة رافيلوتشو

اماكولاتا

فتشنزو أوه كوتزو

أوه بالوميللو

أوه نايت

كاتيللو

بسكالي أوه نازوني

زوجته

بيبي تشوتشو

زيبا كيللو

لويجي

فنشنزيللا

الفصل الأول

حجرة معيشة مـريحة يدخلها الضوء مـن كل مكان. الحجرة تقـع في شقة كبيرة من الطابق الأول في بيت يطل على سفح بركان فيزوف بالقرب من ترسينو أو سوما فيـزوفيانا. الأثاث يتكون مـن قطع ضخمة ورياش ملفـت للأنظار. يشاهد مـن الواجهة الزجاجية الكبيرة حـديقة عامرة بأشجـار الموالح وصفوف من أشجار الكرم واضحة المعالم أمـام صفحة بحر نابولي الفيروزي المفضض. الفجر يـوشك على البزوغ في ليلـة صامتة مـن ليالي أوائل سبتمبر. أما كـولاتا كامبيزي تدخل في قميص النوم وتتجـه نحو الحائط الرئيسي وهي تقوم بارتداء الروب. في نفس الـوقت يتناهى للسمـع رنين جرس عتيق مكتوم. أمـا كولاتا ترفـع لوحـة من على الحائط فينطلـق الرنين وتـزداد حدتـه بجوار هـذا الجرس المركب على تجويـف وراء اللوحـة يوجـد بوق من الطـراز القديـم. أما كـولاتا تضغط على زر وتضع أذنها على البوق.

اماكولاتا : (تكتفـي بسماع كلمة واحـدة تفهـم منهـا المراد ثم تـرد) حسنا. . حسنـا (تهرول إلى مكان آخـر في الغرفـة وترفـع لوحة أصغـر من اللوحة السابقة فيرن جـرس آخر وتضع فمهـا على بـوق أشبـه بالأول وتهتـف متعجلـة) افتحـوا البـاب. . (تقوم بـإشعـال شمعـدان ثم تسرع بـدخـول حجرة مجاورة تعود منها بعد قليل تفتـح بابا آخر وتختفي ثم تعود يتكرر المشهد في حجرة ثالثة).

بعد برهة تقبل جيرالدينا من أولى الحجرات التي دخلتها اماكولاتا. جيرالدينا هي الابنة الصغرى لدون انطونيو، وقد ورثت عن أبيها طباعه، فهي تلقائية كريمة معتزة بنفسها، رزينة حازمة لا تحيد عن الحق ولو قطعوا رأسها، حسناء قمحية اللون ممشوقة القوام رقيقة اليدين والقدمين، عيناها الواسعتان السوداوان تنطويان على نظرة مذهلة لا يسبر لها غور. استيقظت ولا تزال فريسة للنعاس ولكنها تعي ماتفعل. تدخل الحجرة وهي تقوم بارتداء الروب مثل اماكولاتا وتضم شعرها بدبوس صغير. تتجه نحو الدولاب وتفتحه وتتناول منه لفافة كبيرة من القطن ومعطفا للعمليات الجراحية. تفرش القطن على المائدة الكبيرة في وسط الحجرة كأنها تجهز مائدة للطعام وتضع المعطف على ظهر المقعد. يدخل أخوها جنارو من إحدى الحجرات مرتديا البيجاما منكوش الشعر. يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما. جيرالدينا يبدو عليها الخمول وهي تفتح دولابا آخر في الغرفة وتتناول وعاء كبيرا من المعدن يحتوي على آلات جراحية وجهاز تعقيم مطلي بالكروم وزجاجتين كبيرتين تحتوي الأولى منها على صبغة اليود والأخرى على مادة مطهرة وموقد صغير يعمل بالكحول. في هذه الأثناء تعود اماكولاتا حاملة حوضين صغيرين مطليين بالميناء البيضاء ولفافة كبيرة من القطن الطبي وأربطة من

الشـاش ومجموعـة مـن فوط الكتـان النظيفـة الناصعـة البياض. عند هذا الحد يقوم الثلاثة في صمت واستغراق تمليه عليهم خطورة الموقف بإعداد غرفة عمليات حقيقية فيتسم أداؤهـم بالتجانس وإتقـان التفاصيل. تـوجد في الحجـرة أيضا أربعـة مقاعـد متينـة بدون مسـاند عليهـا لوحـات من ملة السريـر. المرأتان تفرشـان عليهما ملاءة بيضاء وجنـارينو يضع بجوارهـا مصباحا على حـامل. يدخل من باب الغرفة الـدكتور فابيو ديلاراجوني(*). رجل يناهز الخامسة والستين من العمر، جذاب المظهر، معبر الوجـه، عيناه تنطقـان بالفطنـة. هادىء الطبـع، مؤمـن بقضاء اللـه وقدره. الـدكتور فـابيو يـرتدي سترة بيجاما وبنطلونا. يقترب مـن المنضدة ويلقي عليها نظرة سريعة ليطمئـن على تمام محتويـاتها ثم يـرتدي المعطـف الأبيض بمعاونة اماكولاتـا. جيرالدينا تصب الكحول في الحوض. جنارينـو يتناول الآلات الجراحيـة من الـوعاء ويضعها في الحوض. اماكولاتا تشعل عود ثقاب وتقترب بـه من الكحـول فتتصاعـد النـار فجأة وتلقـي بضوئهـا المتماوج على الأشخـاص الأربعـة فتنعكـس أخيلتهـم

---

* دأب المؤلف على إطلاق أسماء على الشخصيات مستقاة مـن معان تتفـق مع ما تمثلـه من أدوار في الحياة أو ترمز إلى طبيعتها وطباعها وطريقـة تفكيرها، أو أسماء تدل على الطابع المحلي لمدينة نابولي! ومن هذا اسـم ديللا راجوني Dellaragione «عقل» أو «حكيم» أو كما سيرد فيها بعـد في اسمي أوه بـالوميللـو O Palummiello أو أوه نـايـت O Nait والاسم الأخير محرف عـن الإنجليزيـة Night ويعنيان على التوالي «حمام» و«أبو الليل».

طويلـة على الحائط وتتراقص بشكل كئيب. تسمـع من الداخل أصوات ثلاثة رجـال قادمين من بعيد يصاحبها صوت جرجـرة أقدام بطيئة متثاقلة. الأشخـاص الثلاثة هم أوه بـالوميللو وأوه نـايت وكاتيللـو البواب والحارس الأمين لعزبة بركانو.

بالوميللو : يامغيث.. يامغيث.. يامغيث.. (يضع يده على فمه ليكتـم صيحات الألم التـي يعجز عـن السيطرة عليهـا. بالوميللو مصاب بطلق ناري في ساقه اليمنى).

كاتيللو : اسكت.. اسكت.. لقد وصلنا.

بالوميللو : اللعنة. لم أعد أقوى على السير..

أوه نايت : تجلد..

كاتيللو : أأنت رجل أم امرأة؟

بالوميللو : دعوني استرح قليلا.

يتوقف وقع الأقدام

كاتيللو : هل جننت؟

أوه نايت : الجرح يتلوث..

كاتيللو : هيا الدكتور ينتظر.

بالوميللو : يامغيث . . يامغيث . .

(يسمع وقع الأقدام مرة أخرى ويزداد اقترابه شيئا فشيئا)

كاتيللو : لا تفكر في الجرح . . وإن فكرت فيه فلا تلم إلا نفسك . .

أوه نايت : غن . . غن . .

بالوميللو : ومن يقدر على الغناء في هذه الحال ـ يامغيث . . .

أخيرا يشاهد الثلاثة يدخلون خشبة المسرح . المصاب يوضع على سرير العمليات بعناية ورعاية لا تقل عمّا يفعله أكثر الممرضين خبرة في غرف الإسعاف فكل منهم له دور محدد يجيد آداءه . اماكولاتا تغلق ضلفتي الفراندة . جنارينو يضغط على زر المصباح ليضيء المكان الذي ستجرى فيه العملية فيغمر الضوء في الحال جسد بالوميللو جيرالدينا تناول الطبيب القفاز الطبي . اماكولاتا تهرول نحو المطبخ .

فابيو : (ملتفتا إلى أوه نايت) من أنت؟

أوه نايت : أنا الجاني . . أوه نايت .

فابيو : (إلى جيرالدينا) الحقنة .

جيرالدينا تعد الحقنة وتملؤها بالدواء الذي أشار إليه .

بالوميللو : (يتعـرض لنـوبـة ألم حـاد مفـاجئـة فيصرخ) آه . . يامغيث . . يامغيث . .

فابيو : لا تصرخ فدون انطونيو نـائم . (يلتفت مرة أخرى إلى أوه نايت) أنت الذي أطلقت عليه النار؟

أوه نايت : نعم أنا يادكتور . .

فابيو : (يتناول الحقنة من يد جيرالدينا) وماذا تفعل هنا؟

أوه نايت : الواقع أن الحادث وقع حوالي الساعـة الثانية إلا ربعا عند نهاية شارع مارينا بالقرب مـن تقاطع الطرق الذي يؤدي من اليمين إلى شارع سـان جوفاني آتيدوتشـا ومن اليسار إلى طريق بومبي السريع .

بالوميللو : (كالسابق) اغيثوني . .

فابيو : (في وقـار وهـدوء) قلـت لـك ألا تصرخ (إلى جنـاريـنـو) اخفض بنطلونه (يغرس الحقنة في فخذ بـالوميللو بيد ثابتة متمرسة بعد أن يقوم جنارينـو بإنزال بنطلونة) الآن سيهدأ الألم . المقـص ياجيرالـدينـا (جيرالدينـا تـدرك ما يعنيـه . فتتناول مقصا كبيرا وتشرع في قص الـرجل اليسرى لبنطلون بالوميللو من أسفـل إلى أعلى . شعلة الكحول تتناقص في

الحوض. فـابيو ينتهـز الفـرصة ويضـع فيـه ملقطا ينتقـي ويتناول بـه الأدوات اللازمـة للجراحـة، يلتفت في نفـس الوقت إلى أوه نايت ويقول) ثم ماذا؟

أوه نايت : ثم تبادلنا إطلاق النار. . فهـو أيضا أطلق على الرصاص (يخرج من جيبه مسدسا) وهذا هو مسدسه (يرفعه في يده لعل أحدهم يتناوله).

فابيو : (بصيراً ببعـض الخدع يحذر الآخريـن في الحال) لا أحـد يلمسه. . ألست أنت الذي التقطته؟

أوه نايت : نعم ياسيدي.

فابيو : إذن احتفظ به في جيبك. . لمن تريد إعطاؤه؟ (أوه نايت يعيد المسدس إلى جيبه) وبعد؟.

بالوميللو : (يطبـق على فكيه ليتغلـب على الألم الحاد الـذي ينتابـه) كنت أنزف دمـا وأبحث عن أحد ينجـدني ولكن لم يكن هناك أثر لإنسان. أما هو فحين رآني أقع على الأرض لاذ بالفرار.

أوه نايت : أتريد أن انتظـر حتى يقبضوا علي؟ لقد دخلـت في حارة تؤدي إلى السكـة الحديدية وابتعدت بخطـوات طبيعية، ولكن كلما ابتعدت عنه سمعـت صراخه. . الحقوني. . الحقـوني كـان صـوتـه يحرك الحجـر في قلـب الليـل. ياإلهي. . إننا قبل كل شيء أصدقـاء وياعزيزي الدكتور

وضعت ذيلي في أسناني وانطلقت أجري وأجري حتى أن قلبي مازال يدق. . وأخيرا وجدت «تاكسي» فعدت إليه بأقصى ما استطعت من سرعة وحملته بين ذراعي ووضعته في العربة وجئت به إلى هنا.

بالوميللو : لم أتعرف عليك فقد حسبت أنك عابر سبيل شهم وإلا لأطلقت عليك النار.

أوه نايت : وهل كان يطاوعني قلبي أن أتركك مرميا على الأرض لو كنت أعرف أن حالتك خطيرة إلى هذا الحد.

بالوميللو : شكرا. (يبذل جهده ويمد له يده).

أوه نايت : (يشد عليها في مودة وحب) استغفر الله. . هذا واجب. والآن لا تفكر إلا في الشفاء.

بالوميللو : عندما يتم شفائي سأضربك بالنار.

أوه نايت : لماذا هل تراني غشيما أو مغفلا؟

فابيو : كفى هذا. . وإني لعلى يقين أنكما أطلقتما النار لسبب تافه.

أوه نايت : لا. . لا. . السبب مهم، فيجب أن تعرف أنه. .

فابيو : (محتدا) لا تضايقني أكثر من هذا. . أنا لا أريد أن أعرف شيئا. (ينتقد مسلك الرجلين ومسلك كل

الطائفة التي ينتميان إليهـا) شيء جميل . . ضربنا بعضنا بالنار. أضربك بالنار . . ولكن على أية حال ليست هذه غلطتكما فأنتما جاهلان وستظلان جاهلين . .

اماكولاتا تدخل حاملة صينية عليها تنكة القهوة والفناجين . تقدم فنجانا للطبيب أولا ثم تقدم الباقي للآخرين .

بالوميللو : (متضرعا) جرعة ماء . .

فابيو : لا تستطيع الشرب .

بالوميللو : (صارخا من الألم) يامغيث . .

فابيو : قلت لك اسكت . أتتوجع الآن؟ لماذالم تفكر في الوجع قبل أن تخرج مسدسك؟

بالوميللو : (مشيرا إلى أوه نايت) هذا القذر نذل .

أوه نايت : النذل هو أنت .

فابيو : (يحتسي القهوة) أنتما الاثنان نذلان .

أوه نايت : أتعرف كيف بدأت المشكلة؟

فابيو : لا أريد أن أعرف . الحوض (في تلك الأثناء ثنت جيرالدينا قماش بنطلون بالوميللو إلى فخذه وعرّت ساقه

وكشفت عـن الجرح. تبدأ العملية الجراحية. جيرالـدينا واماكـولاتا وجنارو يعملـون مساعديـن لفابيو. الثـلاثة يغمسون أيـديهم في وعاء مليء بالكحـول ثم يـرفعونها في الهواء لتجف. فابيو يضع فنجـان القهوة، يرتدي القفاز الطبـي ويغمس يـده في وعـاء الكحـول. البعض يعـد القطن ولفافات الشاش والبعـض يضع صبغة اليود على مـوضـع الجرح. الآخـرون الأكثر خبرة ينـاولـون فـابيـو الأدوات الجراحية اللازمة للعمليـة. يقومون بهذا دون أن يطرف لهم جفـن وبحركات تنـم عن التمـرّس. الجراحة تستغـرق حوالي خمس دقـائق. بالـوميللـو يتلوى ولكـن ساعدي جنارينو القويتين يمنعـانه من الحركة فيتوجع. اماكولاتـا تسد فمه بيدها. فابيـو يشرع في إجراء العملية في هدوء وحنكة. يـوشك أن يدخل المشرط المنـاسب في الجرح ليخـرج الـرصـاصـة. قبـل أن يقـوم بهذا يطلـب المنديل. اماكولاتا تحضر منديـلا ناصع البياض وتدخله كله في فـم بالوميللـو جزءاً جزءاً في مهـارة فائقة. فـابيو يواصـل عمله. الجميـع يكتمون أنفـاسهم، تصـل من الشـارع شخللة الأجـراس النـاعسـة المعلقة على رقـاب الخيـول الهزيلـة وهـي تجر في مشقة العـربـات المحملـة بالخضروات لتنقلها للأسواق العـامة. تتناهى إلى السمع أصـوات الحوذيين المبحـوحـة النـاعسـة مـرددة الأغـاني الشعبية الـرتيبة المتوارثـة أبا عن جد. فـابيو يضع جـانبا

الرصاصة التي أخرجها من فخذ بالوميللو. بعد تطهير الجرح تقوم اماكولاتا وجيرالدينا بلفه بالشاش ثم تقوم اماكولاتا بفتح ضلفتي الفراندة. الضوء يتزايد في الخارج. خيوط الفجر البيضاء تشاهد من الفرندة من وراء ربوة الأشجار وهي تزيح زرقة الليل وتحسرها. بالوميللو يفقد الوعي ولكن نبضه قوي. جنارينو يرفع قبضته التي شل بها حركته ويحتسي قهوته.

أوه نايت : (في لهفة) كيف حاله؟

فابيو : (بدلا من أن يجيب على سؤاله يريه الرصاصة ويقول) عيار ٦ مم.

أوه نايت : سبحان الله.. (يشير إلى المعجزة التي نجا بها صديقه) يجب أن يضعها في بومبي(*).

فابيو : نعم في بومبي. ولكن ليس في كنيسة بومبي فلا اعتقد أن العذراء تحب أن تشري مجموعة رصاصاتها بواحدة أخرى. يجب بالأحرى أن يضمها إلى مجموعة آثار بومبي لنرى مدى الخطوات الضخمة التي قطعتها الحضارة الإنسانية

---

* بلدة بومبي الإيطالية وفيها كنيسة تحمل اسم عذراء المسيحية، يؤمن كثير من الناس ببركاتها وقدرتها على تحقيق المعجزات و إشفاء المرضى ويقدم لها من يقدر لهم الشفاء أو النجاة من المهالك نذوراً ترمز إلى الداء أو الخطر الذي يرون أنهم أفلتوا منه بفضلها تعبيرا عن شكرهم وعرفانهم ــ فالمريض بالقلب مثلا يحمل إليها قلبا من الذهب أو شيئا ثمينا يحمل صورة القلب. والمريض بالشلل يحمل إليها عكازه الذي كان يستخدمه أثناء ابتلائه بالعجز عن المشي وهكذا.

(مشير إلى بـالوميللـو) . احملوه إلى الخارج ليشـم الهواء . ضعـي مقعداً في الخارج يـااماكـولاتا . (تنفـذ ما طلبـه) والآن ضعوا عليه غطاء وحين يفيق دعوه يرحل .

بالوميللو : (بصوت واهن) أريد أن أقابل العمدة .

أوه نايت : وأنا أيضا أريد أن أقابله .

اماكولاتا : (بحزم ليـدرك الاثنان أن نوم دون انطونيـو شيء مقدس) دون انطونيو مازال نائما .

جنارينو : وكلما تأخر في النوم كان هذا أفضل .

فابيو : (إلى اماكولاتا) هل نام على الفور أمس؟

اماكولاتا : إنه لا يتكلم ولكني أعرف من تصرفـاته ما يشغل فكره . الألعاب النارية بدأت في الحادية عشر ونصف .

جنارينو : كان هناك ثلاثة متباريـن . . أوه توريزي وباكيالوني وأوه نانو داسيبريا(*) .

جيرالدينا : (في إعجاب) كان أوه توريزي مثيرا حقا للحماس .

جنارينو : وباكيالوني أيضا .

جيرالدينا : أتريد أن تقيسـه به؟ صواريخ أوه توريـزي كانت الأجمل

---

* قزم سيبيريا O'Nano da Siberia

أولا كـانـت تصـل إلى ارتفـاعـات تـوجـع الـرقبـة بسبـب النظـر إليهـا. ثـانيـا كـانـت تتفجـر على هيئـة مـراوح أو ورود دقيقـة مبهـرة كـأنها مـرسـومـة بـاليـد. وحين تظـن أن الـواحـد منهـا قـد انتهـى تتفجر منـه بـاقـة ثـم بـاقـة. وقبـل النهـايـة أطلـق ثـلاثـة أو أربعـة صـواريـخ تتفتـح بـاقـاتها على سـت مـراحـل وختـم ألعـابـه بثـلاثـة صـواريـخ ارتـجّ لها الـزجـاج وبـدا كـأن البيـوت توشك على الانهيار.

اماكولاتا : وكـان دون انطـونيـو منشرح الصـدر. . فكلما تفجـرت إحدى الباقات كان الأصدقاء ينظرون إليه وكان هو يحرك رأسه هكـذا (تهز رأسها مقلدة حـركة رأس دون انطـونيو ورضاءه) ليقول جميل . . جميل.

كاتيللو : وحين جاء دور باكيالوني بدأ يظهر على وجه دون انطونيو الضيق. أما الثالث. . أوه نانو داسيبيريا فلم يكد يطلق صـاروخين أو ثـلاثـة حتـى نهض دون انطـونيـو وقـال تصبحـون على خير. . كأنـه يقـول هذا تـافـه. ثم حيَّـا أصدقاءه وذهب إلى الفراش.

اماكولاتا : وبالطبـع انصرف الجميع احترامـا له. كـان ذلك حـوالي الثـانية عشر ونصـف وبعد عشر دقـائق أو ربـع ساعـة ذهبت إلى حجرته وفتحت البـاب بهدوء فوجدته يغط في نوم عميق.

فابيو : إذن لم يعرف شيئا عن موضوع دونا أرميدا؟

اماكولاتا : كلا . . كان ساعتها قد أمضى أكثر من ساعة في الفراش .

فابيو : وكيف حالها؟ ألم ينم إلى علمك شيء؟

اماكولاتا : لقد عالجوها في الاسعاف بنابولي . خاطوا لها اثنتي عشرة غرزة .

فابيو : لاحول ولا قوة . . لقد عدت من نابولي بالذات أمس ولكن للأسف بعد وقوع الحادث ولولا هذا لعالجتها بنفسي .

جنارينو : لقد اصطحبناها أنا واميديو .

فابيو : وهل احتجزوها في الاسعاف؟

جنارينو : لا . . فبعد العلاج شعرت بألم شديد ولم يكن في مقدورها أن تعود بالسيارة مرة أخرى فأخذها أميديو إلى بيته ووعد أن يحضر بها في الصباح بمجرد أن تشعر بالتحسن كما وأنها كانت تتوجع بصوت عال ولو عادت مباشرة لاستيقظ أبي ولانقلبت الدنيا رأسا على عقب .

اماكولاتا : اتصل اميديو في الساعة الثالثة تقريبا وقال إن حالتها قد تحسنت وأنها استغرقت في النوم .

فابيو : لقد حذرت دون انطونيو أكثر من مرة من هذه الحيوانات ولكنه مغرم بها. إنه يربيها وينفق عليها صحته ولا يريد أن يفهم أنها خطر على الأسرة.. إنها حيونات مفترسة.. ومالافيتا(*) هذا ليس كلبا.. إنه وحش ضار.

اماكولاتا : عندما يفتح فمه يبدو كالجحيم.. يالقبحه!

جنارينو : وحق العذراء لأبعثن به إلى الآخرة بطلقة من مسدسي في قلب جبينه. لابد أن أصفي حسابي هذه المرة إما معه وإما مع مونيتشيللو.

جيرالدينا : الويل لك إذا سمعك أبي.

جنارينو : عندما يعرف غدره بأمنا سيتناول مسدسه ويقتله بنفسه.

فابيو : لاشك في هذا.

اماكولاتا : إن دون انطونيو يعبد دونا أرميدا عبادة.. فكيف يتصور أحد أن يفلت هذا الكلب من العقاب.

يقوم ثلاثة الرجال أثناء هذا الحوار بحمل بالوميللو على أذرعتهم وبوضعه على المقعد الذي أخرجته اماكولاتا إلى الفرندة ثم يقومون بمساعدة جيرالدينا واماكولاتا بفك سرير العمليات المرتجل وترتيب الحجرة.

---

* مالافيتا Malavita حرفيا «حياة السوء» واصطلاحا «عالم الجريمة».

جنارينو : سأذهب لآخذ دشا وأغير ملابسي ثم أذهب إلى محلي في نابولي (إلى اماكولاتا) . أعدي لي بيضتين مضروبتين باللبن المخلوط بالقهوة.

اماكولاتا : حاضر.

جنارينو : بإذنك يادكتور.

فابيو : تفضل.

(جنارينو يخرج)

جيرالدينا : أريد أن أشرب كوب لبن بالقهوة (تذهب إلى حجرتها).

اماكولاتا : وأنت . . ألا تريد شيئا يادكتور؟

فابيو : لقد تناولت قهوتي الآن.

اماكولاتا : إذن فيما بعد؟

فابيو : عندما يستيقظ دون انطونيو احضري لي مع إفطاره كوبا من اللبن البارد. هكذا أرافقه في الطعام.

اماكولاتا : وهل أحضر لك بعض البسكويت؟

فابيو : تصرفي أنت.

كاتيللو : إني ذاهب . . أريد أن آكل شيئا أنا الآخر، فأنا أشعر بأن أمعـائي تتلوى . . لـدى طبق مكـرونة بـالفاصـوليا مـن الأمس . . هل تتفضل معي يادكتور؟

فابيو : بالهناء والشفاء .

كاتيللو : (مشيرا إلى تجويف الحائط الأيمـن) إذا لزمـك شيء نادر علي .

فابيو : هل سيستقبل زوارا اليوم؟

كاتيللو : قليلين . . المفروض أنه كان سيستقبل عشرة ولكنه طلب منـي أن أشطب سبعـة مـن القـائمة وقـال إنـه يجيء إلى ترسينيو طلبا للراحة .

فابيو : معه حـق . . فعندما أفكر في أننـا سنعود إلى نابـولي بعد عشرين يوما يقشعر بدني .

كاتيللو : طبيعي، فدون انطونيو له قدره في حي سانيتا .

فابيو : في بعض الأيام يقف الناس في طابور على بابه .

كاتيللو : سيستقبل اليوم ثلاثة أشخاص فقط
: بسكاي أوه نانزوني(*) .

فابيو : من؟

---

* أوه نازوني O' Nasone « أبومنخار » .

كاتيللو : واحد من حثالة الناس ومشكلته تافهة ولكنه ما أن علم أن انطونيو قد اهتم بموضوعه حتى جاء جريا. وعلى كل حال ليست هناك تعقيدات فسيحضر معه خصمه - فتشنزوا أوه كوتزو - سيشد كل منهما على يد الآخر أمام دون انطونيو وينتهي الموضوع. أما الثالث فهو رافيلوتشو ستانيللو ابن صاحب فرن في شارع متفرع من شارع جاتشينتو البينو - دون أرتورو - الرجل الذي تزوج مرتين. لقد جاء أمس وأول أمس وأخيرا قرر دون انطونيو أن يستقبله اليوم. كما ترى فإنه يوم هادىء.

فابيو : نحمد الله.

كاتيللو : هناك أيضا هذان الاثنان.

فابيو : عندما تخرج اغلق وراءك الباب وإذا أرادا أن ينتظرا فالينتظرا في الخارج.

كاتيللو : بإذنك.

فابيو : تفضل.

كاتيللو : (إلى أوه نايت وهو خارج) يدك معي لننقل هذا الصديق إلى هناك، (يشير إلى مكان نحو صف أشجار العنب الأيمن) فأشعة الشمس تصل هناك أولا. (الاثنان يحملان المقعد الجالس عليه بالوميللو ويضعانه في المكان المشار إليه. المكان بين أشجار العنب فيختفي الثلاثة. بعد قليل يعود كاتيللو ويطل من الفرندة ويقول لفابيو) أنا ذاهب.

فابيو : اقفل الفرندة.

(كاتيللو يقفلها)

اماكولاتا : (وهي تدخل) دون انطونيو استيقظ.

فابيو : هكذا مبكرا؟ مازالت الساعة السادسة إلا ربعا..

اماكولاتا : دق الجرس ثلاث مرات.. مرة وراء المرة.. ومعنى هذا أنه استقيظ منذ ربع ساعة (تتوجه نحو حجرة دون انطونيو ولكنها تفاجأ به أمامها فتقف وتقول) أوه.. إنه قادم.

فابيو : الجو كان حارا الليلة.

دون انطونيو يظهر على عتبة الباب، يبلغ من العمر خمسة وسبعين عاما يجسد عليها، طويل القامة سليم البدن قوي البنيان مفتول العضل، ظهره المنحني انحناءة خفيفة تكسب مشيته مظهرا ملكيا، بشرته البرونزية من شأنها أن تضفي على حيوية بياض عينيه بريقا لامعا لولا أن إحساسا غريزيا يدفعه إلى مراقبة ما يحيط به أكثر من النظر إليه مما يثقل جفنيه كأن النعاس يغالبه على الدوام. في اللحظات القليلة التي يفتح فيها عينيه أو تتجعد فيها أطرافها ترى نظرته الساحقة التي تشبه إلى حد كبير نظرة الوحش الحزين المجبر على الحياة في

الأسر. يرتدي في بساطة ووقار روبا دقيق المقاس داكن الخضرة. تشاهد من فتحة الروب ياقة جاكتة البيجاما ناصعة البياض ومزينة بشريط أصفر يميل إلى اللون القرمزي. رباط رجلي البنطلون من الطراز القديم يتدلى على كعبيه وعلى قدميه المدسوستين في خف مريح. الدكتور فابيو يرى دون انطونيو فيهم واقفا ويحييه في احترام بانحناءة خفيفة.

اماكولاتا تتقهقر إلى الخلف بضع خطوات وتبتسم في استحياء وتلقي عليه بتحية الصباح، تقف متأهبة انتظارا لكلمة أو إشارة من دون انطونيو، تتبين من خلالها طبيعة مزاجه لتسلك المسلك المناسب، وتتأكد من عدم الوقوع في خطأ لا يغتفر. دون انطونيو يلوح عليه الغموض ويبادلها التحية مومئا برأسه مرتين ثم يقترب من المائدة ويجلس. وقفة طويلة يدور خلالها مشهد صامت ملىء بالأسئلة بين اماكولاتا والدكتور فابيو. في النهاية يحدق دون انطونيو في وجه فابيو لحظة ويشير إليه بذقنه إلى المقعد المقابل لمقعده ليدعوه للجلوس. فابيو يفهم الإشارة ويجلس.

انطونيو : (يدلك أحد قدميه ويسأل دون أن ينظر إلى أي منهما) استيقظنا مبكرا اليوم؟ (فابيو واماكولاتا يتبادلان النظرات لعدم تأكدهما من المقصود بالسؤال). دون انطونيو يواصل تدليك قدمه ويدير عينيه قليلا تحت جفنيه

المثقلين فيدرك حيرة الاثنين ويبتسم ابتسامة خفيفة عابرة ثم يقول : اماكولاتا تبكر دائما في الاستيقاظ . أجب أنت يادكتور.

فابيو : فعلا . . الحق معك يجب أن أجيب أنا .

انطونيو : حسن . .

فابيو : أجريت عملية جراحية .

انطونيو : (في عدم مبالاة) آه . . .

فابيو : طلق ناري . . أوه نايت وبالوميللو تبدلا إطلاق النار. (يبدأ في سرد الحادث) في حوالي الساعة الرابعة والنصف . .

اماكولاتا : كانت الساعة الرابعة إلا ربعا .

فابيو : نعم، نعم، فـ . . . .

انطونيو : (يرفع يده اليسرى ليقاطعه) يادكتور ستتكلم في هذا فيما بعد . (الطبيب يسد فمه بيده اليمنى ويشير باليسرى ليقول لن أتكلم بعد) اماكولاتا ! .

اماكولاتا : (متأهبة) أأمر يادون انطونيو.

انطونيو : هاتي «قليلة الحياء» . .

اماكولاتا : (لا تفهم)قليلة الحياء؟ . . .

انطونيو : التي تتكلم في الوجه . .

اماكولاتا : (مازالت لا تفهم فتطلب إيضاحا من فابيو) دكتور . .

فابيو لا يستطيع أن يمد لها يد العون لأنه لا يفهم هو الآخر.

انطونيو : الشيء الوحيد في هذه الدنيا الذي يقول الحقيقية حين يتكلم هو المرآه .

اماكولاتا : آه وأنا التي لم تفهم (تخرج مهرولة) .

انطونيو : (بعد لحظة تأمل) كلا . . إني مخطىء . . هناك شيء آخر لا يكذب أيضا . . الموت . . إن الإنسان ينتمي إلى سلالة البشرية اللئيمة المخادعة . . إنه في سبيل اقتراف الظلم يتظاهر بالطرش والخرس والعمي وبأنه مريض القلب وبأنه مشلول ومسلول ومجنون . . ويستطيع أيضا التظاهر بأنه يشرف على الموت . . ويقوم الأطباء ـ وأنت واحد منهم يادكتور ـ بعمل التحاليل والأشعة ليتأكدوا أن الإصابة أو المرض حقيقي وليس زائفا . ولكن حين يموت الإنسان فقلبه يقول الحقيقة لأنه يتوقف وهذه هي اللحظة الوحيدة التي يتأكد فيها الطبيب من قراره دون أن يخشى الوقوع في الخطأ «حدثت الوفاة نتيجة لتوقف القلب» أليس صحيحا يادكتور؟

فابيو : هيه . . صحيح . .

اماكولاتا : (تعود حـاملة مـرآة صغيرة) إليك المسحـوبة مـن لسانها (تناولها لانطونيو).

انطونيو : (يضع وجهـه أمام المرآة ويقترب بـه منها) عـال. . عال يـاقليلة الحيـاء. . وماذا تعنين بقـول هذا؟ صحيـح أن عمري خمسة وسبعون عاما ولكن هل لأحد عندي شيء؟ وهذه؟ (يشير إلى ندبة غائرة بين حـاجبيه) هذه لا دخل لها مطلقـا بالسـن. إن اسمهـا جاكينـو، حـارس عزبـة مارفيتزو، هل تذكرينه؟ يتجـه إلى فابيو ويردد هذا الاسم مـرة أخـرى مـادا فكـه الأسفـل ومسـدلا جفنيـه إلى النهاية)جاكينو.

فابيو : (متهكما) إنه مستريح في المكان الذي يستحقه.

انطونيو : هذه الندبـة أحملها على جبيني منذ أن كـان عمري ثمانية عشر عامـا. أما هذه التجـاعيد (يشير إليها) فلهـا قصة أخـرى. أتعـرف يـادكتـور مـاذا يكشـف عـن الخمسـة وسبعين عامـا؟ انظر هنـا إنني إذا وضعـت إصبعي على وجهـي وضغطـت فـإني حين أرفعـه يترك تجويفـا كـأني غـرستـه في رغيـف نيـيء لم يدخـل الفـرن. . لابـد مـن الانتظار بعـض الوقـت ليلتئم اللحـم ويعود إلى وضعـه الطبيعي.

فابيو : (في اقتناع) دون انطونيو. إن أنسجتك فولاذية وصحتك حديد.

انطونيو : إذن يمكننا أن نفتح ورشة. (يناول المرآة لاماكولاتا) خذي.. خذي.. الحقيقة لا تريح في بعض الأحيان. (اماكولاتا تستعيد المرآة) اماكولاتا!

اماكولاتا : أمرك..

انطونيو : أريد أن ارتدي ملابسي.

اماكولاتا : أمرك..

انطونيو : أريد أن ارتدي ملابسي.

اماكولاتا : جاهزة ولكن ألا تأخذ دشا أولا.

انطونيو : أخذته.

اماكولاتا : (في أسف) ولا توقظني؟

انطونيو : ولا توقظني؟

انطونيو : لم أر داعيا كما وأني أريد أن اختلي بنفسي.. سأتناول الإفطار أولا ثم ارتدي ملابسي.

اماكولاتا : حالا. (تخرج).

انطونيو : (متثائبا) يـادكتور. . الحبة التي أعطيتهـا لي جعلتني أنام ثلاث ساعات بالضبط وأنا أحتاج إلى خمس ساعات على الأقل . . ثلاث ساعات قليلة .

فابيو : تستطيـع أن تـأخـذ حبتين . . حبة قبـل العشـاء وحبـة بعده .

انطونيو : لقد سمعت صـوت كاتيللو والجلبة التي حدثـت عندما وقفت السيارة أمام الباب وأدركت حينئذ أن الأمر يتعلق بعملية جـراحية، ولكني قلت في نفسي إذا احتـاجوا إلي فإنهم سينادونني .

فابيو : لم يكن هناك داع، فقد قمنا بعمل اللازم .

انطونيو : هل كانت جيرالدينا موجودة؟

فابيو : جيرالدينا وجنارو واماكولاتا .

انطونيو : واميديو؟

فابيو : لم يكن موجودا .

انطونيو : لماذا؟

فابيو : لأنه ذهب إلى نابولي .

انطونيو : لقد قال أمس أنه سينام هنا لأن الوقت كان متأخرا عندما انتهت الألعاب النارية . .

فابيو : ثم وقع الحادث .

انطونيو : حادث؟

فابيو : تناول إفطارك أولا ثم نتكلم في هذا الموضوع .

انطونيو : أهو خطير إلى هذا الحد؟

فابيو : لا، ليس خطيرا وإلا لكانوا أيقظوك ولكنه يضايق . . وحين وقع الحادث لم أكن موجودا وقد آلمني كثيرا .

انطونيو : (تبدو عليه مسحة خفيفة من القلق كأنها هاجس يسأل) أين أرميدا؟

تدخل اماكولاتا حاملة صينية بيضاوية من طراز نهاية القرن الماضي مزينة بورود متعددة الألوان . الصينية عليها آنية لبن وكوبان وسكين مطبخ مسنونة ورغيف من الخبز البلدي الطازج .

اماكولاتا : الإفطار. (تضع الصينية في منتصف المائدة) سأذهب لأحضر قديد الخنزير والتين .

انطونيو : انتظري (يتوجه إلى الطبيب) ماذا حدث؟

فابيو : أنت كنت حاضرة يا اماكولاتا . . تكلمي أنت .

اماكولاتا : عن ماذا؟

انطونيو : (في جمود) النهاية . . هل وقع مكروه لزوجتي؟

فابيو : السيدة أرميدا عضها الكلب .

انطونيو : متى؟ (يتناول السكين ويقطع الخبز)

اماكولاتا : (تصب اللبن في الكوبين) حوالي الواحدة بعد منتصف الليل . كنا قد ذهبنا جميعا إلى الفراش ، (تناولها الكوبين مليئين عن آخرهما) ولكن دونا أرميدا لم تنم كعادتها، فهي تفضل القيام بترتيب البيت آخر الليل حتى لا يضايقها أحد كما أنها تحب أيضا أن تعد شيئا لليوم التالي وفجأة سمعتها تصرخ ، فجريت وحين وصلت وجدتها بين الحياة والموت وملابسها ملطخة بالدم ، (انطونيو يستمع إليها كأن الأمر لا يعنيه مباشرة ، يغمس الخبز في اللبن ويأكل . فابيو يأكل ويشرب هو الآخر) فأخذها جنارينو وأميديو إلى الإسعاف في نابولي . كنت أريد أن أوقظك ولكن دونا أرميدا قالت لا، لا، إنه نائم فلو أيقظته فلن ينام ثلاثة أو أربعة الساعات التي ينامها .

انطونيو : (في هدوء تام ولكنه مطعون في الداخل) لذيذ هذا اللبن . . الخبز واللبن أفضل إفطار في الصباح .

اماكولاتا : إنه لبن صبوح .

فابيو : يجب أن تتناول منه كوبا في المساء .

انطونيو : لا . . في المساء لا . . (مثيرا إلى زوجته) وأين هي الآن؟

اماكولاتا : في نابولي عنـد اميديو . . بعد أن أسعفوهـا حملها إلى بيته هناك .

انطونيو : هل تكلم في التليفون؟

اماكولاتا : كيف لا. تكلم في الثـانية والنصف وقال إن دونـا أرميدا نامت وأنه ما أن تشعر بالتحسن حتى يضعها في السيارة ويحضر بها إلى هنا .

انطونيو : أيها عضها . . موناتشيللو أم مالافيتا؟ .

اماكولاتا : لا أعرف . . دونا أرميدا لم تقل شيئا .

انطونيو : (بعد بـرهة مـن التأمـل) لا . . ليس مـوناتشيللـو . . إنه عاقـل ويحب أرميدا، أمـا مالافيتـا فإنـه وحش لا يهاب أحدا .

فابيو : إنها كلاب خطرة .

(اماكولاتا تخرج لتعود فيها بعد)

انطونيو : (ليسمح لفابيـو باستئناف موضـوع بالوميللو) وأجـريت العملية؟

فابيو : أجل .

انطونيو : وماذا عن الحادث؟

فابيو : إنهما هناك في الخارج (يشير إلى الفرندة) حشرتان . . أوه نايت وبالوميللو . . أطلق كل منهما الرصاص على الآخر والسبب غير معروف . . في رأيي أن الحادث لا يعنيك . .

انطونيو : ولماذا هما في الخارج؟

فابيو : يريدان مقابلتك . . وواضح أنهما يسعيان لتسوية المسألة .

اماكولاتا تعود بمسكة أمامها بمشجب يتحرك على عجلات عليه بدلة دون انطونيو ولوازمها . . الكرافت والمنديل والقميص والحذاء، وعليه علبة مستطيلة تحتوي على الأشياء الثمينة . . السلسلة الذهبية والساعة والزراير الذهب والخواتم .

انطونيو : (يخلع الروب والبيجاما بمساعدة اماكولاتا) وأنت هل عقدت العزم يادكتور؟

فابيو : أنت تعرف طبعي يادون انطونيو . إنني رجل صريح من أخمص قدمي إلى شعر رأسي .

انطونيو : سألتك إن كنت قد عقدت العزم.

فابيو : دعنا لانضحك على أنفسنا يادون انطونيو. إن رحيلي يؤلمك. فبعد خمسة وثلاثين عاما من التعاون بل واسمح لي من الصداقة.. مفهوم أن قراري يضعك في موقف لأنه يعرقل تحقيق الهدف الذي حددته لنفسك والذي عملنا في سبيله معا حتى الآن. قد أكون مغرورا ولكن يجب أن تعترف بأن سفري سيجعلك تفقد ذراعك الأيمن في تحقيق الفكرة التي أنفقت ثلاثة أرباع عمرك من أجلها.. أليس كذلك؟

انطونيو : (بعد أن ارتدى البنطلون والجورب والحذاء بمساعدة اماكولاتا يلحظ أنها تتناول الزراير الذهب لتضعها في سوارى القميص فيبتدرها منبها) قلت لك يااماكولاتا إن هذا ليس من اختصاصك، يداك متسختان ومبللتان بالعرق من شغل المطبخ.

اماكولاتا : (تفتح يديها وتريها له) أهاتان متسختان؟

انطونيو : (في حزم) نادي جيرالدينا.

اماكولاتا : (مستسلمة) حاضر. سأناديها. (تخرج مهرولة).

انطونيو : (يستأنف الحديث السابق) نعم هذا صحيح... ومن ثم؟

فابيو : (يوجز في عبارة واحدة كل ماهو مقتنع به في قرارة نفسه) إنني تعبت من اللف في دائرة مفرغة .

انطونيو : ومتى ترحل؟

فابيو : بعد غد .

انطونيو : بالطائرة؟

فابيو : نعم وقد قطعت التذكرة .

انطونيو : (في غموض) بعد غد الجمعة . فهل من المناسب أن تسافر يوم الجمعة؟ المثل يقول «الجمعة والثلاثاء لا سفر ولا زواج» على أية حال إذا كنت مصرا فأي طائرة ترحل عليها لن تصل نيويورك قبل يوم السبت .

فابيو : (في ارتياب) ومامعنى هذا؟

انطونيو : (كالسابق) يعني أنه من واجبي أن اتصل ببعض الأصدقاء لينتظروك في المطار ويستقبلوك الاستقبال اللائق .

فابيو : (يدرك الخطر فيعتريه الشحوب . بعد لحظة من التفكير يتمتم) دون انطونيو . . هذا تهديد .

انطونيو : بل هو تحذير (في صدق واقتناع بشرعية عدالته الخاصة التي واجه بها دائما قضايا الناس في الحياة وقام بحلها

طبقا لقواعدها) يـادكتور. . أنا أحب أن أضع رأسي على الوسـادة في الليل وأنـام ملء جفنـي، ولكي أفعـل هذا لابد أن يكون ضميري مستريحا، لـذلك إذا اتخذت قرارا نهائيا في شأن أحد ـ وفي هذه الحالة في شأنك أنت ـ فأولا يجب أن اقتنع بأنـه ليس أمامي حل سـواه وثانيا يجب أن أحذر صاحب الشأن. سوف أشرح لك هذا. . .

جيرالدينا تدخل ووراءها اماكولاتا.

جيرالدينا : أبي. . صباح الخير يـاأبي (تجري نحوه وتعـانقه في حـب غامر).

انطونيو : (في حنان) جيرالدينا ياحبيبتي، القميص مكوي. .

جيرالدينا : إذن خذ هذه القبلات (تطبع على خده عدة قبلات) هل نمت جيدا؟

انطونيو : لابأس.

جيرالدينا : (تريـه يديها) انظـركم هي نظيفـة. سأضـع لك الـزراير (تشرع في وضع الزراير في سواري القميص).

انطونيو : وأين جنارو؟

اماكولاتا : يقوم باختيـار الكرافتة. . طلب معـرفة لون البدلـة التي سترتـديها وقال إن الكـرافتة التـي اخترتها أنـا (تريها لـه) ليست لائقة.

انطونيو : (في رضاء) جنارينو ذوقه رفيع . . بعد قليل سيجيء بأربع أو خمس كرافتات ويقول اختر واحدة منها . . ثم يلف ويدور ويفعل ما صنع الحداد لأضع الكرافتة التي تروق له .

جنارينو يدخل حاملا ست كرافتات مختلفة الألوان تليق كلها على البدلة التي يرتديها انطونيو.

جنارينو : صباح الخير ياأبي .

انطونيو : صباح الخير. . تعال عانقني . .

يتعانقان

جنارينو : (يريه الكرافتات الستة ويقول) انظر أيها تعجبك . . .

اماكولاتا : (تلوّح بالكرافتة التي اختارتها) وما العيب في هذه؟

جنارينو : الكرافتة شيء شخصي ولابد أن يختارها الإنسان بنفسه حسب ذوقه . وأبي لا يحتاج أبدا لرأي أحد (يتجه إلى أبيه) اختر واحدة منها .

انطونيو : أيها تعجبك؟

جنارينو : إذا أردت الحقيقة هذه تعجبني جدا . (يشير إلى أكثرها لفتا للأنظار) .

انطونيو : ياجنارينو، أنا عمري خمسة وسبعون عاما، أتريد أن تضع هذا في رأسك أم لا؟ سيصبح شكلي مضحكاً بهذه الكرافتة . . .

جنارينو : أنت متمسك بحكاية الخمسة وسبعين عاما هذه . . فأين تراها؟

انطونيو : أنا لا أراها ولكني أشعر بها .

جيرالدينا : أنت مازلت في عز الشباب (تعانقه بحرارة وتقبله كالسابق)

جنارينو : في رأيي أن هذه لائقة جدا ولا أحد يستطيع أن يتفوه بكلمة .

انطونيو : حسن . . حسن . . سألبس هذه الكرافتة المهم أن تسكت (يتناول ربطة العنق من ابنه ويضعها في ياقة القميص ويبدأ في ربطها) ومتى ستخرج؟

جنارينو : إذا عجلت يمكننا الذهاب معا .

انطونيو : لا . . أنا لم أخرج الآن . . لدي بعض الأعمال في البيت .

جنارينو : وأنا لدي أعمال في نابولي . لقد أعددت فرش ثلاث شقق لثلاثة عرسان ، ووقعت العقود وأخذت المقدم والأسعار ثابتة . أتريد أن تعرف مقدار الربح .

انطونيو : هذا شيء يخصك .

جنارينو : ولكنه سيسعدك .

انطونيو : سعادتي أن تشعر أنت بالسعادة .

جنارينو : وسعادتي أن أراك راضيا وفي خير وصحة وعافية .

انطونيو : (إلى اماكولاتا) هل أكل الكلب؟

اماكولاتا : ليس بعد .

جيرالدينا : أعملت بحكاية أمي؟

اماكولاتا : نعم علم بها .

جنارينو : أبي . . أتأذن لي بقتل هذا الكلب؟

جيرالدينا : ياللحيوان المسكين .

اماكولاتا : تقولين عنه ياللحيوان المسكين . . كادت السيدة أن تموت من الخوف .

جنارينو : ولكنـي قلت لكـم أن أحدا لا يستطيـع أن يمنعني مـن إطلاق النار في قلب جبينه .

اماكولاتا : استغفر اللـه . صحيح أن بعضنا تعلـق به ولكنـه وحش ومن الأفضـل للجميع أن يمـوت . . دون انطونيـو أنا لم أقدم لهما الطعام لأعرف إن كنـت تريد أن أعد وجبتين أم وجبة واحدة .

انطونيو : (يتوجه بـالكلام إلى ابنه) الكلاب كلابـي . اهتم أنت بما يخصك (إلى اماكولاتـا) وأنت جهزي الأكل للكلبين كما تفعلين دائما .

اماكولاتا : حاضر.

دون انطونيـو يفرغ من ارتداء مـلابسه . جيرالدينا تنـاوله الساعة الذهبية والخواتم .

جيرالدينا : (في إعجـاب) يالـوسـامتك يـا أبي (تعـانقـه وتقبله مـرة أخرى) النـاس سيقولون متـى يتزوج؟ ولكـن أين يجدون رجـلا مثل أبي؟ (تتنـاول الخف وتطوي الـروب وتحملهما إلى غرفة انطونيو. اماكولاتا تفض المائدة وجنارينو يحمل الكرافات الخمس إلى حجرته) .

فابيو : (في استحياء) دون انطونيو. . كنت تشرح لي . .

انطونيو : بخصوص السفر؟

فابيو : نعم بخصوص السفر. .

انطونيو : أنت حر يادكتور في أن تعيش ما كتب الله لك من أيام، أو أن تنهي حياتك في لحظـة بيدك (الشحوب يعتلي وجه فابيـو) فهل تـرى أن هذا تهديد؟ لقـد بقيت إلى جـانبي سنوات طـوال وأنت تعـرف طبعي فكيـف تتصور مثـل

هذا؟ إن الرجـل التافه هو الـذي يهدد، وهو حين يفعل هذا ـ دائما ـ يفعله ليخيف الناس ويصل لغرضه، فإذا لم يصل إليـه فإنـه يتخلى عن تهديـده ويعود كـل شيء كما كان. لا. . ليس كما كان لأن المقصود بالتهديد أن يخرج من الموضوع مـرفوع الرأس لعدم استسـلامه والذي يهدد سيقـدم الـدليـل على تفاهتـه. وأنـا قـد اتخذت قـراري يادكتـور، والآن عليك أنـت أن تتخذ قـرارك. وكما ترى ليس هذا تهديداً. . إنه فقط تحذير.

فابيو : ألم يـراودك شـك في هـذا القرار بعـد كـل مـا حـدث في الخمسة والثلاثين عاما الماضية؟

انطونيو : (بعد بـرهة من التفكير) نعم راودني، ولكـن فسر لي أنت معنى عبارتك «إنني متعب من اللف في دائرة مفرغة».

فابيو : (يحدق في عينيه بنظرة مصطبغة بـالخجل والحرص يحسم أمره في النهاية ويفرغ مافي صدره ليستريح) دون انطونيو، لقـد فهمت أخيرا. . فهمـت من أكـون أنـا ومن تكـون أنت. . أنـا رجل أحمق متهور وأنـت رجل مخبـول ذهب عقله.

انطونيو : من أكون؟

فابيو : (ينفعل لهدوئه ويصبح عدوانيا) أنت مجنون واهم. . هذا هو مـن تكون. . أمـا أنا، فـإني رجل تعـس شاء حظـه

العاثر أن يلتقي بك في الثانية والثلاثين من عمره فآمن بأفكارك وتبعك وعاونك. والآن وقد أصبح سنه أربعة وستين عاما وجد نفسه عجوزا خائب الرجاء فاقد الأمل. إن ثلاثين عاما عمر إنسان بأكمله، ولقد أمضيناها نحن في حماية شراذم من المجرمين الذين يجلبون العار على بلدنا.. وجازفنا بدخول السجن ليس مرة واحدة بل مئات المرات لنساعد فئة من أناس سفلة منحطين هم سبب البلاء في كل مجتمع.

انطونيو : تقصد الضحايا الحقيقيين.

فابيو : ضحايا؟

انطونيو : مؤكد.. لأنهم جهلة والمجتمع يستغل جهلهم. يادكتور. إن الجرائم والجنح التي يرتكبها الجهلة تتحرك بها وتعيش عليها عجلة الشراهة في المجتمع. الجهل سهم رابح.. ضع إلى جانبك جاهلا وعش هنيئا بقية حياتك. ولكن الجاهل قد فهم.. فهم «إن من له قديس يحميه، يدخل الجنة» فيقول في نفسه إذا ذهبت إلى المحكمة لأسوي هذه القضية فمهما كان الحق معي فإن الخصم إما أن يلجأ إلى «القديسين» الذين يحمونه وإما أن يأتي بثلاثة أو أربعة شهود زور وأنت تعلم أنهم شهود مأجورون يعملون لحساب من يدفع وتجدهم على باب المحكمة نفسها.

«لا تشهد زورا» هذا ماقاله المسيح ومادام قد قاله فمعناه

أن شهادة الزور كانت موجـودة على أيامه. وأنا أقول لك إنها مازالـت موجودة يـادكتور. . (يقلد صـوت القاضي المهيب) «قل: اقسـم بالله أن أقول الحـق، كل الحق، ولا شيء غير الحق». ويقسـم الأوغـاد الأربعـة فيقـول الـواحد منهـم: إذن هناك ملعـوب شهادة الـزور. وفي نفس الوقت لا يجد الأدلة وإن وجـدها تختفي لأن النقود لها أرجـل تقـف عليهــا وعجـلات تمشي بها. ولا يخسر الجاهل القضيـة فقط وإنما يقع في عدة إشكـالات بتهمة القذف والتشهير، ولـذا فإنـه بدلا مـن أن يعرض نفسـه لمخاطر اللجوء إلى المحكمة، يذهب من فوره وبنفسه إلى الخصم ويأخذ حقه بيده. وصحيـح أنه يدخل السجن ولكن الخصم أيضا يدخـل القبر. وأنا يادكتور. . ألست أنـا قاتـلا؟ من قتـل جاكينـو خفير عزبـة مارفيتـزي. . ألست أنا؟ وهل تعرف السبب؟

فابيو : كلا، فأنا لم أسألك عنه.

انطونيو : إذا قلـت لـك إن الحق كـان في جـانبـي فيجـب أن تصدقنـي، بل كان الحق في جانبـي ألف مرة وكـان لابد من قتل ذلك النذل. . ثم اختلقت الأدلة وقدّمت ثمانية شهود زور وأثبـت أنني كنـت في حالـة دفاع شرعـي عن النفس فـأطلقوا سراحي. وهـا أنذا اليوم كما تـرى لست مراقبا بل وأحمل أيضا رخصة سلاح.

فابيو : وما معني هذا؟

انطونيو : معناه أن من له قديسون يحمونه يدخل الجنة ومن ليس له . .

فابيو : يدخل النار.

انطونيو : كلا، يجيء إليّ هنا.

فابيو : وعلى حين نعمل نحن على المصالحة بينهم بالعدل، يقومون هم بقتل بعضهم بعضا كالأرانب.

انطونيو : ومع هذا كم من جرائم وكم من حوادث منعنا وقوعها في الثلاثين عاما الماضية؟

فابيو : ولكنهم كثيرون . . خضم من الناس . . فكيف تزعم أن في استطاعتك حل مشكلة خطيرة لها مثل هذه الأبعاد. ثم إني تعبت من مداواة الرؤوس وخياطة البطون واستخراج الرصاص من الأرجل والأيدي والأكتاف (يبدأ في فقد السيطرة على نفسه وتستولى على ذراعه الأيمن حركة عصبية لا تلبث أن تنتشر في كل أطراف جسده، يتغير صوته شيئا فشيئا حتى يصبح حادا متشنجا كصوت من يتعرض لنوبة صرع حقيقية). لقد دفعت غاليا ثمن ذلك اليوم اللعين الذي عرفتك فيه. هذه ثالث مرة يدفع لي أخي ثمن تذكرة السفر إلى أمريكا وثالث مرة أيضا تضيع علي الفرصة في البقاء إلى جواره وفي أن أجد راحتي وأعيش حياة كريمة بعد طول عذاب. اقتلني هنا بدلا من أن تقتلني في أمريكا (يفرد ذراعيه ويعرض صدره لدون

انطونيو) هيا اقتلني لنتخلص من هذا إلى الأبد (يصرخ بكل قواه) كنت طبيبا شريفا وكان أبي، أورستي ديللا راجوني، أستاذا جامعيا عمل بشرف أربعين عاما في جامعة نابولي (يدق الأرض بقدميه ويبكي كالأطفال) لقد لوثت اسم عائلتي، إنني جبان. . حقير. . (يترنح ويقع جالسا بمعجزة فوق المقعد) وضيع.

جيرالدينا : (تدخل جريا في قلق) ماذا حدث ياأبي؟

اماكولاتا تدخل وتقف لتستمع.

جنارينو : (يلحق بها) ماذا جرى ياجيرالدينا.

فابيو : (تنتابه نوبة من البرد العصبي فتصطك أسنانه ويحاول نطق الكلمات بصعوبة) يجب أن أرقد على السرير. . (يلمس رسغه) بعد خمـ. . س دقا. . ئق ستنـ. . تابني. . الحمـ. . ى.

اماكولاتا : (في همة) دكتور. .

جنارينو : هل أحضر لك كأس كونياك؟

فابيو : أعـد. . وا السـ. . رير وجهـ. . زوا قـر. . بـة الماء الساخـ. . ن (اماكولاتا تخرج مسرعة) خـذ. . وني إلى حجرتي. .

جيرالدينا وجنارينو يتقدمان ويساعدانه

انطونيو : (الـذي ظل جـامـدا يقـول ملمحا ومصرا على رأيـه) إذا كانـت الحمى ستنتابك بسبـب السفر فعليك أن تـؤجله حتى تسترد صحتك. أليس كذلك؟

فابيو : نعـم. . هو كـذلك. . (يتجـه نحـو غرفتـه بمساعـدة الاثنين).

انطونيو : وحين تزول الحمى ماذا ستفعل؟ هل ستسافر؟

فابيو : (بعد برهـة من الصمت) لا أعرف كـل مايهمني الآن أن تزول الحمى، (يخرج مستندا على الفتى والفتاة).

كاتيللـو يدفـع الباب الزجـاجي في رفـق ويغلقه وراءه. يرى انطونيو فيقترب منه ويخلع قبعته محييا.

كاتيللو : صباح الخير يادون انطونيو. إن كان لا يضايقك. .

انطونيو : (يتمتم) من هناك؟

كاتيللو : حضر بسكالي أوه نـازوني وفتشنزو أوه كـوتزو. . وهنـاك رافيلوتشو سانتا نيللو ومعه فتاة. .

انطونيو : رافيلوتشو سانتانيللو؟

كاتيللو : ابن صاحب الفرن.

انطونيو : آه. . ومن أيضا؟

كاتيللو : أوه نايت وأوه بالوميللو يريدان مقابلتك .

انطونيو : (إلى جيرالدينا التي عادت) جيرالدينا .

جيرالدينا : نعم ياأبي؟

انطونيو : هاتي الأوراق وابحثي عن دوسيه كوتزو ـ نازوني .

جيرالدينا : (تتناول مجموعة من الدوسيهات الضخمة ، وتجلس إلى المائدة ، وتبدأ في البحث عن الدوسيه ، تجري بعينيها على الأسماء) نازوني، نازوني، نازوني، كوتزو، كوتزو، كوتزو، أين راح؟

انطونيو : (إلى كاتيللو) احضر الناس . .

كاتيللو : كلهم؟

انطونيو : نعم ياصاحب السعادة! .

كاتيللو : في الحال (يخرج من الفرندة) .

جيرالدينا : (تجد الدوسيه) هاهو . .

انطونيو : ما الموضوع؟

جيرالدينا : كمبيالة قيمتها ٣٠٠,٠٠٠ ليرة أخذها بسكالي أوه نازوني من فتشنزو أوه كوتزو وتحمل توقيعه .

انطونيو : آه.. وعليها أرباح ١٠٪ في الأسبوع تصبح ٤٠٪ في الشهر.

جيرالدينا : بالضبط.

انطونيو : وما موضوع سانتانيللو؟

جيرالدينا : لاشيء في الدوسيه. هذه أول مرة تقابله.

انطونيو : وماهو موضوع أوه نايت وأوه بالوميللو؟

جيرالدينا : إنهما الاثنان الذان تبادلا إطلاق النار اليوم.

انطونيو : فهمت.. صاحبا العملية الجراحية. عال.. عال.. يضربان بعضهما بالنار ثم يحضران إليّ؟

كاتيللو يفتح ضلفتي الباب الزجاجي على مصراعيها ويقوم بإدخال الأشخاص الذين ذكرهم في المشهد السابق.

كاتيللو : تفضلوا..

يدخلون الواحد تلو الآخر. فتشنزو أوه كوتزو وبسكالي أوه نازوني وأوه نايت وأوه بالوميللو. في آخر الصف يدخل رافيلوتشو سانتانيللو وريتا موروزو. الفتاة حامل في الشهور الأخيرة، ترتدي ملابس متواضعة تزيد من حالة الرثاء التي تبعثها في النفس، يعتلي وجهها شحوب

الموتى، وتظهر عليها بوضوح آثار الحياة الشاقة المحفوفة بالحرمان وسوء التغذية. من حسن حظها أن عينيها واسعتان وسوداوان ويسمحان لها بالابتسام رغم كل ما تعانيه، فتبتسم دائما لتجنب الآخرين الإحساس بالضيق والشعور بالمسئولية عن حالتها التعسة، خطواتها متعثرة ولكن رافيلوتشو الفتى الوسيم والفقير مثلها يسندها في محبة.

فتشنزو : (نجار يرتدي ملابس لائقة. متعكر المزاج وتظهر بوضوح على وجهه المرارة التي تعتمل في نفسه. عند دخوله يخلع قبعته ويتجه إلى دون انطونيو في احترام) دون انطونيو.. وافر احترامي.

بسكالي : (رجل منعدم الخلق. يجمع مظهره بين المقامر والقواد. يرتدي ملابس أنيقة وقطعا ثمينة من الذهب. حين يتكلم يستمع إلى نفسه، وإذا وجدت امرأة فهي دائما له وحده. يخلع قبعته في جبن ولزوجة أمام دون انطونيو) دون انطونيو.. خادمكم المطيع.

رافيلوتشو : صباح الخير يادون انطونيو.

انطونيو : (الذي رد على تحياتهم جميعا بإيماءة خفيفة من رأسه) أنت ابن سانتانيللو؟

رافيلوتشو : خادمك (يشير إلى ريتا) وهذه خطيبتي .

انطونيو : (بعد وقفة قصيرة يلقي خلالها نظرة على بطن الفتاة ويهمهم بكلمة غير مفهومة)احم . . لو تنتظران بعض الوقت تتزوجان وتعمدانه في يوم واحد .

رافيلوتشو : (في اقتناع واضح) فعلا .

انطونيو : تقول إنك تريد الكلام معي . .

رافيلوتشو : الحقيقة أن حكايتي معقدة . .

انطونيو : فهمت . . الموضوع طويل . حسن، اذهب أنت وخطيبتك إلى الخارج فتمشيا وتنسما الهواء، وحين انتهي من هذين الموضوعين البسيطين سأدعوك للحضور.

رافيلوتشو : كما تحب يادون انطونيو . . (إلى ريتا) هيا بنا (يخرجان معا) .

انطونيو : أنت أوه نايت وأنت أوه بالوميللو؟

أوه نايت : خادمك .

أوه بالوميللو : خادمك .

انطونيو : اجلسا هناك .

أوه نايت : بإذنك (ينتحي جانبا ويجلس هو وبالوميللو) .

انطونيو : (متوجها إلى أوه نازوني) ما أخبار نابولي؟

بسكالي : كما هي . . أختي أنجبت طفلا آخر فأصبحوا نصف دستة بالتمام والكمال . . ولدان وأربع بنات .

انطونيو : الأبناء يجلبون الرزق .

بسكالي : نحمد الله على كل ما يعطينا ، فنحن لا ينقصنا شيء .

انطونيو : (مشيرا إلى فتشنزو) ألا تريد أن نسوي هذه المسألة؟

بسكالي : أية مسألة؟

انطونيو : فتشنزو أيضا لديه أولاد .

فتشنزو : ستة .

بسكالي : حسن . . هذا يعني أن بيته لا ينقصه الرزق هو الآخر.

انطونيو : اسمع يابسكالي . . أنا لا أحب الكلام الكثير وعلاوة على هذا فإن اليوم قصير . . الموضوع أنني ذهبت إلى نابولي أول أمس لشراء بعض اللوازم ، فقابلته في الطريق (مشيرا إلى فتشنزو) و«أهلا يافتشنزو» و«مرحبا بك يادون انطونيو» فأنا كنت أعرف أباه . . رجل شهم وصديق عزيز وقلت له : ماذا بك يابني؟ أنت شاحب الوجه . . ولكي لا نطيل في الكلام قال لي فتشنزو هذا ـ الماثل

أمامك أن الخراب قد حل ببيته بسبب كمبيالة بـ٣٠٠,٠٠٠ ليرة يدفع لها أرباحاً ٣٠,٠٠٠ ليرة في الأسبوع منذ سبعة شهور. ولكي يتخلص منها يريد أن يقتل بسكالي أوه نازوني.

بسكالي : يقتلني أنا؟

فتشنزو : (مندفعا في صدق ويأس) لقد حطمني يادون انطونيو.. حطم أبنائي.. صدقني أنا لا أكسب ١٢٠,٠٠٠٠ ليرة في الشهر. وطوال سبعة شهور لم أتوان عن الدفع ومع ذلك فمازال الدين كما هو: ٣٠٠,٠٠٠ ليرة. إن أبنائي يموتون من الجوع وهذا الجبان لا يعرف الرحمة. والويل لنا في آخر كل شهر.. إن زوجتي باعت مراتب السرير، وبدلتي الجديدة.. بدلتي التي كنت ألبسها يوم الأحد حتى هذه باعتها.

بسكالي : إن أمرك عجيب حقا. عندما احتجت إلى النقود ألم تعرف طريقك للحصول عليها؟ لو كنت أعدتها بعد أسبوع لكسبت الصفقة كلها لأن ٣٠٠,٠٠٠ ليرة كانت ستكلفك ٣٠,٠٠٠ ليرة فقط. يادون انطونيو إن هؤلاء الناس لا يعرفون كيف يدبرون أمورهم.

فتشنزو : النقود أخذتها لأدفع أجر عملية ابنتي؟

بسكالي : أنت معذور ولكن أنا أيضا رب أسرة إذا لم أحصل على مستحقاتي فسيقف حالي .

فتشنزو : أنت تعيش كالملوك . لديك سيارة وتؤجر الغرف بالساعة وزوجتك تستقبل الزبائن في حضورك .

بسكالي : اعطني النقود أولا ثم ضع رأسك برأسي وتكلم . .

انطونيو : ألا نريد أن ننهي هذا الموضوع؟

بسكالي : كيف ننهيه وهو يقول إنه سيقتلني . . . لعله يريد أن يقضي ثلاثين عاما في السجن!

انطونيو : صحيح أنه قال هذا أول أمس ولكنه غير رأيه وجاء ليعرض علي فكرة جديدة .

فتشنزو : (متعجبا) أنا جئت إليك أمس؟

انطونيو : (في هدوء) اسكت أنت . جاء أمس وأحضر لي الـ٣٠٠,٠٠٠ ليرة .

فتشنزو : (متعجبا أكثر) أنا؟

انطونيو : قلنا إن فتشنزو أحضر لي الـ٣٠٠,٠٠٠ ليرة .

بسكالي : عفوا يادون انطونيو ولكن مع كل احترامي وتقديري لك لماذا لم يحضرها لي أنا؟

انطونيو : لأنه لا يريـد أن يدفع أرباح الشهـر الأخير، فرجائي أن أتـوسط لـديك. وطبيعـي ومـن باب الإنسـانية أنـه إذا اعتبرنـا أن الــ ٣٠٠,٠٠٠ ليرة قـد عـادت عليـك بـ٨٤٠,٠٠٠ ليرة في سبعة شهور ففـي رأيي أن تغمض عينا عن أرباح هذا الشهر.

بسكالي : (يظهر عليه الرضاء لاسترداد المبلغ) وهل يمكن رد رجاء لدون انطونيو. . إن طلباتكم أوامر.

انطونيو : هل أحضرت الكمبيالة معك؟

بسكالي : نعم. . هاهي (يخرجها من الحافظة ويقدمها له).

انطونيو : (يتنـاولها في رفـق) حسـن لنقـل «هنـا الغسيـل وهنـا الصابون».

بسكالي : بالضبط.

انطونيو : لعلك لا تمانـع أن يكون المبلغ كله أوراقـا فئة ١٠,٠٠٠ ليرة.

بسكالي : ليـس مهما، فلـدي جيـب سحـري في بطـانـة جيـب الجاكتة.

انطونيو : إذن كل شيء على مايرام. افتحي الدرج ياقرة عيني. .

جيرالدينا : أي درج يا أبي؟ (تنظر إلى المائدة فتجدها خالية من أي درج).

انطونيو : هذا الدرج يابنيتي (يتظاهر بفتح درج وهمي في وسط المائدة) هاهي النقود. . ثلاث رزم. . كل منها مئة ألف ليرة. (يتظاهر بأخذ ثلاث رزم) واحد، اثنان، ثلاثة. (يتظاهر بوضعها على المائدة) دون بسكالي. . لقد قمت أنا بعدّ النقود فهل تتكرم بعدها أنت الآن؟

بسكالي : (لم يفهم الحيلة بعد. ينظر إلى انطونيو تائها وهو لايعرف إن كان قد حدث شيء لعقله أم أن الجنون عصف بعقل دون انطونيو) ماذا أعدّ يادون انطونيو؟

انطونيو : الثلاثمائة ألف ليرة.

بسكالي : (كالسابق) ولكنك يادون انطونيو. .

انطونيو : عدّ (يحدق طويلا في عيني بسكالي بنظرته الفولاذية).

بسكالي : (مرتعا وأشبه بالمفتون بتلك النظرة الرهيبة فيدرك أن طريق النجاة الوحيد أمامه هو عد المبلغ الوهمي. يتظاهر مقهورا بعد ثلاثين ورقة فئة عشرة آلاف ليرة أمام عيني انطونيو اليقظتين وتحت بصر الآخرين المغتبطين) واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة.

انطونيو : هذه مئة ألف. عدّ

بسكالي : واحد، اثنـان، ثلاثـة، أربعة، خمسـة، ستة، سبعـة، ثمانية، تسعة، عشرة.

انطونيو : مائتان. عدّ.

بسكالي : واحد، اثنـان، ثلاثـة، أربعة، خمسـة، ستة، سبعـة، ثمانية، تسعة، عشرة.

انطونيو : ثلاثمائة. هل وصلك حقك؟

بسكالي : نعم ياسيدي.

انطونيو : والآن ليشد كل منكما على يد الآخر ليتم الصلح.

فتشنزو : أنا على أتم استعداد. (يمد يده لبسكالي).

بسكالي : كما ترى يادون انطونيو

(يمد يده لفتشنزو)

انطونيو : عظيم.

بسكالي : حان وقت انصرافي (يتحرك ليخرج).

انطونيو : والثلاثمائة ألف ليرة.. أتتركها هنا؟ خذ النقود.

بسكالي : (ليقول كفى هذا) دون انطونيو . .

انطونيو : خذ النقود . (بسكالي يتقدم نحـو المائدة ويتظاهر بتناول ثلاث رزم مـن النقود ثـم يخرج في بطء . انطـونيو يـأخذ الكمبيالـة من فوق المائدة ويـرفعها بيده قـائلا لفتشنزو) أهذه هي الكمبيالة؟ .

فتشنزو : نعم ياسيدي .

انطونيو : إذن لنمزقها . (يقوم بتمزيقها) .

فتشنزو : (طـائراً من الفـرح وعاجـزا عـن التعبير في سهولـة) دون انطونيو، أطال الله عمرك مائة عام . . دون انطونيو، لقد أنقذت بيتي ورحمت أبنائي . . (يركـع أمامه ويتناول يده بين يـديه ويقبلهـا في تلاحـق) هـذه يد قـديس (تغلبـه مشاعره فينحني بوجهه على قدمه ويتعلق بها ويقبلها) .

انطونيو : كفى ، كفى ، من تعتقد أن أكون . . القديس بطرس؟

(جيرالدينا وكاتيللو يرفعـان فتشنزو بكل قواهما من فوق الأرض)

فتشنزو : (متأثرا وعينـاه مغرورقتان بالدموع) دون انطـونيو راعينا ، راعـي نـابـولي كلهـا ، نحن نحبـك يـاتـوني(*) نحـن نحبك .

---

* اسم التصغير لانطونيو واستخدامه هنا للدلالة على المحبة والإعزاز.

كاتيللو : (يصحب فتشنزوا إلى الباب) دون انطونيو يقدر مشاعرك والآن هيا اذهب إلى بيتك .

جيرالدينا : (تواصل عمل كاتيللو) أبي . . هل لديك وقت؟ هناك أناس آخرون ينتظرون . .

فتشنزو : (يردد مرة أخرى قبل أن ينصرف) نحن نحبك ياتوني (يخرج ويصل صوته إلى الداخل صائحا مرتين أو ثلاثة في انفعال) دون انطونيو راعينا . . راعي الجميع . . راعي نابولي كلها .

انطونيو : لنعد إلى العمل . (إلى جيرالدينا) من هناك .

جيرالدينا : (تنظر في الدوسيه) سانتانيللو.

أوه نايت : ونحن أيضا .

انطونيو : من أنت؟

أوه نايت : أوه نايت .

انطونيو : (يرى بالوميللو الذي يتقدم ويعرج) أنت الذي أصابتك الرصاصة في ساقك؟

بالوميللو : نعم ياسيدي . خادمك بالوميللو.

أوه نايت : أنا عملي الوقوف على رصيف الميناء . . وعندما يحضر

الأمريكان أذهب إليهم وأبحث عن الزبون لمناسب فإن وجدته أخذته إلى الملهى الليلي . . كولورادو في شارع مارينا . . والآن لم تعد الصحة تساعدني بسبب السهر والرطوبة . . وفي الفترة الأخيرة رقدت خمسة وعشرين يوما من جراء نزلة شعبية ونزلة رئوية (يشير إلى بالوميللو) فاستغل هذا النذل الفرصة وذهب إلى إدارة الملهى وعرض عليهم أن يحل محلي . وأنت تعرف يادون انطونيو أن لقمة العيش هي لقمة العيش .

بالوميللو : أنا لم أذهب لأحد . . هم الذين طلبوا مني أن أعمل محله .

انطونيو : (إلى بالوميللو) من أي حي أنت؟

بالوميللو : من حي منتى كالفاريو.

انطونيو : وأنت؟

أوه نايت : من سانيتا .

انطونيو : هل المسدس في جيبك؟

أوه نايت : نعم ياسيدي دون انطونيو.

انطونيو : ضعه على المائدة (أوه نايت يخرج المسدس ويضعه على المائدة) هناك خطآن . خطأ ارتكبه بالوميللو في حق أوه

نايت (متجها إلى بالـوميللو)، الكولورادو منطقته (يشير إلى أوه نايـت) إياك أن تقترب منهـا بعد الآن. إنها لقمـة عيشه. مفهوم؟

بالوميللو : مفهوم ياسيدي.

انطونيو : هل أضعك تحت المراقبة؟

بالوميللو : لا.. لا لزوم.

انطونيو : والخطأ الثاني ارتكبه أوه نايت في حقي أنا.

أوه نايت : (قلقا) دون انطونيو..

انطونيو : أوه بـالوميللـو أخطـأ ولكـن خطأه لا يستحـق العقـاب بضرب النار. أنـت من حـي سانيتـا.. فلماذا لم تأت إليّ قبل أن تطلق عليه النار؟ ولماذا لم تحمله إلى الإسعاف بعد أن أصبته هل كنت خائفا من التقرير الطبي؟.

أوه نايت : كلا يادون انطونيو، ولكنه كان ينوي..

انطونيو : أن يضربك بالنار؟ ولا ننتهي أبدا؟ ألا تريدون أن تفهموا أن الحياة لها احترامها؟ أنا أضربـك وأنت تضربني.. ثم يجيء دور الإخوة والأقارب والآباء والأعمام.. مذبحة.. حرب. إياك أن تفعل هذا مرة أخرى وإلا ألقيت بك في السجن.. أنـت من الحي ولن أجعـل نقطة ماء تـدخل

لـك في السجـن . . مجرد منـديل نظيـف لـن تـراه . . . سـأجعل الحشرات تسري في بـدنك . كفـى موضـوعكما انتهى . شـدا على يدي بعضكما (كلاهما ينظـر إلى الآخر ثـم يشد على يـد رفيقـه في صفـاء صادق) والآن اسمـع ياهمام . . (يخلع من يده اليمنى خاتما به حجر كريم كبير الحجم ويضعه في قبضة يده اليسرى) .

أوه نايت : أتكلمني أنا؟

انطونيو : (يسدد لـه صفعة قـوية تحبـس أنفاسـه ويحذره في نفس الوقت قائلا) إذا أردت أن تستخدم مسدسك مرة أخرى فانس اسـم انطونيو بركـانو. ولكنك إذا تذكـرته فقبل أن تطلـق عيارا واحـدا يجب أن تطلـب منـي الإذن (يأخـذ المسـدس مـن على المائدة ويناوله لـه) خـذ مسـدسـك وانصرف .

أوه نايت يتناول المسدس من يد دون انطونيو في ذهول

بالوميللو : (بعد وقفة يتجاسر ويسر في أذن أوه نايت) ألم يحن الوقت لكي ننصرف؟ (دون أن ينتظـر ردا يدفعه أمامـه فيترك له الأخير قياده كـأنه في حلم) . (دون انطونيـو لم يلتفت إلى المشهد ويبـدو كأنـه لا يشعر بـوجودهما . يضـع الخاتم بهدوء في إصبعه) .

أوه نايت : (يصل إلى الفرندة فيقف ويلوح عليه، ثم يدور نصف دوره ويتجه نحو انطونيو ويحدق فيه بعينيه. أوه بالوميللو يقف متأهبا ويرقب كل حركة من حركاته. أوه نايت يرفع يده اليمنى بحركة غامضة ليصوب مسدسه نحو الرجل الذي صفعه ثم لا يلبث أن يديره نحو نفسه فيتأمله ويشرد ذهنه لحظة في الموقف ولعله يفهم الدرس في هذه اللحظة، فيدس المسدس في جيبه ويقول للجميع بابتسامة خفيفة على طرف فمه) طاب يومكم جميعا. (يخرج ووراءه بالوميللو).

انطونيو : نادوا على سانتانيللو.

يدخل رافيلو تشو ومعه ريتا.

رافيلوتشو : اجلس واسمعني هذه الحكاية المعقدة.

رافيلوتشو : شكرا. (يقدم مقعدا لريتا ويجلس إلى جوارها).

انطونيو : نعم؟

رافيلوتشو : أنت لا تذكرني يادون انطونيو. .

جيرالدينا : أنا أذكرك. . أبوك يملك مخبزا في شارع جاتشنتو البينو. .

رافيلوتشو : أصبح يملك مخبزين.

جيرالدينا : آه توسع في أعماله.

رافيلوتشو : مخبز شارع جاتشنتو البينو ظل كما هو. . ولكنه فتح مخبزا منذ عـامين في شارع رومـا. مخبز حديـث له مـدخلان ويدر عليه ذهبا. فزبائنه خيرة أهل نابولي.

جيرالدينا : كانت مدرستي في شـارع جاتشنتو البينو. . وفي الصباح كنت اشتري الساندوتش من عندكم دائما ألا تذكرني؟

رافيلوتشو : كيف لا أذكرك.

جيرالدينا : كيف حال السيدة السمراء الجميلة التي كانت تقف على البنك وتبيـع الخبز للزبـائن؟ كانت تضـع دائما في رقبتها سلسلة ذهبية جميلة.

رافيلوتشو : إنها أمـي. . لقـد رحلـت عنـي وأنـــا في الســادســة مـن عمري. . كـانت الغـارات صعبة أيـام الحرب، وكانـت تعاني من مرض القلب، ولا تقوى على البقاء في الملجأ. . وكنا في ذلك الوقت نقطن في الطـابق الأول فأصيب المبنى المجاور لنـا بثلاث قنـابل. . ومـاذا نقول في القـدر؟ لقد دخلت شظية من النافذة وأصابتها هنا (يشير إلى رقبته) في نحرها. ولم تمض ثلاث دقائق حتى لاقت ربها.

جيرالدينا : ياللمسكينة!

انطونيو : هل لنا أن ندخل في لب الموضوع؟

رافيلوتشو : أنا أريـد أن أكلمك على انفـراد يادون انطـونيو. المسـألة حساسة للغاية.

اماكولاتا : (وهي تدخل) السيدة . . السيدة أرميدا وصلت .

جيرالدينا : أمـي وصلـت (تنهـض وتجري نحـو الفـرنـدة منـاديـة) ماما . .

تـدخل أرميـدا في تلـك اللحظـة مستندة إلى ذراع ابنهـا أميـديو. أرميـدا تبلغ مـن العمر خمسـة وأربعين عامـا ، ولكنهـا مـازالـت تحتفظ بمسحـة مـن الجمال ، تـرتـدي قميص النـوم وعليه الـروب ، وتضع بلـوفر مـن الصوف على كتفيها ، وجههـا يعتليه الشحـوب وعيناهـا تشوبهما حمرة من أثـر النوم ، شعرهـا الأسود الغزيـر مصفف على عجـل ومثبت ببعـض البنس والأمشـاط المصنـوعة مـن صدف السلحفاة. صـدرها ملفوف بربـاط من الشاش يغطي أسفل صدرها وثـديها الأيسر. حين ترى جيرالدينا يغلبها التأثر.

أرميدا : ابنتي . . ضنـاي . . (جيرالدينا تقترب مـن أمها مشـوقة لتعـانقهـا ولكـن أرميدا تمنعهـا مـن القيـام بهذه الحركـة التلقائية بإشارة منـاسبة) لا . . لا . . استحلفك الله . . (جيرالدينا تتراجع متفهمة حالـة أمها) إن ناراً تتأجج هنا (تشير إلى ثديها الأيسر. ترى زوجهـا فتتوجه إليه ضـارعة وتناديه) توني .

انطونيو : أرميدا . . سامحك الله . .

اماكولاتا : يالشحوب وجهها!

أميديو : خاطوا لها اثنتي عشرة غرزة (يقترب بأمه من انطونيو)

أرميدا : هل رأيت ياتوني؟ (تمنع نفسها من البكاء وتبتسم ابتسامة خفيفة لتشد من أزر زوجها).

أميديو : هذه الفعلة من صنع مالافيتا.

جنارينو : (الذي دخل مع الآخرين) أبي.. إذا أذنت لي سأقتل هذا الكلب(يخرج مسدسه من جيبه).

أميديو : لا.. بعد إذنك هذه المتعة لن تكون إلا من نصيبي أنا (يخرج مسدسه هو الآخر).

أرميدا : (في جدية وفي قلق الأم) لا تؤذيا أنفسكما بهذه المسدسات.

انطونيو : انتظروا! أرميدا.. ياروح توني.. أريد أن أعرف شيئا واحدا فقط وبعده لن يقضي على مالافيتا إلا مسدس واحد.. مسدسي أنا. عندما هاجمك هل جاء إلى حجرتك؟

أرميدا : لا..

انطونيو : ومتى وقع الحادث؟

أرميدا : في الواحدة بعد منتصف الليل. كنت ساعتها أجمع البيض من حظيرة الدجاج.

انطونيو : أرميدا . . ياحياتي . . قولي لي كم أحبك؟

أرميدا : كثيرا . .

انطونيو : وأنت هل تحبينني؟

أرميدا : (لتقول. أهذا محل شك) توني . .

انطونيو : صحيح أنك عانيت كثيرا ليلة أمس ولكن من يعاني أكثر الآن . . أنا أم أنت؟

أرميدا : (في اقتناع) أنت.

انطونيو : وأثر الجرح الذي سيظل على ثديك ماذا سيكون بالنسبة لي؟

أرميدا : (كالسابق) غصة في القلب.

انطونيو : مالافيتا هنا في العزبة ليحمي البيت والأسرة والدجاج . . أنت التي أثرتيه (إلى ابنيه) ليضع كل منهما مسدسه في جيبه (الابنان يطيعان) الكلب صاحب الحق. (لا أحد ينبش بكلمة . ويظهر الرضاء على وجه أرميدا لانتهاء الموضوع بهذا النحو) وكيف حالك الآن.

أرميدا : (تقلل من شأن آلامها) أشعر بتحسن ولكني أريد أن أرقد على الفراش.

اماكولاتا : هيا بنا ياسيدتي وسأقدم لك فنجانا طيبا من الشربة.

(الجميع يتقدمون ليصطحبوا أرميدا إلى حجرتها).

أرميدا : قالوا لي أن آخذ حقنا ضد عضة الكلب.

أميديو : كلا لـن تأخـذيها، فسأذهـب اليوم وأقـدم لهم الشهادة ليتأكدوا أن الكلب ليس مسعورا.

(يخرج الجميـع ماعـدا انطـونيو الـذي يبقـى في مؤخـرة المسرح).

رافيلوتشو : دون انطونيو..

انطونيو : معذرة يـاسانتانيللو ولكـن كما ترى اليوم غير منـاسب. تعال غدا.

رافيلوتشو : إنها مسألة عاجلة وخطيرة يادون انطونيو.

انطونيو : أربعـةوعشرون سـاعـة ليسـت نهايـة العـالم (يتقـدم ليخرج).

رافيلوتشو : دون انطونيو.. أنا سأقتل أبي غدا.

انطونيو : (يقف على مسافة خطوة من الباب ويستدير نحو الاثنين ويتفرس الفتى بنظرة مشدوهة. بعـد وقفة طويلة يقول) لم أفهم جيدا ماقلت.

رافيلوتشو : (في رباطة جأش) غدا سأقتل أبي.

(ريتا تنفجر في بكاء طويل، يلوح بوضوح أنها لم تعد تقوى عليه فيتحول إلى أنين واهن مسترسل لا يكاد يسمعه رافيلوتشو أو دون انطونيو.

انطونيو : (يفطن للمرة الأولى لحالة الفتى والفتاة البائسين. فيتفرسهما بتمعن شديد فترة طويلة. يتأثر على وجه الخصوص بنظرة الفتى الصافية وأنين الفتاة البريء. أخيرا يقول في اقتناع: أرى أنك قررت وصممت على قرارك).

رافيلوتشو : (في هدوء)نعم.

انطونيو : إذن المسألة طويلة. هل يمكنك العودة بعد ساعتين؟

رافيلوتشو : نعم بعد ساعتين.

ريتا تشعر بيد رافيلوتشو تربت على كتفها في محبة فتدرك أنه قد حان لهما الانصراف. يتقطع أنينها على فترات ثم يتواصل طويلا ورتيبا على طول الطريق من الفرندة إلى الخارج. انطونيو لا ينتظر تبدد النحيب إلى النهاية فيبقى قليلا ليستمع إليه ثم يتجه إلى حجرة زوجته خافض الرأس بطيء الخطى..

الفصل الثاني

نفس بيـت انطونيو بركـانو ونفس حجـرة الفصل الأول بعد مرور أقـل من ساعتين بقليل. أرميدا تقف في مقدمة الفـرندة لتتنسم الهواء وتعرض جسدها للشمس. تحكم تغطية كتفيها بشال من الصـوف. جيرالدينا واماكولاتا تقفان إلى جوارها . فابيو يجلس إلى المائدة في مواجهة الثلاثة وظهره للحائط.

أرميدا : كم الساعة الآن؟

فابيو : (يلقي نظرة على ساعته) التاسعة إلا ربعا.

أرميدا : ولماذا تأخر توني. . متى سيعود؟

جيرالدينا : الذهـاب والعودة مـن مصحة الكلـب يحتاج إلى بعـض الوقت.

اماكولاتا : إنه بعيد ولم تمض ساعة منذ حضورهـم لأخذ الكلب.

أرميدا : ولماذا لم يصحبه جنارو؟

جيرالدينا : أنت تعرفين أنه إذا لم يذهب إلى المحل في الصباح لا يهدأ له بال. لقد ركب عربته وذهب.

أرميدا : وأميديو؟

اماكولاتا : دون انطونيو أرسله في مهمة عاجلة إلى نابولي وسمعته يقول له: لا أوصيك يا أميديو. . ضعه في السيارة واحضره إلى هنا.

أرميدا : من؟

اماكولاتا : لا أعرف.

أرميدا : (إلى فابيو) ولماذا لم تصحبه أنت يا دكتور؟

فابيو : دونا أرميدا. . أناكنت في الفراش أعاني من نوبة حمى شديدة وكانت أسناني تصطك من البرد. أليس كذلك يا اماكولاتا؟

اماكولاتا : لقد جريت لأحضر له قربة الماء الساخن.

فابيو : لم تتحسن صحتى وأغادر الفراش إلا منذ ربع ساعة.

جيرالدينا : أنت دكتور كلما تنوي على السفر تتوعك صحتك. فالمرة السابقة أيضا انتابتك نفس هذه الوعكة

فابيو : لابد أن جو أمريكا لا يلائمني وعندما أشعر به من بعيد يصيبني المرض.

أرميدا : (مازالت قلقة على زوجها) هل مستشفى الكلب هذا بعيد.

فابيو : لماذا أنت خـائفة؟ ليست هـذه المرة الأولى التي يـأخذون فيها كلاب دون انطونيو إلى الحجر الصحي .

أرميدا : ولكنـك تعرف طبـاع تـوني . . إنـه طيب كبير القلـب، ولكنه يرى القانون بمنظاره الخاص، ولو أساءوا معاملته فسوف يفقـد صوابـه، ولن نضـع اعتبارا للمكـان الذي يقف فيـه، أو يعمل حسـابا للسلطـات. بل لـو عمل حسابها فسيفقد أعصابه ولن تحمد العواقب .

فابيو : إذن اسمحي لي أن أقول لك إنك لا تعرفين دون انطونيو جيدا . لعلك تعرفين فيه الزوج على حقيقته ولكني أعرف فيه دون انطـونيو الـرجل أكثـر منك . هـل رأيته مـرة في المحكمة وهـو يركع على قـدميه ويقول للقـاضي : سيادة المستشار الموقـر؟ يتظاهـر بخلع قبعتـه ويقلد في خشـوع انحناء دون انطونيو أمام القاضي) .

أرميدا : (تبرر تصرف زوجها) ولكنه القاضي .

فابيو : لا . . لا . . إنه يفعل هذا حتى مـع الحاجب . . بل ومع كل من يعمـل في القضاء كبر مركزه أم صغـر فعلى سبيل المثال إنه يعرف أن الحـاجب ليس حـرا في تعامله وأنـــه لا يستطيع معـاملته الند للند بـل يعرف أنه موظـف عام عليه واجبات ولـه مسئوليات . . إن دون انطونيـو يعرف تماما كيف يتصرف وليس مـن المستبعد أن يحضر الكلب معه .

جيرالدينا : لا، هذا لا، فـالمرة السابقة احتجزوه أسبـوعين في الحجر للتأكد من سلامته .

رافيلوتشـو يدخـل بخطوات أقـرب إلى الجري ثم يقـف لاهثا بجوار النساء .

رافيلوتشو : لا تؤاخذوني . .

أرميدا : من هذا؟

اماكولاتا : إنه شاب جاء اليوم وقابل دون انطونيو. .

جيرالدينا : رافيلوتشو سانتا بيللو يا أماه .

رافيلوتشو : خادمك يا سيدتي .

جيرالدينا : هل وقع لك مكروه .

رافيلوتشو : (يبتسم ليخفي الضيق الذي يشعر به) الفتاة التي كانت معي . .

اماكولاتا : آه، صحيح . . ولكن ألم تخرج معك؟

رافيلوتشو : بلى ، لأن دون انطونيو طلب مني أن أعود بعد ساعتين . فخرجنـا معا وبقينـا في العزبـة لأننا لم نكـن نعرف أيـن نـذهب . والسـاعتـان لم تنتهيـا بعد فمازال هنـاك ثلـث سـاعة . ولا أعـرف مـاذا انتـابها؟ ربما كانـت الشمـس ولكنها فجـأة شعرت بـالدوار وترنحـت فهرب الـدم من عروقي من الخوف .

اماكولاتا : يا للبنية المسكينة!

جيرالدينا : وأين هي الآن؟

رافيلوتشو : في حديقة الفاكهة الثانية، على الجانب الأيمن.

اماكولاتا : (لتحث فابيو على التدخل) دكتور. . .

فابيو : احضروها هنا فأنا أيضا مريض والشمس تضرني.

جيرالدينا : (تتجه نحو الباب). تعالي يا اماكولاتا. (تخرج)

اماكولاتا : هيّا بنا يا بني (تخرج وراء جيرالدينا ووراءها رافيلوتشو

فابيو : الظاهر أنه ابن صاحب مخبز شارع جاتشنتو البينوا.

أرميدا : والبنت؟

فابيو : لا أعرفها، ولكن كيف حالك أنت يا دونا أرميدا؟

أرميدا : أشعر بتحسن وشكرا لسؤالك.

فابيو : استأت كثيرا لأني لم أكن هنا ليلة أمس. بعد قليل سأرسل إلى الصيدلية ليحضروا لك نقطا مهدئة.

أرميدا : شكرا يا دكتور. .

اماكولاتا : (من الخارج) حمدا لله. . لقد وصلنا يا حبيبتي.

جيرالدينا : بالراحة، بالراحة، استندي إلى . .

ريتا : متشكـرة . . أنـا بخير الآن . . لابـد أنها نـوبـة دوار مفاجئة .

اماكولاتا تـدخل ممسكـة بوسـط ريتا المستنـدة في نفس الوقت على ذراع جيرالدينا .

اماكولاتا : لا . . لا . . البنيّة تعـاني من شيء (الثلاثـة يتقدمـن نحو وسط الحجرة ثم تقوم اماكولاتا وجيرالدينا بإجلاسها إلى المائدة) إنها الشمس كما قال هذا الشاب . استريحي قليلا هنا في الظل وسوف تتحسنين في الحال .

أرميدا : أليس من الأفضل أن تكشف عليها يا دكتور؟ الظاهر أن البنت حامل .

ريتا : (في اعتزاز وثقـة وبنفس ابتسـامتها المعهـودة، وعيناهـا الواسعتان مفتوحتان) في الشهر السابع .

أرميدا : (إلى رافيلوتشو) أهي زوجتك؟

رافيلوتشو : (مصححـا وفي إحساس رجـولي بالمسئـولية) إنها امـرأتي وحياتي .

اماكولاتا : اكشف عليها يا دكتور.

فابيو : وما فائدة الكشف عليها . . الحمل لا دخل له بحالتها . إنها تعاني من سوء التغذية . (يقترب من ريتا) ألا ترين مقدار شحوبها؟ ألا ترين زرقة جفنيها الداكنة؟ (يتناول يدها) انظري . . إن هذه البنية المسكينة تموت من البرد (يقيس النبض) ولمَ لا تموت ونبضها لا يكاد يسمع (إلى الفتاة) متى أكلت اليوم؟ (ريتا تغض بصرها لتتحاشى الرد ثم تنفجر في نحيبها الشاكي المعتاد) ألم تأكلي؟

رافيلوتشو : (من الفرندة ودون أن يتحرك من مكانه يرد في مرارة شديدة) لا . . لم تأكل يا دكتور.

فابيو : يا إلهي! إنها حالة جوع مزمن . . هذه الفتاة تعاني من سوء التغذية منذ شهور طويلة .

رافيلوتشو : هذا هو الواقع .

فابيو : أمرك عجيب حقا . . منذ قليل قلت في جرأة تحسد عليها إنها امرأتك والآن تجد الشجاعة لتقول إنها على لحم بطنها .

رافيلوتشو : (يتقدم بخطى ثابتة ويقف أمام فابيو) انظر إلى هذه الفتاة التي كشفت عليها الآن . . إنها حطام لا قيمة له . مجرد عدة عظام مركبة بعضها على بعض وقد يجيء أي شخص فيفعل هكذا في لحظة غفلة (يؤدي حركة كأنه

يلم نفايات) ثم يقول هذا شيء لا نفع فيه ولا يصلح لشيء. ودون أي تفكير يذهب ليلقي بها في إحدى النواحي وسط الزبالة ويتخلص منها. أتراها تلبس على الموضة؟ كلا يا سيدي. هل ترتدي الجوارب الحرير؟ لا، لا ترتديها. أتذهب إلى الكوافير؟ لا، لا تذهب ومع كل هذا فهذه العظام التي تراها أمامك والمركبة بعضها على بعض بهذا الشكل بالذات وفي هذه الحالة بالذات. . بهذه الجفون وهذا الجلد وهذا اللون. . هذا الحطام الذي لا قيمة له. . أتراه؟ حسن. . إنه امرأتي. وأنا. . انظر إلى حالي. . إن حذائي ممزق (يرفع إحدى قدميه ويكشف عن نعل الحذاء البالي) وردائي. . انظر. . يثني ذراعه ويريه كم السترة المتآكل على المرفق) وتحب أن ترى قميصي؟ (يخلع السترة ويشير إلى الخياطات والرقع المتعددة في القميص) وأنا نفسي من أكون؟ مجرد كومة من العظام المنفردة التي لا يرضى أحد أن يدفعها بقدمه هكذا (يدفع ساقه اليمنى بسرعة إلى الأمام ويحك بقدمه البلاط كأنه يبعد شيئا يبعث على الغثيان) ويلقي بها في الزبالة. ولكن كومة العظام المنفردة هذه أتعرف ماذا تعني عندها. . إنها الرجل الذي اختارته لنفسها.

ريتا : (مأخوذة وفي غمرة من الحب كأنها تكلم نفسها) ما أجمله.

رافيلوتشو : أنا أعمل شيالا باليومية في الميناء، وحين أزيد عن العدد المطلـوب، لأننـا كثيرون، يغلقون الأبـواب في وجهـي، فـأعرض نفسي لـلأعمال اليـدوية وأعمـل تبـاعا وعتـالا وخفيرا وعامل مراحيـض. . لا امتنع عن عمل أي شيء وإذا كسبـت ليرة أضعهـا في يـدها. وإذا رزقنـا اللـــه بـرغيف أقسمـه بينـي وبينهـا وإذا لم يكن لي نصيـب في الرزق فلا شيء لها ولا شيء لي.

فابيو : وتموتان من الجوع.

رافيلوتشو : لا، بل نمـوت من الجوع فـالجنين الذي تحملـه في بطنها ابني.

فابيو : إن الأبوة التي تشعر بمسئوليتها بكل اعتزاز شيء يشرفك ولا غبار عليه، ولكن المشكلة أيتهـا السيدات العزيزات هي هـذه الفتاة. إنها إذا لم تـأكل في الحال فـإنها ستفقد الوعي تماما.

أرميدا : (في نجدة ومروءة) اماكولاتا.

اماكولاتا : تفهم قصـدها على الفـور فتسرع إلى المطبخ قـائلة) مـاذا كتب علينا أن نراه في هذه الدنيا (تخرج)

فابيو : (يفصل من الدفتر الروشتة التي كتب عليها أسماء بعض الأدوية الـلازمة لـريتا ويتجـه إلى رافيلوتشـو) اذهب إلى الصيدلية واحضر هذه الأدوية.

رافيلوتشو : (في شيء من الاضطراب وممسكا بالورقة في يده) الآن؟

فابيو : الآن . . أم أنك خائف تترك امرأتك هنا؟

رافيلوتشو : لا، ولكن . .

ريتا : (في عدم اكتراث مصطنع) إنه لا يحمل نقودا في جيبه أبدا لأنه يخاف أن تضيع ولذلك فأنا احتفظ بها دائما . (تخرج من صدرها منديلا معقودا على هيئة ربطة صغيرة . تحاول فكه مرة ولكنها تفشل لهزالها وانعكاسه على دقة بصرها . تحاول مرة ثانية فتبوء محاولتها بالفشل .

رافيلوتشو : دعيني أفكه . . (يفك المنديل البالي في مهارة ويقلب في محتوياته المتواضعة) هاتان تذكرتا القطار . لقد قطعنا تذكرتين ذهابا وإيابا وإلا ما استطعنا العودة . (يضع التذكرتين في المنديل مرة أخرى) وهذا سوارك (يرفع بيده سوارا من أحجار المرجان الصناعي المفروطة .

ريتا : الخيط مقطوع . . احذر حتى لا تضيع حباب المرجان .

رافيلوتشو : أين ذهبت النقود؟ آه إنها هنا (يتناول ثلاث قطع معدنية فئة مائة ليرة هي كل ما يجده فيقول) ثلاثمائة ليرة تكفي؟

فابيو : وما علمي بهذا؟

أرميدا : قل لهم في الصيدلية أنك من طرف حرم دون انطونيو بركانو. إننا ندفع الحساب آخر الشهر.

رافيلوتشو : وما ذنبك أنت لتدفعي ثمن الدواء؟

أرميدا : إنه شيء بسيط.

جيرالدينا : وأنا مدينة لك.

رافيلوتشو : مدينة؟

جيرالدينا : حينما كنت أذهب إلى المدرسة وآتي عندكم لشراء الشاندوتش كنت تعطيني دائما كعكة من وراء أبيك وكنت استمتع كثيرا بأكلها. انظركم ثمن الكعك الذي أعطيته لي وستجد أننا بعد أن ندفع ثمن الدواء علينا أيضا أن ندفع لك الباقي.

أرميدا : اذهب وعد سريعا.

رافيلوتشو : (في شيء من التأثر) بإذنكم (يخرج مسرعا)

اماكولاتا تدخل حاملة في يدها صينية عليها إناء من الحساء يتصاعد منه الدخان وطبق من جبن الموتزاريلا الطازج ولبن وفاكهة.

اماكولاتا : شربة ساخنة وقطعة من اللحم أيضا (تضع الصينية على المائدة)

أرميدا : دوّنا . . . ما اسمك ، تفضلي كلي .

ريتا تخفض رأسها ولا تجيب .

فابيو : قليل من الشربة . . ابدئي بقليل من الشربة .

جيرالدينا : طبعا . . الشربة واللحم وكوب اللبـن اللذيذ وقطعة من الجبن الطازج .

(ريتا تظل مطرقة برأسها دون أن تحرى جوابا)

أرميدا : ألا تريدين أن تأكلي؟

اماكولاتا : كيف لا . . إنها ستأكل في الحال . يا للبنيّة المسكينة لعلها تشعر بالخجل .

أرميدا : أتريدين البقاء وحدك؟

ريتا : أريد رافيلوتشو.

جيرالدينا : لقد ذهب إلى الصيدلية . . كلي أنت .

ريتا : (مستسلمة دون رضاء) حاضر.

جيرالدينا : (تنحني جانبا بالآخرين) الأفضل أن نتركها وحدها و إلا لن تقترب الطعام .

اماكولاتا : نعم ، هذا أفضل .

أرميدا : لن يغمض لي جفن الليلة . . لقد بدأ الألم ينتاب كتفي
(تتقدم نحو حجرتها)

اماكولاتا : (تتبع أرميدا) كان الله في عونك فأنت ترين نجوم الظهر.

فابيو : سوف أرسل الآن كاتيللو ليحضر لك النقط المهدئة .
(يخرج مع السيدات الثلاث)

بعد وقفة قصيرة تتلفت ريتا حولها ثم تتناول شوكة وتغمسها في الشربة لتتصيد بها قطعة اللحم. عندما تتمكن من إخراجها تنظر إليها باهتمام شديد لتقدر حجمها . تصاب بخيبة أمل حين تدرك أن القطعة تكفي شخصا واحدا بالكاد. تتناولها وتضعها في طبق وتصب عليها بعضا من الحساء الساخن بالملعقة ثم تقلب عليه طبقا آخر. أخيرا تتناول جرعة من الحساء فتشعر بالراحة ثم تسرع شيئا فشيئا في تناول الجرعات لتمنح المعدة بهذا وبنحو غريزي حقها المقدس في الطعام .

يدخل انطونيو

انطونيو : (يرى ريتا فيبتسم ويعلق ساخرا) مهلا يا عروسة فلا أحد يجري وراءك .

ريتا : (خائفـة فتقع منها الملعقـة في الطبق وتنهض مسرعـة لتبتعد عن المائدة كأنها لص ضبط متلبسا . . لم أكن أريد شيئا . . السيدة أرميدا هي التي أصرت أن تقدم لي الطعام) .

انطونيو : ولتـأكلي بالهنـاء والشفاء (يقترب مـن الفتاة ويجلسهـا إلى المائدة ويقـدم لها الملعقـة) عظيـم . . عظيـم . . تنـاولي الشربة ساخنة .

ريتا : لا . . شكرا . . لقد شربت الشربـة . أريد أن آكل قطعة من الجبن .

انطونيو : كلي بـالصحة والعـافية (يقطـع بنفسه قطعـة من الجبـن ويقدمها إليها)

ريتا : شكرا (تسرع في أكل الجبن في حياء)

انطونيو : أأنت خطيبة رافيلوتشو سانتانيللو؟

ريتا : لست خطيبته بالضبط .

انطونيو : ولكنه قال هذا .

ريتا : هو يقول هذا عندما يقدمني للغرباء ولكن إذا طلبت منه أن يفتح لك قلبه فسيقول لك إنني امرأته .

انطونيو : وهل تعرفين ما معنى أن يقول الرجل «إنها امرأتي»

ريتا : نعم أعرف لأنه أوضحه لي .

انطونيو : إذن ماهو؟

ريتا : وأنت ألا تعرفه؟

انطونيو : أعرفه، ولكني أريد أن أتأكد أن المعنى الذي أوضحه لك يطابق المعنى الذي أقصده.

ريتا : قل أنت أولا ما تقصده وسآكل أنا قطعة الجبن ثم أتكلم.

انطونيو : لابأس.. الحقيقة أن كلمة امرأتي لا تعني القول خطيبتي أو زوجتي واستخدامها في كلتا الحالتين يمكن اعتباره إهانة للمرأة، فالزوجة زوجة وعندما يتكلم عنها الرجل يقول «حرمى» والرجل الأصيل لا يقول امرأتي إلا في حالتين فقط «الحالة الأولى» إذا استدعته الضرورة القصوى إلى الإشارة إلى عشيقته أو إلى خطيبته كما يقولون. وفي هذه الحالة يجب أن يكون من يسر إليه بهذا رجلا عاقلا على مستوى المسئولية ومحل ثقة لا تشوبها شائبة. و«الحالة الثانية» أن يقول هذا في موقف نجدة إذا كان رجلا شهما وشجاعا ويريد أن يحمي امرأة ما ـ حتى وإن كانت عاهرة ـ من تحرشات شلة من البلطجية الفتوات المغرضين.. عندئذ يعلن نفسه حائزا مؤقتا لهذا العنصر الأنثوي ويقول: لا أحد يلمسها إنها امرأتي.

ريتا : كلا، ربما كان هذا معناه على أيامكم، فأنت رجل عجوز أما الآن فـالأحوال قد تغيرت ومـا قاله لي رافيلـوتشو شيء آخر. وعلى أية حال فإن هذه هي حكايتي. . أنا لم أعرف لي أبوين. وقد تربيت على يد الراهبات المحسنات في دار الرحمة في تورى دل جربكـو. ولما بلغ سني الخامسة عشر أي منذ حوالي ثماني سنـوات لأن سني الآن خمسة وعشرون عـاما. خـرجت لأعمـل خـادمة في بيـت أسرة كريمـة. فقـدمت طلبـا إلى دار الرحمة وأرفقـت بـه كل الضمانـات اللازمة. والحق أقول إنهم عاملوني معاملة طيبة فأحببتهم وتعلقت بهم. وكان بيتهم يقع في شـارع متفرع من شارع جاتشنتو البينو. وطوال المدة التـي خدمت فيها في بيتهم كنت أذهـب لشراء الخبز من فـرن والد رافيلـوتشو. فماذا حدث؟ ألم أظل انظر إليه وينظر إلي سبع سنوات دون أن نتبادل كلمة واحـدة؟ كنت أدخل الفرن وأقـول: ٢ كيلو خبـز فيزن لي الخبـز وبعـد أن آخـذه أقول: أسعـد اللـه صباحكم وبعدها لاحس ولا خبر.

انطونيو : وما دخل هذا.

ريتا : انتظر الآن ستسمع. فذات صباح. . وكان هذا منذ عام ونصف. . كنت اشتري الخبز كالعادة فإذا بي أسمع من يقول أتذهبين معي إلى السينما اليوم؟

انطونيو : من كان هذا. . رافيلوتشو؟

ريتا : لا، إنـه ميكانيكـي كـان يشتري بعضـا من الكعـك. .
فقلت له: لا، متأسفة أنـا لا أذهب إلى السينما مع أحـد
لا أعرفـه. فقال: لا عليـك سأذهـب مع رافيلـوتشو. .
اتفقنا يا رافيلوتشو. فقال له: لا. الليلة لا يمكن. ونظر
في عيني نظرة ثـاقبة وقال: الليلة لدي موعـد في التاسعة
تماما أمام سينما سـانتالوتشيا وظـل ينظر في عيني دون أن
يرفعهـا عني ففهمت غرضــه. وفي الساعة التاسعـة تماما
كنت أمام سينما سانتا لوتشيـا. وشعرت بذراع رافيلوتشو
تتأبط ذراعي. كنت أسير مغمضة العينين. . لم أكن أرى
شيئا وانتظـرت أن يتكلم. وأخيراً قال لي: هـل تحبينني؟
فأجبته على الفور منذ سبع سنوات. ثم سألته وأنت متى
فكرت في أول مـرة؟ قال: منــذ سبع سنـوات. شخصان
والفكـر واحـد. ومنـذ تلـك الليلـة أصبحـت لا اهتـم
بشيء. . لم أعد اهتم بمن يسيرون في الشارع ولم أعد انظر
إلى المحـلات أو أرغب في السينما، وإذا كلمنـي أحـد لا
أسمع مـا يقول. وعنـدما أكون مـع رافيلوتشـو تتملكني
سعادة غـامرة وأرى أن كـل شيء حلال في حـلال. وقد
قـال لي إن هذا يحدث عنـدمـا يكـون الإنسان قـد خلـق
لـلإنسـان الآخـر وحـده. أي أن المرأة يكتمـل نضجهـا
وتعرف كيـف تقدر الأشياء الجميلـة حين تلتقي بالـرجل
الذي خلـق لها. وما يجوز على المرأة يجوز على الرجـل وأنا
قد التقيت برافيلوتشو ورافيلوتشو التقى بي.

انطونيو : مفهوم، مفهوم. . التقى الروحـان التوأمان. ولكن قولي لي: أتعرفين شيئا عما نوى عليه رافيلوتشو؟

ريتا : (تومـيء برأسهـا مرتين ثم تـردد بالإيجاب) نعـم (يختنق حلقهـا فجـأة وتنفجـر في نحيبهـا الشـاكـي المعتـاد، وتسترسل في البكاء، وتخرج من جيبها منديلا باليا تمسح بـه دمـوعهـا وتمخـط أنفهـا وتقـول: إن رأسـه نـاشـف كالحجر. . إذا قال كلمة فهـي الكلمة. ولقد ملك عليه هذا العزم كل حواسه منذ ثلاثة شهور).

انطونيو : وهل تعتقدين أن لديه حقّاً فيما ينوي عليه؟

ريتا : (فـريسة لنـوبـة البكـاء) حينما نكون معـا ونتحـدث في الموضـوع يتهيـأ لي أنـه على حـق وحين اختلي بنفسي وأفكرفيما قاله يتهيأ لي أنه ليس على حق.

انطونيو : وأنت ألم تستطيعي أن تحمليه على تغير رأيه؟

رافيلوتشو يدخل ويقف على عتبة الباب

ريتا : وماذا بوسعي أن أفعل. إنها بالنسبة له ليست نية. . إنها مرض فهو لا يكف أبدا عن التفكير فيها ولا ينام الليل. خلصه منهـا يا دون انطونيـو. . أنت الوحيـد القادر على تحقيق هذه المعجزة.

رافيلوتشو : (يتقدم نحو المائدة ويتوجه إلى ريتا) لقد جئنا إلى هنا لأكلم أنا دون انطونيو لا لأن تكلميه أنت، اغفر لها يا دون انطونيو فهي لا تعرف قدرك. (إلى ريتا) قلت لك لا تفتحي فمك في غيابي.

انطونيو : أنا الذي بدأت بسؤالها؟

رافيلوتشو : إذن لتقل أنا لا أعرف شيئا وحين يعود رافيلوتشو تستطيع سؤاله (ريتا تنتحب بصوت خفيض) كفاك بكاء.. إنه يضر بصحتك. أترى يا دون انطونيو.. إنها تبكي ليل نهار.

انطونيو : إذا كنت تريد أن تكلمني فهيا أنا مستعد للسماع.

رافيلوتشو : اذهبي لتتمشي في الخارج حتى انتهي من الكلام مع دون انطونيو.

ريتا : دعني أبقى.. أريد أن أسمع ما يقوله دون انطونيو.

ر افيلوتشو : (في حزم) هيا، هيا.. اذهبي لتشمي الهواء في الخارج.

ريتا : (ضارعة) قل له أنت يا دون انطونيو. قل له إن يدعني أبقى فأنا أحبك. تدخل جيرالدينا.

جيرالدينا : ماذا تم في الموضوع يا أبي؟

انطونيو : لقد تأكدت بنفسي أنهم سيعاملون الكلب معاملة طيبة وأنهم سيعيدونه بعد سبعة أيام. كل شيء على ما يرام.

جيرالدينا : وأنا يا صبية هل أكلت لقمة؟

ريتا : نعم أكثر الله خيركم.

تدخل اماكولاتا

اماكولاتا : (مشيرة إلى ريتا) هل أكلت؟

انطونيو : تناولت قليلا من الشربة وأكلت قطعة جبن. والآن اصطحباها إلى المطبخ لتكمل أكلها.

اماكولاتا : تقوم بفض المائدة وتقول: تعالي يا بنيتي.. تعالي معي يا حبيبتي.

ريتا : (تهم مسرعة حين تتناول اماكولاتا الطبق الذي يحتوي على قطعة اللحم. لنذهب به) لا.. لا.. هذا نصيب رافيلوتشو. لقد تركته له. كل يارافيلوتشو.. إنه لحم مسلوق.

رافيلوتشو : كلا.. شكرا ليست لي نفس (إلى اماكولاتا) تفضلي خذيه.

جيرالدينا : بل كل من أجل خاطرها هي (تشير إلى ريتا).

ريتا : نعم من أجل خاطري.

رافيلوتشو : ليست لي نفس.

انطونيو : لا بأس. . اتـركه هنا لعـل نفسه تنفتـح فيها بعد. والآن اذهبن لأننا نريد أن نتكلم.

اماكولاتا : (إلى ريتـا) تعـالي يـا بنيتـي (تهم بـالخروج ووراءهـا جيرالدينا)

ريتا : لحظـة واحدة. . سـآتي حـالا (تبتعـد عنها وتقترب مـن رافيلوتشو فتضغـط على يديه وتنظر في عينيه طـويلا) ثم تقول رافيلوتشـو. . إنني سأخرج لأن هـذه هي رغبتك. فكلّم دون انطونيـو ولكن تذكر إنني امـرأتك ولاشك أن نصيحته لـك سيكون فيهـا كل الخير (تنتحـي به جـانبا وبصوت خفيـض) كل اللحم فأنـت لم تأكل شيئـا منذ أمس.

رافيلوتشو : حاضر. . حاضر.

ريتا : (إلى المرأتين) أين المطبخ.

جيرالدينا : من هذه الناحية.

تخرج النساء الثلاثة

انطونيو : (مشيرا إلى ريتا) وأنها ابنة حلال. .

رافيلوتشو : إنها قديسة.

انطونيو : اجلس يا سانتانيللو.

رافيلوتشو : شكرا. (يجلس)

انطونيو : حسن. . ما الحكاية؟

رافيلوتشو : (مـر تبكا)دون انطـونيـو. . الموضـوع، الموضوع يـا دون انطونيو. . الموضوع.

انطونيو : سانتانيللو. . أنا خبرت الحياة والنـاس وطفت الدنيا من أولها إلى آخرها وأقـول لك بكل تواضـع إني عشت حياتي بطريقـة عملية. أنت منـذ ساعتين قلت في هـدوء وثقة تحسد عليها: أنا سأقتل أبي والآن أراك مرتبكا ومحجما عن الكلام فهـل راجعت نفسك في هـاتين الساعتين ولا تجد الكلمات لتقول إنك تراجعت.

رافيلوتشو : يـا دون انطـونيو. . إذا كنـت تـراني مـرتبكا فـذلـك لأني سمعت الكثير عنـك، ولكنني لم أتشرف بـالاقتراب منك من قبل. فعندمـا يتردد اسم انطونيو بركانـو تقفل الأفواه وتـرفع القبعـات من على الـرؤوس تكريما وإجـلالا. إن الاحترام الـذي أكنه لـك هو الـذي يمنعنـي من الكـلام بتبجـح في حضورك. أقصـد أن رؤيتك تبعـث في نفسي الرهبة. ولكن الرجل رجل مهما كان الأمر و إن ما قلته لك منذ ساعتين أؤكده لك الآن وسأؤكده أيضا صباح غد.

انطونيو : أي أنك ستفتك بأبيك في الصباح.

رافيلوتشو : لا مفر من هذا.

انطونيو : ولماذا لا مفر. . أين كتب هذا؟ وإذا كان مكتوبا في مكان ما لم يعثر عليه أحد غيرك وعزمت على تنفيذه، فلماذا جئت إلي؟ جئت لتقوله لي هكذا. . من باب الإحاطة وماذا يهمني أنا من الإحاطة؟ ماهي وظيفتي؟ قسيس الاعتراف؟ . . لو جئت تقول لي يا دون انطونيو إنني أعاني من ظروف صعبة وهي كذا. . وكذا، وأشر علي بما أفعل، ففي هذه الحالة أتدخل وأقدم لك العون، ولكن أن تقول لي إنك مصرّ على عزمك لأن الرجل رجل فأنا أقول لك إن الرجل رجل فقط إذا لم يكن عنيدا متصلبا وإنه إذا أدرك أن لابد من التراجع يتراجع، وإنه إذا أيقن أنه أخطأ يتحمل مسئولية الخطأ ويحاول الاعتذار، وإذا تأكد من تفوق رجل آخر عليه يعترف بهذا. الرجل رجل إذا عرف مدى شجاعته وكيف يحسن استخدامها، وأدرك مدى خوفه وعرف كيف يتدبر أمره. الرجل هو أنا يا سانتانيللو. . فهل تريد الانصراف أم تريد المشورة والنصيحة.

رافيلوتشو : (مترددا) دون انطونيو. .

انطونيو : (بكل ما يحمله التعبير من وزن) إنكما أب وابن . . أتريد أن تفهم هذا أم لا ؟

رافيلوتشو : (ساخطا وبإحساس من يشعر بأنه ضحية الظلم) ولماذا لا يفهم هو أولا أننا أب وابن. عندما جئت إلى الدنيا كان هو رب البيت والمسئول عنه لا أنا. إن أرتورو سانتانيللو ليس أبا يادون انطونيو. . إنه وغد.

انطونيو : إذا كنت جئت للمشورة والنصيحة فأنا الذي أحكم إن كان أبوك وغدا أم لا. ولماذا لا تكون أنت الوغد؟

رافيلوتشو : دون انطونيو. .

انطونيو : لنمضي في الموضوع. . منذ متى لم تر أباك؟

رافيلوتشو : من ثلاثة عشر شهرا.

انطونيو : وكيف تركته في آخر مرة.

رافيلوتشو : لقد قال لي بالحرف الواحد: أنا بريء منك. ابحث عن عمل في مخبز آخر، ومنذ الليلة إياك أن تضع قدمك في هذا البيت.

انطونيو : ثم تطوع بعضهم ليقول لأبيك: ابنك قال عنك كذا وكذا وتطوع البعض الآخر ليقول لك أبوك قال عنك كيت وكيت. ولم يلتق أحدكم بالآخر منذ ذلك اليوم.

رافيلوتشو : نعم.

انطونيو : هل تعلمت في المدارس؟

رافيلوتشو : (في خجل) قليلا حتى الثالثة الابتدائية.. فبعدها رأى أبي أن المهنة أفضل وأخذني معه إلى المخبز. ولكني أعرف القراءة والكتابة.

انطونيو : أما أنا فلم أر المدارس في حياتي (يضحك) صحيح انني أعرف قراءة الجرائد وخاصة ما يكتبونه بالحروف الكبيرة ولكن الكلمات المكتوبة بخط اليد لا أقدر على قراءتها وأجعل أحدهم يقرؤها لي. المهم.. تقول إنك تعرف شيئا عن القراءة والكتابة؟

رافيلوتشو : أدبّر حالي.

انطونيو : وأنا أيضا دبرت حالي.. إنني لا أطلب منك يا سانتانيللو أن تقص علي سبب الخلاف بينك وبين أبيك.. فالقصة «جرسان دائما وقد اعتدت أن أسمعهما يدقان معا فالجرس الواحد يدق للموتى فقط وأنا حي أرزق».

رافيلوتشو : (يرفع سبابة يده اليمنى) دون انطونيو.. هل تسمح لي؟

انطونيو : (يجيبه إلى طلبه) أفندم.

رافيلوتشو : إن كلمتك لها قدرها وأبي يجب أن يعرف منك ما وصلت إليه الأمـور وما عزمـت على القيـام به، وإذا لم يعطني ما يخصني من حق بصفتي ابنه . .

انطونيو : قلـت لك إن الجرسين يجب أن يـدقـا معـا. هل تحمـل سلاحا؟

رافيلوتشو : (بعد وقفة قصيرة) نعم.

انطونيو : هل معك مسدس؟

رافيلوتشو : (كالسابق) نعم.

انطونيو : ضعه فوق المائدة.

رافيلوتشو : (يخرج المسدس ويضعه على المائدة) حاضر.

انطونيو : أهذا كل ما معك من سلاح؟

رافيلوتشو : نعم كله.

يدخل أميديو

أميديو : نفـذت كـل ما طلبتـه يـا أبي (يـرى رافيلوتشـو) صبـاح الخير.

رافيلوتشو : صباح النور.

انطونيو : والرجل؟

أميديو : في الخارج . . هل أدعه يدخل؟

انطونيو : انتظر (إلى اماكولاتا التي تدخل في هذه اللحظة) هناك رجل بالخارج (يشير إلى مكان وراء الفرندة) ادخليه من هناك .

اماكولاتا : حاضر. (تخرج مسرعة)

انطونيو : هذه مسألة عاجلة يا سانتانيللو. اصحبه أنت يا أميديو.

أميديو : تعال معي سنذهب إلى حجرتي .

رافيلوتشو : (قلقا) هل سترسل في طلبي يا دون انطونيو؟

انطونيو : نعم . . سأرسل في طلبك .

يخرج الشابان. تعود اماكولاتا بصحبة أرتورو سانتانيللو.

اماكولاتا : تفضل . . دون انطونيو هنا .

أرتورو : (يدخل) شكراً .

أرتورو يتسم مظهره بخشونة مقبولة . يعتز بأعوامه

الستين، فقوة بنيـابة الجسدي وصحته الممتـازة لم يعطياه سببا لإنزال اللعنات على مرور الزمـن. نظرته الثابتة تدل على قلة الفطنة. يرتدي ملابس فاخرة ويضع في أصابعه خواتم ذهبية.

انطونيو : دون أرتورو سانتانيللو؟

أرتورو : خادمك.

انطونيو : معاذ الله، حضورك كرم منك وشرف لنا.

أرتورو : (يلقـي نظرة أخـرى إلى الخارج معجبا) أكـل هذا ملـك لك؟

انطونيو : لا. . أملاكي لا تراها كلها من هنا. فهي تصل إلى حقل الزيتون الـذي يبعد أربعة كيلو مترات مـن هنا، وتصل إلى البحـر مـن هنــا، وهــي أيضــا مسـافـة أربعــة كيلومترات.

أرتورو : متعك الله بها.

انطونيو : اشتريتها كلها منذ أربعين عاما بعد عودتي من أمريكا.

أرتورو : الأرض لم يكن لها سعر في تلك الأيام.

انطونيو : قروش قليلة. . ولكن شيئـا فشيئا بدأت في بناء العمارات والفيلات فارتفعت قيمتها.

أرتورو : إن المنطقة كـالجنة. صحيح فـأنت إذا لجأت إلى معماري أو مهندس. . .

انطونيو : لا. . أعـود بـالله. . ألجأ إلى مهنـدس أو معماري لكـي يخرب بيتي؟ أنا أقوم بكل شيء بنفسي. فأنا عندي رئيس بنائين عجوز من أهل زمان، والعمال تحت الطلب في أي وقت تشاء، واقتصد في لوازم البناء. . الاسمنت والحجر والطوب والحديد والأبواب والشبابيـك. . أما الحسابات فاتركها لابنتي.

أرتورو : ولكـــن ألا يجب أن تقـــدم مشروع البنـــاء لجهـــات الإسكان؟

انطونيو : هذه المنطقة بعيدة عن العين. ومن نـاحية أخرى فالمشروع ليس إلا قطعة من الورق.

أرتورو : لا تؤاخذني ولكن ماذا تقصد؟

انطونيو : إن أكبر اختراع يا دون أرتورو لم يكن الراديو أو التليفزيون أو الذرة أو الصاروخ اسبـوتنيك. . إن أكبر اختراع كان الورق.

أرتورو : (متسليا) لنسمع كيف. .

انطونيو : كم شيئا يصنع من الورق؟

أرتورو : (كالسابق). . هيه. . كم شيئا. .

انطونيو : أنت ستقول الكمبيالات والعقـود وورق الدمغة والكتب والجرائد. .

أرتورو : وجوازات السفر والرخص والإعلانات.

انطونيو : وأوراق النقد.

أرتورو : آه فعلا. . . النقود.

انطونيو : وهناك شيئا آخر مصنوع من الورق أيضا.

أرتورو : وماهو؟

انطونيو : في يوم من الأيام ظهر رجـل لا أعرف اسمه ولكن لاشك أنه كـان عبقريا. . هـذا الرجل جـاء بقطعة مربعـة من الورق، وثنى جوانبها الأربعة، ولصق ثلاث منها فقط، وترك الجانب الرابع مفتوحـا، وجاء على هذا الجانب ومر عليه مرتين بفـرشاة مغموسة في نـوع من الصمغ يجف في الحال ثـم يعـود للصـق مرة أخـرى إذا مـر عليـه لعـاب اللسان.

أرتورو : الظرف.

انطونيو : هذه الورقة تصبح ظرفـا حين تضع بداخلها أوراق النقد

وتغلقها وكما ترى فهـي الأخرى مصنوعة مـن الورق، يا دون أرتورو بـدون الظرف يقف حال كـل شيء . . حتى القنبلة الـذرية . فـلا داعي إذن للمهنـدس والمعماري . هذا النوع من الناس يحفظ قانون البناء ظهرا عن قلب . . وحين يجيئـون لتكبيـل رجـل أقـدم على البنـاء ويجهـل أصـوله، فـإنهم لا يتركـونـه إلا إذا ساقـوه حتما إلى أحـد أمـرين : إمـا الإفـلاس وإمـا مستشفى المجـانين . ولأن الجهل شديد فإنهم يعيشـون في ترف ورفاهية . وهـم دائما على حق أمام القانون لأن القانون لا يعترف بالجهل . وفي رأيـي أن هذا ليـس عدلا لأن القـانـون لا يعترف بثلاثـة أرباع الشعب . ولكن إذا عدلت العبارة على سبيل المثال لتصبـح «القانـون يعترف بالجهـل)فـإني أضمن لـك أن أكثـر مـن نصـف هـؤلاء السـادة سيخفـون شهـاداتهم وسيصبحون على الفور جهلاء .

أرتورو : (لا يبدو مقتنعـا) فعلا . . لقد كنـت أسمع عنـك فقط ولكنـي تشرفـت اليـوم بمعـرفتـك وبـالتحـدث معـك شخصيا .

انطونيو : بل هذا شرف لي أنا .

أرتورو : أراك تمر كثيرا مـن شارع جـاتشنتـو البينـو وأعرف أنـك تسكن في حي سانتا .

انطونيو : بالضبط .

أرتورو : وقد رأيتك أيضا أيام الشباب .

انطونيو : أين في أمريكا؟

أرتورو : كلا في نابولي. . . . . أثناء إعـادة النظر في قضيتك منذ أربعين عاما .

انطونيو : آه. . هل حضرت المحاكمة؟

أرتورو : حضرتها. . أولا لأن جميع النـاس في نابـولي اهتمت بهذه القضية وثـانيا لأني كنـت أحب في ذلك الـوقت متـابعة أخبار الجرائم .

انطونيو : لقـد طلبـت أنـا إعـادة النظـر في القضيـة . فحين وقـع الحادث كان عمري ثمانية عشر عامـا فاستطعت بمعاونة أحد المعارف وهو لا يزال حيـاً يرزق حتى الآن ويبلغ من العمر ثـلاثة وثمانين عـاما . . و هـو وإن كان يعيـش في أمريكا إلا أني على اتصال دائم به وأراسله .

أرتورو : ما اسمه؟

انطونيو : أنت تطلب معرفة الكثير.

أرتورو : معك حق .

انطونيو : استطعت بمعاونته أن أهرب سرا إلى أمريكا فحكمت المحكمة علي بالسجن غيابيا وبقيت في أمريكا سبعة عشر عاما. وكسبت محبة هذا الرجل فساعدني على شق طريقي. ماذا كنت أعمل؟ كنت أعمل معه (يدرك على الفور مغزى إيماءة خبيثة صدرت عن أرتورو) لا. . لاشيء يخل بالشرف. صحيح أنها مسألة قتل ولكن قتل من أجل الحق. ولقد عملت في الميناء ومسحت الأحذية واشتغلت بصنع البيتزة وقلي السمك وتعليق الإعلانات. فدبرت أموري بشتى الطرق وكانت الدولارات التي اقتصدتها مبلغا زهيدا في أمريكا ولكنها كانت ثروة كبيرة في إيطاليا بسعر تغيير العملة في ذلك الوقت. فاشتريت العزبة وطلبت إعادة النظر في القضية. ووكلت دي فونزيكا في الدفاع عني. وانهالت الأدلة من كل جانب والشهود. . ثمانية شهود نفي. فبرأت المحكمة ساحتي واعتبرتني في حالة دفاع شرعي عن النفس.

أرتورو : وهل كان الشهود حقيقيين؟

انطونيو : لا. .

أرتورو : ودى فونزيكا؟

انطونيو : لم يكن يعرف شيئا. . فإذا أردت أن تكسب القضية فإن أول من يجب إخفاء الحقيقة عنه هو المحامي فكما يقولون: المحامي كقسيس وأنا لا اعترف للقسيس.

وحقا إنهم كانـوا شهود زور ولكن أنا لم أكـن كذلك. فأنـا شاهد حقيقـي وصاحـب حق. ومازلـت أعيش بضلعين مكسوريـن كما أن نصف فكـي الأسفل مـن المعدن. لقد كسرهـم جاكينو خفير عزبـة مارفيتزو. . ذلـك النذل لقـد مات واستراح . كـان عمري ثمانيـة عشر عامـا وكنت أرعـى الماعز. . ولعـل لا تعرف أني من أصل متواضع. . كنت أسوق الماعز إلى المرعى فإذا بجميـع النــاس يـرعـون إلا أنــا. فهـل هــو عـدم استلطـاف. . هــل هـو العنــاد. . محال أن تعـرف السبب. كنت أقـول له: جاكينو، لماذا لا تـدعني أنا بالذات أرعى معيزي؟ فكان يـرد علي وبندقيته جاهزة ومصوبة نحوي: أنا خفير العزبة. . الآخرون سيرعون أما أنـت فأرني عـرض أكتافـك وإلا أطلقت عليـك النار. وذات صباح أكلت كثيرا من الخبز والجبن وبينما القطيع يرعى غلبني النعاس وواضح أنه بحكم العادة انحـرف القطيـع إلى عـزبـة مـارفيتـزو فصحـوت على عـاصفة مـن الضرب. . لكمات وصفعات وركـلات تنهال على كل قطعة من بدني. وسمعت صوت ذلك النذل يقـول: هذا سيـذكرك بخفير عـزبة مـارفيتزو. وأصبح وجهـي هذا يـا دون أرتورو مسخـا من التراب والدم. وفي حجرة الإسعاف لم أنطق بكلمة. قلت لهم إنني وقعـت في أخدود. كانـت الأيام تمر علي دون أن أنام أو أتناول الطعام، وكانت المرحومة والدتي تسألني

في حسرة: ماذا دهاك ياتوني؟ ويستفسر أبي: ألست بخير؟ وبدأت ترتفع درجة حرارتي. . ثمانية وثلاثون وتسعة وثلاثون يادون أرتورو وأصبحت جلدا على عظم. . وطلبوا لي طبيبين أو ثلاثة ولكن لم يستطع أحد أن يشخص مرضي. كنت أمشي في الشارع فأرى جاكينو. وإذا ألقى علي أحد الأصدقاء التحية أحسبه جاكينو. وفي الليل كنت أرى جاكينو إلى جواري في الفراش. أصبحت مكهربا. وبدأت أفكر. . إذا لم يمت جاكينو فإني لن أعيش. إنني أموت. . وأنا لا أريد أن أموت. . إذن فإما أنا وإما جاكينو. (يردد العبارة بانفعال كما كان يفعل في ذلك الحين) إما أنا وإما جاكينو. . إما أنا وإما جاكينو. . إما أنا وإما جاكينو. وأخذت يا عزيزي دون أرتورو بمطواة غزال وخطوة خطوة تسللت إلى عزبة مارفيتزو. وهجمت عليه فجأة وقلت: جاكينو! ولم أترك له الفرصة ليصوب بندقيته. «هل فعلت بي هذا؟ فصاح من فوره: لا، لست أنا. . لا تقتلني. فكررت عليه القول: هل فعلت بي هذا؟ فقال: لا. . وأقسم لك بأبنائي. . أمام الله. . أمام الله. ولو كان قد اعترف وقال: نعم فعلت هذا لكنت غفرت له والآن مرت على ذلك اليوم سبعة وخمسون عاما ولكني مازلت أريد أن أكيل له المزيد من الطعنات.

أرتورو : لا تؤاخذني يا دون انطونيو، ولكن بعد أن يكسر لك ضلعين وثلاثة أسنان ويجعل وجهك مسخا من التراب والدم ألا تبلغ عنه؟

انطونيو : كان سينكر. فلم يكن هناك أحد وقت اعتدائه علي إلا أنا وهو والقطيع. كانوا سيطلبون منه أن يحلف اليمين، وكان سيحلف أمام الله بأنه لم يفعل. فالناس ينقسمون إلى نوعين: نوع أمين صادق ونوع من الأنذال أمثال جاكينو. والقانون لا يمكن أن يكون مطاطا ويميز بين النوعين. فالقانون الجنائي مثلا يضم ٢٦٦ صفحة و٧٣٤ بندا أتعرف ماذا يقول الأنذال أمثال جاكينو «إذا صدر القانون وجد التحايل عليه» وماذا في وسع القاضي أن يفعل؟ أمامه الأدلة وأمامه الأوراق والشهود، وحتى إن كان غير مقتنع كإنسان ببراءة المتهم أو إدانته فإن حكمه ينبغي أن يكون في النهاية كحاصل جمع عملية حسابية. إن القانون عادل ولكن الناس يأكلون بعضهم بعضا.. ماذا أقول لك.. الخبث يأكل الجهل وأنا أدافع عن الجهل.

أرتورو : (غير مقتنع فيقول بابتسامة باهتة في رياء) معلوم.

انطونيو : أخذنا الكلام وبعدنا عن صلب الموضوع وأخشى أن أضيع وقتك.

أرتورو : معاذ الله . . لقد أوليتني شرف الإطلاع على أسرار ك .

انطونيو : لأن الكلام بيني وبينك فقط . . ولو كان هناك طرف ثالث لما فتحت فمي بكلمة .

أرتورو : مفهوم . . مفهوم . .

انطونيو : الموضوع يادون أرتورو أنني أتعبك بالحضور لأطلب منك أن تصنع لي معروفا وتشارك معي في إصدار حكم في مسألة لا ترضي أحدا ولا ترضيك أنت نفسك إذا تحركت فيك مشاعر الرجل الشريف الطاهر وأنت أهل لذلك . .

أرتورو : أوامرك يادون انطونيو. اطلب ما تشاء وستجدني رهن إشارتك وفي خدمتك .

انطونيو : هذا كرم منك . . الموضوع أنني أعرف أن العلاقة بينك وبين ابنك ليست على ما يرام .

أرتورو : (في تظاهر مكشوف) وهل لي ابن؟

انطونيو : دون أرتورو. إن مثل هذه التمثيليات لا تصلح معي . إنك رجل وردك يجب أن يكون رد رجل . إن لك ابنا واسمه رافيلوتشو.

أرتورو : كان لي . . كان لي ابن اسمه رافيلوتشو، ولو لم تذكره أمامي لما استطعت حتى أن أتذكره.

انطونيو : تريد أن تقول إن القطيعة بينكما — ولنسمها هكذا ـ وصلت إلى حد لا رجعة فيه؟

أرتورو : دون انطونيو. لقد بدأت العمل كفران وعمري لا يتجاوز الثانية عشر، ولكن بالجهد والتضحيات وإجادة المهنة أيضا أصبحت أملك مخبزين. ومازلت في سني هذه أعمل فأصحو في الخامسة كل صباح. أما هو فكسول ومتشرد وقليل الحياء وجاحد. كيف؟ أقول له: لا تخرج الليلة. . ابق معي لكي لا أظل وحدي ولنتفرج على التليفزيون أو لنلعب الورق. كلا يا سيدي. لا يبقى ويسوق سيلا من الأعذار «الليلة عندي موعد». . «لو أخبرتني في الصباح». . ويفضل أصدقاءه علي.

انطونيو : إنه شاب ويبحث عن صحبة أقرانه من الشبان.

أرتورو : يجب أن نقدم طلبا إلى البلدية. . غدا آخر موعد ولا أوصيك يا رافيلوتشو. فيقول: اعتبر أنك قدمته. وبعد ثلاثة أيام تجد الطلب في جيبه. . إذن لا تؤاخذني. . . واسمع هذا أيضا. إنني معتاد أن آكل سمك البكلاه بالزيت يوم الجمعة فأقول له يوم

الخميس: هل وضعت السمك في الماء لتنقعه؟ فيقول بالتأكيد. وأعود إلى البيت في الليل.. فهل نقعته أنت؟ كذلك هو لم ينقعه. أتريد أن تعرف إلى أي مدى وصل جحوده؟ عندنا في البيت صورة كبيرة للمرحومة زوجتي، جعلت حجمها في حجم صورتي المعلقة في المخبز. وفي يوم الجمعة الأولى من كل شهر أضع أمامها الورد والمصباح والشمع وفاء لذكراها، فأقول له: غدا يلزمنا الشمع يا رافيلوتشو فهل يأتي به؟ كلا وكأنك تكلم الحجر. ولو لم أحضره بنفسي لظلت صورة المرحومة والدته بلا إضاءة. فما معنى هذا؟ معناه أني إذا أسبلت عيني وودعت الدنيا فستبقى صورتي وصورة أمه في الظلام. إنه خامل.. كسول. أنا أعمل وأكد وهو طفيلي. فلا يمكن إذن أن نتفق ثم إني قلت لك إنه جاحد.

انطونيو : ولكن إذا حاولت أن تساعده..

أرتورو : آه.. هذا.. أفتح له حافظة نقودي..

انطونيو : إنه ابنك وليس بغريب. ومع هذا فأنا أفهم مشاعرك فأنت تقول إنه لن يحبني إلا إذا فتحت له حافظة نقودي.

أرتورو : بالضبط.

انطونيو : وهل لا تعرف هذا؟ . . يادون أرتورو. إن الأبناء ننجبهم في البداية ونشتريهم في النهاية.

أرتورو : وأنا لا أريد أن أبدد نقودي.

انطونيو : ولكنك تملك مخبزين . .

أرتورو : إذا كنت تتكلم عن مخبز روما فإنه لا يستطيع مجرد الاقتراب منه. إنه محل حديث لا يعمل فيه على البنك رجال. . كلهن بنات يرتدين ملابس سماوية ويضعن القبعات على رؤوسهن. وكان لهذا مفعول السحر في نابولي. ومن بينهن فتاة أجنبية . . سويسرية الجنسية . . تشرف على جميع أعمال المخبز وتقدم لي الحسابات. أما مخبز شارع جاتشتنو البينو فأعمل فيه أناوحيث أتواجد أنا من الأفضل ألا يوجد هو. ثم إني أرى ومع كل احترامي لدون انطونيو بركانو. أن أسرار بيتي يجب أن تظل في بيتي. وليست لدى أية نية في الإعلان عنها ونشرها وأحب أن أقول لك شيئا. . هذا ليس خلافاً بين شخصين غريبين بل خلاف بين أب وابنه. وإذا كان ابني قد جاء إليك طلبا لحمايتك فيجب أن تتذكر أنه لم يطلب الحماية ضد شخص غريب وإنما ضد أبيه. فهل ترى أنه شيء مشرف؟

انطونيو : لا، انتظر لحظة . . إن ابنك لم يأت من أجل هذا . . فالسبب الذي دفعه إلى المجيء إلى هنا سبب آخر لا استطيع أن أطلعك عليه الآن .

أرتورو : إني أصدقك لأنك أهل للصدق ولكني أرجوك أن تنفض يدك من هذه المشكلة فهي مشكلة خاصة وليست عامة . . مشكلة عائلية ولا تغضب مني يا دون انطونيو.

انطونيو : كلا، على الإطلاق .

أرتورو : إن كل إنسان حر في بيته (حانقا فجأة) إن النقود نقودي ورافيلوتشو يجب أن ينساها .

انطونيو : هذا حقك لا جدال . أنت حر (وقفة طويلة يحاول انطونيو أن يجد خلالها موضوعا ثانويا يغير به دفة الحديث . يجده أخيراً فيتظاهر بإبداء إعجابه بالسلسلة الذهبية اللامعة التي يضعها ارتورو على صدريته) رائعة حقا هذه السلسلة .

أرتورو : اشتريتها منذ سنوات طويلة في المزاد العلني ببنك نابولي .

انطونيو : واشتريتها بهذه القلادة؟

أرتورو : كلا، القلادة اشتريتها بعد وفاة زوجتي ووضعت فيها صورتها.

انطونيو : هذا ما نفعله دائما.. نشتري ونشتري.. أثاث، أجهزة، ملابس..

أرتورو : ويمتلىء البيت بالأشياء.

انطونيو : المقتنيات.. أنا أيضا لدي هوس الاقتناء.

أرتورو : ثم يجيء وقت ويتوقف كل هذا وتنتهي الرغبة التي لا تقاوم في الشراء.

انطونيو : حقا أنا أيضا مررت بهذه التجربة فبعد إعادة النظر في القضية تزوجت وجاء الأولاد، وفي هذه الأثناء كنت اشتري واشتري وكانت أرميدا تقول لي: كفى يا توني انه لا ينقصنا شيء.. الأملاك إذا أصبحت أكثر من اللازم تورث الهم. وذات يوم قال لي ابني جنارو وكان يومها في الثامنة من عمره: صحيح يا أبي أنه عندما تموت ستصبح كل هذه الأملاك لي؟

أرتورو : في الثامنة من عمره؟

انطونيو : آه.. الأبناء ينتظرون موت الآباء؟ وأبنائي جنارو وأميديو وجيرالدينا هل ينتظرون موتى حين يكبرون؟!

لا يـا جنارو يـا بني ليـس عنـدما أمـوت بل الآن كلهـا أمـلاكك مـن الآن واستدعيـت موثـق العقود وقسمـت أمـلاكي ثـلاثة أقسـام ودفعـت الضرائب وكتبتها كلهـا بأسمائهم وأنا على قيد الحيـاة والآن حين ينادونني بكلمة أبي يعرف كل منا حقيقة معنى هذه الكلمة. هل تسمح لي بالانصراف لحظة؟

أرتورو : تفضل. (يخرج ثم يعود بعد قليـل ومعه رافيلوتشو الذي لا يعلم شيئا عن وجود أبيه فيتقـدم عدة خطوات ثم يراه فجأة فيقف في مكـانه مباغتا. أرتورو يتعـرض هو الآخر لنفس المباغتة عند رؤيته. وقفـة طويلة ثم يقول في حنق لابنه وضعت نفسك تحت الحماية . .

انطونيو : لم يحضر هنا من أجل هذا.

رافيلوتشو : (محاولا إخفـاء بغضه وحقـده على أبيه) حضرت لسبـب آخر.

أرتورو : إذن وما دخلي أنا؟

انطونيو : لك دخل . . أنت طرف في القضية ولست طرفا فيها.

أرتورو : أنا لا أفهمـك يا دون انطونيـو. . وكل ما أفهمـه أن هذا الحقير مـا كـان يجب أن يقلقـك أو يقلقنـي معـه. لقـد انقطعت صلتـه بي وترك المحل. . إنـه راشد وأنـا لست

مسئولاً عنه. وأنت ضع في رأسه أنه من المحال أن تدخل تلك الفاجرة بيتي.

رافيلوتشو : (مغتاظا) ماذا قلت؟

أرتورو : (لينهـي الموضوع) طـاب يومـك يادون انطـونيو (يتقـدم للخروج).

رافيلوتشو : آه.. وتدخله تلـك العاهرة السافلة التـي أكلت عقلك ثـم تحولـت لتـأكـل نقودك؟ تـدخلـه الســويسريـة.. عشيقتك السويسرية.

يدخل أميديو ووراءه ريتا

أميديو : ماذا حدث؟

رافيلوتشو : وأنا لا أجد عملا.. فأي جهة أتقدم إليها يقولون لي لماذا طرد أبـوك؟ ويسدون الأبواب في وجهي. إنـه يشكك في جديتي وينم في حقي ليبرر طرده لي. أما عشيقته فيبعثر عليها النقود. أي نقود تطلبها يعطيها لها.

أرتورو : أنا حر في بيتي أدخل فيه مـن أشاء. والنقود نقودي أنا، أتفهم هذا؟ وإياك أن تريني وجهك بعد الآن. إن شارع جاتشنتو البينــو لا وجـــود له بالنسبة لك (في عنف) لا أريد أن أرى وجهك.

رافيلوتشو : وأنا لا أطيق سماع صوتك. اللعنة (يلتقط كرسيا ويهم بإلقائه عليه ولكن أميديو يشل حركته في الوقت المناسب.

ريتا : (تجري فزعة) رافيلوتشو.. استحلفك بالله.. كفاني خوفا.

أرتورو : (ساخرا) آه.. وهنا أيضا خطيبته وخلف المستقبل.

رافيلوتشو : (يحاول أن يطوله بكل قواه ولكن أميديو يشل حركته مرة أخرى) والله لأريك. تدخل أرميدا.

أرميدا : ماذا يحدث يا توني؟

انطونيو : لا شيء.. لا شيء..

أرتورو : يا لخيبتك (إلى الآخرين) اسمعوا ما يقوله لأبيه.. أتفهمون؟ إنك تثير القرف في نفسي. أنا ذاهب يا دون انطونيو وآسف لأني لم أستطع أن ألبي أوامرك. إنني رهن إشارتك في أي شيء آخر فأنت أهل للتقدير والاحترام أما ما يخص أسرتي فأنا أقول لك ليس هذا من شأنك.

انطونيو : لقد أخطأت في كل ما قلته.. ولا أعني بهذا عبارتك الأخيرة.. إنك أخطأت في كل شيء منذ أن دخلت هذا البيت وحتى الآن.

أرتورو : هذا رأيك

انطونيو : اسكت. . حين أتكلم أنـا يجب أن تسكت. . وعلى أي حال حتى لو كنت قـد أصبت القول لما تغير شيء فـأنا أرى فيـك عـاهـة تـؤذي العين. . البغـض. . أنـت بغيض.

أرميدا : (متوقعة ماهو أسوأ) يا إلهي (تتبادل النظرات والإيماءات مع أميـديو) أميديو يفهـم مغزى هذه الحركات الصـامتة فيخرج من الحجرة.

انطونيو : أيها الخباز، إن أحـدا من قبلك لم يقـل لي أبدا ليـس هذا من شأنك.

أرتورو : لأنك لم تزج بنفسك قبل الآن في مسألة عائلية خاصة.

انطونيو : كـلا. بل لأني تبـاسطت معـك وأبحـت لك بـأسراري فسهل عليك التطاول علي. . إن تبـاسطي معك أنساك اسمـي ويحسـن أن أذكـرك بــه. . إن اسمـي انطـونيـو بركانو.

أرتورو : (يبدو عليـه نفاذ الصبر بـوضوح) ومـا شأني بهذا؟ إننـي رجل شريف وأعمل بأمانة واسمي أرتورو سانتانيللو.

انطونيو : (مكتئبا) هل معك سلاح؟

أرتورو : لا يادون انطونيو.

(جيرالـدينـا وامـاكـولاتـا تـدخـلان وتقفـان لتشـاهـدا المشهد)

جيرالدينا : أبي . .

انطونيو : يشير إلى المرأتين بالابتعاد .

أرتورو : ليس معـي سلاح (اميديـو يعود ومعـه فابيو ويتـابعان المشهد باهتمام وقلـق) ودون انطونيو بركـانو لا يحتاج لمن يقول له كيف يتعامل مع رجل أعزل .

انطونيو : (يضع المسدس في هـدوء على المائدة ويقترب في بطء من خصمـه ويصوب في عينيـه نظـرة متـوعدة، يقـف على مسافـة خطوة منـه، ويقول لـه بعد وقفـة طويلـة) إنك تبعث على الغثيان .

أرتورو : (في خضوع زائف) مادام هـذا رأي رجل له مقامـك فإني أقبله عن طيب خاطر.

انطونيو : أنت قذر.

أرتورو : (كالسابق) تمت الإحاطة وسيتم اتخاذ اللازم .

انطونيو : إنك زبالة .

أرتورو : أقبل يديك، وأسألـك الصفح إن كان وجودي في بيتك قد كـدر صفوك بعض الـوقت. والآن سأنصرف شـاكرا لك كرم الضيـافة والدرس الذي تعلمته منـك. القضايا يمكـن التحكم فيهـا ولكـن إلى حـد ما والأدلـة يمكـن إيجادها ولكـن ليس دائما والشهود يمكن شراؤهـم ولكن ليس كـل الشهود يبيعون أنفسهـم وقليل مـن الصبر من جانبي وبعـض الحرص من جانبك تسير الأمـور. طاب صباحكم جميعا (يخرج)

انطونيو : إنه حقير. رمة.. هذا ليس رجلاً بل رمة.

رافيلوتشو : يا إلهي إنني لا أطيق مجرد رؤيته.

انطونيو : إنه أبوك. وهذا هو مصدر قوتـه.. لقد فهم هو هذا أما أنت فـلا. إن حكم القـانون فيما تفكـر فيه هـو السجن المؤبد، مفهوم؟

أرميدا : (في قلق شديد) ما الحكاية؟

فابيو : السجن المؤبد؟

أميديو : أبي؟

ريتا : (متضرعة) دعك منه يا رافيلـوتشو ولنفكر في أنفسنا.. ولماذا نحطم حياتنا بأيدينا؟

رافيلوتشو : دون انطونيو. قف إلى جانبي..

انطونيو : إنه أبوك .

رافيلوتشو : وماذا يهمني من هذا؟

انطونيو : إذا كان لا يهمك فأنت أيضا حقير مثله . اسمع يا سنتانيللو، الأمر يحتاج إلى بعض التوضيح ، فأنت تفهم أصول اللعبة جيدا . . واسمع أنت يا دكتور وأنت يا أميديو (إلى السيدات) واسمعن أنتن أيضا إذا ساعدك انطونيو بركانو فإن أرتورو سانتانيللو سينتقل إلى العالم الآخر في غضون أر بع وعشرين ساعة . أقول لك كيف؟ أنت تمر في شارع جاتشنتو البيتو . . ولنفترض أن المحل هناك (يشير إلى مكان ما في الحجرة) فتقرب منه وتقف في الخارج . وحين تتأكد أن الفرصة قد سنحت تطلق خمس رصاصات . . أربع عليه وتخلص منه والخامسة على الباب الزجاجي للمحل من الأمام وتقول إن أباك كان يحمل مسدسا ، وأنه أطلقها عليك فور رؤيته لك ، ولكنك كنت أسرع منه ، فجردته من سلاحه ، وقمت بالباقي . . وفصل تعسفي ، وامتناع عن الإعالة ، واقتناء عشيقة ، ودفاع شرعي عن النفس مدعما بالأدلة والشهود . واستطيع أن أجعلك تخرج من القضية بالبراءة أو على أسوأ فرض بأقل حكم ممكن . .

رافيلوتشو : إذن يمكن أن . .

انطونيو : رحماك يا ربي كأني أكلمه بالألمانية . إنه أبوك ولا يمكن أن تفعل أنـت هذا ولا في استطاعتـي أنا أن أساعـدك عليه (الجميع يتبادلون النظرات ليؤيـدوا وجهة نظـر انطونيو) لا تدع تلك الفكرة تستبد بـك فكثيرا ما تؤدي زلة لسان إلى توريط صاحبها تحسبا لما يقوله الأصدقاء إذا لم . .

فابيو : غير أن الأصدقاء يمكنهـم أن يتفهموا ويقدروا . .

اماكولاتا : طبيعي ، فأنت شاب وأمامك العمر كله .

أرميدا : الله كريم يـا بني وقريبا سيرزقك بابـن ومتى جاء الأبناء لا يتخلى الله عن العباد .

ريتا : إنـه يجيـد قيـادة السيــارات فلـو استطـاع أن يستخـرج رخصة . .

أميديو : اللعنة سنجد لـك نحن العمل . سنساعـدك أنا وجنارو وأبي .

الجميع يحيطون به ليخففوا عنـه ويحاولون إقناعه بالتخلي عن عزمه الجنوني .

انطونيو : فكر جيدا يـا رافيلوتشو وتذكـر ما قلت لك منـذ نصف ساعـة . إن الرجـل رجل إذا أدرك أنـه لابد مـن التراجع فيتراجع .

رافيلوتشو : (يفرج عن يأسه الصادق الذي نما في نفسه نتيجة الشك الدفين في صحة ما عزم عليه) أنا لا استطيع التراجع يادون انطونيو. صدقني إنها ليست غلطتي.. فحين أفكر في هذا الرجل لا استطيع أن أتصور أنه أبي. انظر، انظر إلى يدي.. إن جسمي كله يرتعش.. إن هذه الفكرة تطاردني دائما و أبدا وتحرمني من النور (ينفعل ويعايش شيئا فشيئا لحظات من هذه الفكرة الملحة) أنا لا آكل، لا أشرب، لا أتكلم، ولا استطيع إلا الانغماس في هذه الفكرة (كأنه يصدر أمرا لشخص أمامه) اذهبي أيتها الفكرة.. أفهمتِ؟ اذهبي ولكنها لا تذهب يادون انطونيو. وإذا كلمني صديق أسمع صوت أبي، وإذا أغمضت عيني أرى أبي، وإذا فتحتهاأراه أيضا، وفي الليل أراه إلى جواري في الفراش. انظر كيف أصبح حالي يادون انطونيو. لقد قل وزني أحد عشر كيلو في شهرين. لم أعد استطيع الحياة.. لم أعد استطيع الحياة. وحرارتي.. حرارتي دائما ثمانية وثلاثون وتسع وثلاثون. إنها تقضي علي وأنا لا أريد أن أموت. أنا شاب ولا أريد أن أموت. إما هو وإما أنا.. يستحيل أن نعيش معا في وقت واحد. (يتهالك على المقعد شاحبا مرتعدا ويدفن وجهه في راحتيه، وراحتاه على ركبتيه.

انطونيو : (يكتئب لكلمات رافيلوتشو الساخنة التي جعلته يعايش الحالة التي انتابته حين استبدت به فكرة القضاء على جاكينو خفير عزبة مارفيتزو. لا يستطيع التخلص من هذا الشعور فيخرج الكلام من فمه لا إراديا) مسكين يا بني . . لديك حق فكيف تستطيع العيش في هذه الظروف. إن مثلك مثل إنسان يعاني من مرض خطير، وجرثومة هذا المرض منغمسة في تراب الأرض، فتلتصق بحذاء الإنسان ، وتتسلل إلى القدم ، وإلى العظام، وتصل إلى المخ، وعندما تتربع فيه تبدأ في الكلام فتخبرك بالمكان المناسب والساعة الصحيحة والسلاح المطلوب ، ولا تتركك إلا إذا سلمتك إلى أيدي الشرطة. لا مفر. . إما هو وإما أنت، أتريد مني أن أتدخل؟ حاضر. . سأتدخل، ولكن جاكينو كان جاكينو فقط أما أرتورو سانتانيلو فهو أبوك وبما أنه أبوك يجب أن يعرف مانويت عليه. يجب أن يعر ف السبب الذي جعلني أشغل نفسي بهذه المسألة. اماكولاتا . . هاتي القبعة والعصاة.

اماكولاتا : حاضر (تحضرها).

انطونيو : إن الإنسان إذا أراد أن يحصل على بضاعة ما، فإنه يطلبها من صاحبها ثم ينتظر منه الرد. وصاحب البضاعة في

هذه الحالـة هو أرتورو سـانتانيللو وبنـاء على رده تتقدم أنت بعرضـك وقد يؤدي عرضـك إلى التأثير على رده وفي النهاية تتخذ أنت قرارك واتخذ أنـا قراري. أتريد أن تقود السيارة وتصحبني يا دكتور؟

فابيو : نعم، أنا قادم معك.

يخرجان.

الفصل الثالث

غرفة الطعام الفسيحة في المسكن الشتوي لعائلة بركانو في حي سانيتا بنابولي. وكما هي العادة قامت السيدة أرميدا في بداية الصيف بتغطية جميع الأثاث والستائر بالملاءات البيضاء ونقلت اللوحات من على الجدران، فأصبحت الغرفة مقلوبة بعضها فوق بعض. يستثنى من هذا مائدة الطعام في وسط الغرفة والتي أعدت لوليمة حافلة وجهزت لاستقبال ثمانية أشخاص. الوقت مساء ونور الثريا يغمر المكان. يشاهد دون انطونيو مسترخيا على مقعد وثير شاحب اللون تلوح عليه بجلاء آثار آلام جسدية يتحملها في جلد واستسلام. يجلس إلى جواره الدكتور فابيو أمام آلة كاتبة موضو عة على كرسي وينهمك في كتابة ما يمليه عليه انطونيو.

فابيو : (بعد أن كتب الأحرف الأخيرة من الجملة) ضع توقيعك هنا.

انطونيو : اقرأ أولا لأسمع ما كتبنا فقد نكون قد أغفلنا شيئا.

فابيو : إنني كتبت ما أمليته علي بالحرف الواحد. وليس لدينا الآن وقت نضيعه، أما إذا كان لابد من القراءة (يسحب الورقة من الآلة الكاتبة) فاسمع وقل رأيك (جرس على الباب) هذا هو لويجي (يخرج مسرعا ويعود ومعه لويجي وفتشنزيللا) عفارم.. عفارم عليك، وعفارم عليك يا فتشنزيللا.

لويجي : (يحمل لفافة فيها ثماني دجاجات مشوية وتورتة كبيرة في علبتها) أحضرنا كل ما طلبته يادون انطونيو . ثمانية دجاجات وسلاطة وجبن والحلو جاتوه مخصوص .

فابيو : اذهبا إلى المطبخ وضعا الدجاج في أطباق السرفيس الكبيرة .

فتشنزا : (حاملة سلة بها خضروات وفاكهة وثلج) سأضع الثلج في الفاكهة ثم أغسل السلاطة وأعدها أما التوابل فضعوها أنتم كما تحبون .

فابيو : حسن . . والآن اذهبي وعجلي .

لويجي : الحلواني لم يصدق يا دكتور أن دون انطونيو هو الذي طلب الجاتوه وقال : ماذا دهاك . . دون انطونيو الآن في ترسينيو مع العائلة ، وأتعبني حتى أفهمته أنه قد عاد .

فابيو : لم يكن يصدق؟

لويجي : نعم . . فنحن الآن في أوائل سبتمبر ودون انطونيو يعود من المصيف دائما في منتصف أكتوبر.

فابيو : إننا سنقضي الليلة فقط في نابولي وفي الصباح سنعود إلى ترسينيو.

لويجي : بالسلامة يا دون انطونيو . . وعد سريعا فنحن لا نرى شكل القرش إلا حين تعود لنا (يتجه نحو المطبخ) هيا يا فتشنزا .

فتشنزا : عن إذنكم (تلحق بلويجي)

فابيو : كيف حالك الآن؟

انطونيو : أنا لا أشعر بأي ألم يا دكتور.

فابيو : مستحيل . . صحيح أن جسمك أقوى من العادة ولكنك إنسان كباقي الناس من لحم ودم . إن النصل انغمس في جسمك حوالي ستة سنتيمترات تقريبا . وأنا هنا غير مستعد . . ليست لدي الأدوات اللازمة وليس لدي صبغة يود . فماذا كان بوسعي أن أفعل؟ كل ما فعلته هو ربط الجرح والتضييق عليه لا أكثر ولا أقل . وأنت يا رجل يا طيب ألم يكن من الأفضل أن تخبرني بالحقيقة من البداية بدلا من أن تقول أنك شعرت بالتعب فجأة وأنك تريد الذهاب إلى البيت لتستريح . لو قلت لي هذا لجريت بك إلى الإسعاف على الفور.

انطونيو : إذن كان علي أن أقدم بلاغا للشرطة . . وأن أكشف المخبأ وأكيل الاتهامات ، وأذكر أسماء الأشخاص ، وأرفع قضية جنايات؟ ولم كل هذا؟ ألأن المصاب هذه المرة هو

شخصي أنا؟ كم من أحداث وأهـوال أصلحتها وسويتها دون اللجوء إلى السلطات؟

فابيو : كان مـن الممكن أن تتقـدم ببلاغ ضـد مجهول وتقـول إن شخصـا لا تعرفـه قـد اعتـدى عليك، وأنـك تستطيـع التعـرف عليـه إذا رأيتـه، ولكنـك لـلأسـف لاتـذكـر ملامحه.

انطونيو : هـذا عما يخص السلطات فماذا عـن أبنـائي؟ إنهم كانـوا يعرفـون أني ذاهب إلى دون أرتورو سـانتانيللو ولقـد كان بـوسعهم أن يتـوصلـوا إلى الحقيقـة على الفور فيتصـدى جنـارو وأميـدو إلى سـانتـانيللـو. . . . ويـراق دم آخـر ويعقبه ثأر آخـر. لا، كفى. . كفى يا دكتـور لقد عملنا معـا خمسة وثـلاثين عامـا لنلملم جـراح الجريمة بقـدر استطاعتنا لا لأن نزيد من نزيفها.

فابيو : ولكنه لم يعطك الوقت لتتكلم؟

انطونيو : بمجرد أن دخلت المحل. . . من يعرف ماذا دهاه؟ لعله ظن أني أبيت له سوء النية. . قلت له: دون أرتورو إن لي عندك رجاء فقال: تفضل. لم يكن هناك أحد في المحل. ولم أكد اقترب منه حتى عاجلني بطعنة. ولا أعرف كيف تقع هـذه الحوادث في لمح البصر؟ فالسكين إمـا أنه كـان يحتفـظ بـه في يـده وإما أنه تناولـه من «البنك». . .

لا أعرف بالضبط كل ما أذكره أنه حين طعنني هنا (يشير إلى الجانب الأيسر من بطنه) دخل في نفس اللحظة أحد الزبائن. أتعرف من هو؟ . . . أوه كوتزو. . . النجار الذي جاء إلي في الصباح. . . صاحب موضوع الكمبيالة. . .

فابيو : ذلك الذي أخذ يصيح: دون انطونيو راعينا. . دون انطونيو راعي نابولي كلها. نحن نحبك يا توني. أنا سمعته من حجرتي.

انطونيو : ثم دلف سانتا نيللو إلى مخزن المحل وولى أوه كوتزو الفرار.

فابيو : وأنت ألم يكن معك سلاح؟

انطونيو : كان معي المسدس. ولكني فكرت في أبنائي على الفور وقلت في نفسي إذا أطلقت عليه النار فستستمر سلسلة الجرائم وستتسع. ووضعت يدي على جرحي وذهبت إلى العربة التي كنت تنتظرني فيها. أتعرف ماهو الخطر الآن؟ أنه أوه كوتزو. . إذا فتح فمه بكلمة فإن أبنائي سيدخلون السجن.

فابيو : أنا قمت بكل ما طلبته مني. . فعندما خرجت لدعوة الأصدقاء وإبلاغ التعليمات إلى سانتا نيللو ذهبت إلى محل أوه كوتزو فأكد لي أنه سيحضر.

انطونيو : سافـر أنت بعـد غد (يلمـح حركـة يأتي بها فـابيو) لا. . سافـر. إن هذا العشـاء نقيمه لـوداعك ولنعبر لـك عن أمانينا بإقـامة طيبة في أمـريكا. (وقفة قصيرة) حقيقة أنا لا أشعر بـألم. . (يضع يده على جبينـه) فقط قليـل من العرق. . على أية حال لنواصل عملنا. المطلوب منا الآن هو الهدوء التـام لكي نحسب لكـل شيء حسابـه ولكي نقوم بعد هذا ببعض الأشياء القليلـة. أعطني جرعة ماء من فضلك.

فابيو : أرأيـت؟ ستبـدأ في الشرب؟ (يعطيــه الماء) إن غشـاءك البريتوني ممزق والطحال مثقوب.

انطونيو : أتقرأ لي الخطاب؟

فابيو : (يستعـد لقراءة الـورقـة التي كتبهـا على الآلـة الكاتبـة) «عزيزي بستيانو. . . إن حامل هذا الخطاب هو الدكتور فابيو ديللا راجوني. ولقـد بقي إلى جواري سنوات طوال اعتنـى خـلالها بصحتـي وخدم قضيتنـا بكـل تضحيـة وإخلاص وهـو قادم إلى أمـريكا للبقـاء مع أخيـه إذ أن السن تقـدمت بـه وحل بـه التعب وأصبـح يبحث عـن الراحة والهدوء. . . قدمه إلى أصدقائنا واعمل على توفير الاحترام اللائق به وعامله كما تعـاملني. وإذا كنت تريد أن تطلع على أحوالي الصحية فاطلب منه هذا، فأنا أعاني

من بعض مشكلات القلب وأشعر أني سأنتقل إلى العالم الآخر في القريب ولا تحزن لهذا لأني أنا نفسي لست حزينا. فسني الآن خمسة وسبعون عاما عرفت كيف أحياها، فعشتها على خير حال ولو قدر لي أن أعيشها مرة أخرى لما فعلت غير ما فعلت بها في ذلك حادث جاكينو. ولعل هذه هي المرة الأخيرة التي أكتب لك فيها وإنما أكتب لأقبل يديك اعترافا مني بالجميل لكل ما صنعت من أجلي منذ أن كان عمري ثمانية عشر عاما وحتى اليوم. حافظ على صحتك وابلغ تحياتي لجميع الأصدقاء. المخلص جدا . . . » حسن هكذا؟

انطونيو : اعطني القلم (فابيو يناوله القلم فيوقع على الخطاب) انطونيو بركانو (يخلع خاتما من إصبعه ويقدمه إلى فابيو) هذا لك.

فابيو : (مرتبكا) دون انطونيو. .

انطونيو : انظر إن كان مناسبا لإصبعك. .

فابيو : (يجرب الخاتم) نعم. . مناسب.

انطونيو : هذا الخاتم أهداه باستيانو عند عودتي إلى ايطاليا وقال لي: احتفظ به وعندما يحين الأجل وتغمض عينيك إلى الأبد دع أحد الأصدقاء يخلعه من إصبعك، واطلب منه

أن يحضره لي إذا كنت على قيد الحياة أما إذا كان قد حان أجلي فدعه يحتفظ به. إنه خاتم أبيه وقد تعرض في حياته لقضية ظلم فيها ومات في السجن. إنها حكاية طويلة. قدم له الخاتم وسترى أنه سيخلع قبعته وينحني أمامك وإذا كان لا يضعها سيذهب ليضعها على رأسه ثم يأتي ليخلعها وينحني أمامك. اعطني جرعة ماء (فابيو يقدم له كوب الماء) موضوع الطحال يسبب العطش (يشرب) لقد وقع الحادث منذ ساعة . . . فهل لدينا ساعة أخرى؟

فابيو : نعم

انطونيو : لديك الوقت لتذهب غدا إلى ترسينيو. فلا تجعل الكلبين ـ مونا شيللو ومالافيتا ـ يتألمان. تصرف أنت لأن عائلتي لا تنظر إليهما نظرة طيبة. وزوجتي لاشك أنها ستفرط فيهما. الناس ينقسمون إلى فريقين . . فريق سليم الطوية، وفريق خبيث السريرة مثلهما مثل انطونيو بركانو وأرتورو سانتا نيللو . . . وأنت لن تعدم وسيلةفيمكنك بحقنتين . . . (يؤدي حركة تعني قتلهما) ربما يقع الكلبان في يدي شخص من نوع أرتورو سانتانيللو . . .

فابيو : كن مطمئنا.

انطونيو : (يشير إلى الملابس التي يرتديها)، يجب أن أغير هذه البدلة وهذا القميص والملابس الداخلية. . . لا أريد أن يروني في الصباح بهذه الملابس. . . هنا في البيت ملابس أخرى غيرها. . أما هذه فضعها في حقيبة وتصرف فيها أنت «هل ستكتب شهادة الوفاة الآن»؟

فابيو : ليس ضروريا.

انطونيو : إذن نعدها.

فابيو : سأكتبها في الوقت المناسب.

انطونيو : وما ستقول فيها؟

فابيو : كما تشاء.

انطونيو : سكتة قلبية.

فابيو : حسن. (جرس الباب يدق. تدخل فتشنزيللا وتمر في الحجرة) هناك أحد بالباب.

فتشنزا : سأذهب لأرى من يكون (تخرج)

فابيو : المفروض أنه أوه كوتزو. .

انطونيو : نرجو ذلك (يشرب بعضا من الماء).

فابيو : لا بد أن تأتي.

فتشنزا : (تتقدم رافيلو تشو وريتا) تفضلا . . دون انطوني هنا .

رافيلوتشو : مساء الخير يا دون انطونيو.

ريتا : مساء الخير.

انطونيو : ماذا هناك؟

رافيلوتشو : كنت في حاجة ماسة لمقابلتك ولكني لم أعثر عليك . ومن حسن الحظ أني قابلت أوه كوتزو فأخبرني أنك ستقضي الليلة في نابولي وأكد كلامه بأنه مدعو على العشاء عندكم .

انطونيو : وماذا تريد؟

رافيلوتشو : إن حرمك دونا أرميدا قديسة صالحة . لقد قالت لي الكثير وأفاضت في القول حتى أني شعرت في النهاية بالتأثر وأحسست أني أمام أمي .

ريتا : قالت إن لدينا شقة خالية . . غرفتان ومطبخ . . ستعطيها لنا .

رافيلوتشو : وقد رق قلبها لريتا فقالت : عندما تدبران النقود ادفعا الإيجار.

ريتا : وابنك سيأخذ رافيلو تشو ليعمل معه في المحل .

رافيلوتشو : وأنا تذكرت كلماتك «الرجل رجل حين يدرك أنه لابد من التراجع فيتراجع» وأنا أريد أن أكـون رجلا يادون انطونيو ولذا جئـت إليك لأبلغك أن تصرف النظـر عن مـوضوع أبي.

ريتا : لقد هدته العذراء.

انطونيو : إن هـذا لشيء يسعدني خـاصة وأن لقـائي بـأبيك جـاء بنتائج طيبة.

رافيلوتشو : نتائج طيبة؟

ريتا : ماذا قال؟

انطونيو : وماذا كان في وسعه أن يقول، كـان لابد أن يتراجع. لقد قال لي: حسن.. حـدد المبلغ الذي تراه منـاسبا لابني، فضربت رقما عـاليا. مليونـان... فاستـاء في أول الأمر لحبه للتوفير ولكنه رضخ في النهاية.

رافيلو تشو : ماذا تقول يا دون انطونيو.

انطونيو : ولم تكن معـه نقود في تلـك الساعـة فقلت لـه: لا بأس سـأدفع أنـا الآن ورد لي النقود بـراحتـك، فبين الرجـال تكفي كلمـة الشرف. سأدفـع لك المليـونين وسأستردهما من أبيك فيما بعد. تكرم يا دكتور واعطني حافظة النقود

من جيب الجاكتة . . . ذراعي هذه تؤلمني بشدة ولا استطيع تحريكها .

فابيو : سأحضرها أنا (يتناول الحافظة من جيب سترة انطونيو)

انطونيو : افتحها وتناول دفتر الشيكات .

فابيو : (يتناول الدفتر) هاهو.

انطونيو : املأ أنت البيانات وسأوقع عليه أنا . اكتب نابولي في ١٠سبتمبر سنة ١٩٦٠ (فابيو يكتب على الشيك) رفائيل سانتانيللو مليونا ليرة .

فابيو : تمام . .

انطويو : اعطني إياه (فابيو يناوله الشيك فيوقعه) خذ يارافيلوتشو . . حلال عليك يابني .

رافيلوتشو : دون انطونيو . . إنني عاجز عن تقديم واجب الشكر (إلى ريتا) قبلي يد دون انطونيو.

ريتا : الاثنتين . . (تقبل يدي انطونيو) .

انطونيو : شكرا ياصغيرتي الحلوة . . اهتما بنفسكما وانجبا كثيرا من الأولاد ، والآن تحسنان الصنع لو تنصرفا لأني انتظر بعض الزيارات .

رافيلوتشو : هيا بنا ياريتا . . دون انطـونيو مشغول . تصبح على خير يادكتور.

فابيو : تصبح على خير.

رافيلوتشو : ألف شكر . . ألف شكر (يخرج هو وريتا) .

انطونيو : أين الخطاب؟

فابيو : خطاب دون باستيانو؟

انطونيو : لا . . هـذا يجب أن تحمله معـك إلى أمـريكا . الخطـاب الذي كتبته في الأول .

فابيو : احتفـظ بـه معك عنـدمـا يحين الـوقـت سأطلبـه منـك فتعطيني اياه .

(تدخل فتشنزا)

فتشنزا : لقد أعـددنا كـل شيء يادكتـور إلا النبيذ فهـل تريـدونه أبيض أم أحمر.

فابيو : الدجاج المشوي يحتاج إلى نبيـذ أحمر (جرس الباب يدق) افتحي الباب (فتشنزا تذهب) كيف حالك؟

انطونيو : لا بأس يادكتور. . وكل ماهناك أنني أتصبب عرقا .

فتشنزا : (تدخل ووراءها أوه كوتزو) تفضل .

(أوه كوتزو يدخل دون أن ينبس بكلمة، يقف على مسافة ثلاث خطوات من المدخل ويطرق برأسه).

فابيو : دون انطونيو كان يعتقد أنك لن تحضر ولكني كنت واثقا من حضورك.

أوه كوتزو : أيعقل هذا.. يطلبني دون انطونيو ولا أحضر؟

فابيو : خاصة وأن المناسبة خطيرة. فقد تكون هذه آخر مرة نرى فيها انطونيو بركانو.

أوه كوتزو : ماذا تقول يادكتور؟

فابيو : لا أحد يستطيع أن يفعل له شيئا.

أوه كوتزو : رحماك ياربي!

فابيو : سوف نفقد صديقا عظيما. وعلى أية حال هناك مسألة حساسة. منذ ساعة وقع الحادث وأنت الشاهد الوحيد. لم يكن أحد في المخبز سواك.. أليس صحيحا يادون انطونيو.

انطونيو : لقد دخل في اللحظة الحاسمة.

فابيو : إن دون انطونيو قلق لهذا فهو يعرف جيدا من تكون وما تكنه له من حب وإخلاص.

أوه كوتزو : أنا لا أفهم. . عن ماذا تتكلم؟

فابيو : عن الحادث الذي وقع في مخبز شارع جاتشنتو البينو.

أوه كوتزو : أي حادث؟

انطونيو : انتظر يادكتور. . . ماذا تعني بقولك أي حادث؟ ألم تدخل مخبز شارع جاتشنتو البينو منذ ساعة وأنا أتكلم مع سانتانيللو؟

أوه كوتزو : كلا. . أنا كنت في البيت في هذا الوقت. لقد التبس عليك الأمر.

انطونيو : (في مرارة)فهمت. . لم تكن أنت. . أنت لا تعرف شيئا ولم تر شيئا. ولكن هذا كل ما أريده ولم استدعك إلا من أجله. يمكننا أن نطمئن يادكتور فهذا الجبان لن يتكلم أبدا. أنت حين دخلت المخبز ونظرت في وجهي أدركت النهاية. . ولقد شرح لك الدكتور الموقف. فهدىء من روعك. فأنا أعرف أن الخباز قد هددك. معك حق أنت الآخر.

فابيو : أرأيت أنني على صواب؟ لا فائدة. . إننا ندور في حلقة مفرغة.

انطونيو : لا. . بل أنا الذي على صواب. فاليوم دون انطونيو

بركانو وغدا دون انطونيو غيره وبعد غد دون انطونيو آخر وهكـذا . . . وربما بهذا الشكـل يجد أبنـاء أبنـاء أبنـائي وأبناء أبنـاء أبناء هـذا الجبان ((يشير إلى أوه كـوتزو) ربما يجدون أرضا تدور أيضا كهذه ولكنهـا أقل استدارة وأكثر استقامة . ألا تتفق معي؟

فابيو : لا.

انطونيو : منذ فترة ونحن لا نتفق في الرأي . أريد أن أغير ملابسي ، فهل تساعدني؟

فابيو : بكل تأكيد .

انطونيو : ولكن علينـا أن نعجّل فـالأصدقـاء أصبحوا على وشـك الحضـور. (إلى أوه كوتـزو) سنحتفل بسفـر الدكتـور إلى أمريكا . . هـذه هي الحجة التي اصطنعناهـا لدعوتهم ، أمـا الحقيقة فشيء آخـر ولا مـانع مـن اطـلاعك عليهـا فمثلك لن يتكلم . . حضور الأصـدقاء إلى هنا سيجعل منهـم غدا شهـودا على موتي . فـإذا تسـاءل الناس عـن سببه وقالوا ماذا حدث؟ ماذا أصاب دون انطونيو؟ فإنهم سيقولـون لا شيء . . . لقد كان عجـوزا يبلغ مـن العمر خمسة وسبعين عاما . . . وأصابته سكتة قلبية . فابق أنت الآخر فبقاؤك هنـا يجعل منك شاهدا . أعنـي شاهد زور (يخرج مستندا على فابيو) .

(يدق جرس الباب بعد برهة، تدخل فتشنزا وتمر من الحجرة)

فتشنزا : تركوك وحدك؟

أوه كوتزو لا يرد. فتشنزا تعود بعد قليل وتتجه إلى المطبخ. يدخل أرتورو شاحب الوجه مكفهرا ومذهولا. يحيط به شخصان غريبان هما بيبي تشوتشو وزباكيللو. الاثنان لا يتكلمان ويبتسمان في غموض.

أرتورو : (ضارعا) ألا تقولان لي ماهو الموضوع؟.. ماذا تريدان مني؟.. أين جئتما بي؟.. ومن سأقابل؟

بيبي : إننا أصدقاء.. لاتقلق.

أرتورو : أين نحن.. وبيت من هذا؟

زيباكيللو : إنه بيت.. ألا تراه؟

بيبي : هذه المائدة معدة للطعام، والعشاء جاهز وهناك مدعوون سيحضرون الآن فهدىء من روعك.

أرتورو : (منفعلا).. إني رجل ولست طفلا تأخذونه وتذهبون به حيث تشاؤون. (يزداد انفعاله) ألا توجد عدالة في هذا البلد؟ أحقا تعتقدون أن مواطنا حرا يمكن أن يخضع لتعدي أناس متجبرين.. أناس خارجين على القانون

يضعونه في ظروف صعبة كهذه. أنا رجل يعمل وينتج.. رجل شريف.. دعوني أذهب.. لقد أصابتني الحمى، انظروا.. (يمد يده) أنا محموم. لقد كنت دائما في حالي.. من البيت إلى المحل ومن المحل إلى البيت ولم أطلب أبدا شيئا من أحد. وفي كل يوم جمعة أذهب لزيارة المرحومة زوجتي تلك القديسة التي لو كانت على وجه الدنيا لتغير كل شيء. إنني أعيش وحدي دون كلمة طيبة تعزيني مع ابن مجرم وضعني في هذه الظروف. إنه سعيد الآن.. فقد أدخل أباه السجن.. لقد خرب بيتي (إلى الاثنين متوسلا) أنتما رجلان ولكما قلب وعقل.. ساعداني (يركع على أقدامهما) أقبل يديكما.. أقبل قدميكما.. إن معي تذكرة السفر إلى سويسرا... (يخرج دفتر الشيكات من جيبه) حددا أنتما المبلغ.. كم تريدان؟ (لا أحد يرد عليه) أجيباني أجيباني.. ألا تريدان مجرد الرد علي؟

فابيو : (يدخل) ماذا هناك؟ آه.. أنت دون أرتورو سانتانيللو.. عظيم.. أراك في موقف تحسد عليه!

أرتورو : لقد كنت رجلا شريفا وفي حالي...

فابيو : هذه هي البلوى.. لقد أغمضت عينيك وصممت أذنيك وعشت كأنك وحدك في الدنيا.. ثم يدهشون

بعد هـذا إذا أطبقت عليهـم الدنيـا وأمسكت بخنـاقهم ورمتهم أمام واقع المجتمـع. وحين تقع المصائب يقول: أنا كنت في حالي. . حسـن. إنك الآن هنا لهذا. . لأمر يخص «حـالك» أمـر بدأتـه بعينين مغمضتين ويجب أن تنهيه بعينين مفتوحتين (الجرس يدق فينادي)فتشنزا. .

تدخل فتشنزا

فتشنزا : نعم.

فابيو : الباب. (يهم بالخروج) عن إذنكم. (تخرج فتشنزا وتعود ووراءها بالوميللو وأوه نايت وجوه نازوني وزوجته) تعالوا تفضلوا. . .

أوه نازوني : شكرا (يرى أوه كوتزو فيقول) أنت أيضا هنا؟ (أوه كوتزو لا يرد عليه فيقول موبخا) ما أحسن أدبك؟

زوجته : أنت المغفل لأنك وقرته؟

أوه نايت : لديك حق فهو لا يستأهل.

أوه نايت : ستصل الليلـة باخرة إنجليـزية وسـأخسر صفقة كبيرة، ولكن أيعقل أن أرفض طلبا لدون انطونيو؟

أوه نازوني : تستطيع الاستغناء عن ليلة.

(يدخل فابيو)

فابيو : يمكننا الجلوس الآن (ينادي) الطعام يافتشنزا (الجميع يجلسون على المائدة على حين يظل أرتورو في مكانه) تفضل أنت هنا إلى جواري يادون أرتورو (يشير إلى المقعد المجاور لمقعد دون انطونيو).

بيبي وزيبا كيللو يصحبان أرتورو إلى المقعد الذي حدده فابيو ويجلسانه عليه.

لويجي : هاهو الدجاج.

فتشنزا : والسلاطة.

فابيو : اجلسا أنتما أيضا. لدي أوامر بأن تشاركا معنا في الطعام.

لويجي وفتشنزا يجلسان

لويجي : بالهناء والشفاء جميعا.

فابيو : عن إذنكم (يخرج بخطوات نشطة ويعود بعد قليل متأبطا ذراع انطونيو)

ظهور انطونيو العجوز يثير صمتا يكتنفه القلق والتساؤل. فقد اختفى من عيني الرجل بريق نظراته

وصرامتها واعتلى وجهه شحوب شديد واهتزت خطواته.

فابيو يفلح في السير به وفي إجلاسه على مقعده. تصفيق بلا حماس يعقب جلسته. (أرتورو وأوه كوتزو يطأطآن رأسيهما).

انطونيو : لا تؤاخذوني.. فأنا أشعر بالتوعك وهذا شأن الطبيعة البشرية، فالعدو يكمن لنا باستمرار ويسدد لنا طعناته ونحن في أحسن حال. على كلٍ هذه مسألة بسيطة. إننا نحتفل الليلة بالدكتور فابيو لأنه عزم على الرحيل. وبهذه المناسبة فاننا نتقدم له بالشكر والعرفان (تصفيق من الجميع) وكان من الممكن أن يظل معنا ويستمر في آداء واجبه لولا أني قلت له: كفى يادكتور.. حان الوقت لكي نعتزل، فأنا كبير السن متعب ولا أخلو من المرض ولذا فقد قررت أن اكتفي بحياتي الخاصة. ومن اليوم فصاعدا أصبح حي سانتيا ليس من اختصاصي.

بيبي : دون انطونيو.. أتتركنا هكذا في غمضة عين؟

انطونيو : لا استطيع أن استمر إلى الأبد.. إن الجهل كثير.. هناك بحر من الناس في حاجة لمن يدلهم على الطريق الصحيح ويقدم لهم الحماية اللازمة فماذا يفعل رجل وحده. إن للإنسان طاقة محدودة. يجب على البشر.. على بحر

الناس . . أن يفهموا أن الحيوانات وحدها هي التي مازالت تدب على الأرض بوبرها وشعرها أما نحن فقد ارتدينا البدلة والحذاء والقميص والكرافتة ولا أقول إن ما صنعته في خمسة وثلاثين عاما كان عديم الفائدة. كلا . . فقد ساعد على محاصرة سلسلة من الجرائم كان من الممكن أن تضاف لها حلقات وحلقات . . وانني لأرجو ألا تكون هناك حاجة في المستقبل إلى مثل انطونيو بركانو.

أوه نايت : إذن تريد حقا أن تتركنا؟

انطونيو : لكل شيء نهاية . وكل نهاية تختتم بحفل وصحبة طيبة . ودون أرتورو الذي لاشك أنكم تعرفونه قد شرفنا بحضوره (الجميع يؤيدون) لقد سعدت برؤيته لأنه أتاح لي الفرصة لأعرف أن الخلاف الذي بينه وبين ابنه رافيلوتشو قد زال . وكان دون أرتورو قد غضب من ابنه لمشكلة نشأت بينهما ولكن من حسن الطالع حالفني التوفيق وسويت المسألة . لقد نفذت رغبتك يادون أرتورو . . وأعطيت لابنك مليوني ليرة كما طلبت وأنا أشكرك على الرسالة التي كتبتها لي . الرسالة يادكتور . .

فابيو : حالا (يخرج الرسالة من جيبه ويقدمها له)

انطونيو : اقرأها أنت يادكتور فأنا لا أرى جيدا كما وأني مرهق .

فابيو : (يقرأ) عـزيزي دون انطـونيو. . أقـر بأني استلمـت منك مبلـغ ٢,٠٠٠,٠٠٠ ليرة هـي قيمة المبلـغ الذي دفعتـه لابني رافيلوتشو. وإني لأشكر لك هذا الصنيع نظرا لأنه لم تكن لدي نقـود في البيت في ذلك الوقـت. وغني عن القول إننـي سأرد لك المبلـغ المذكور في أول فرصـة تطلبه فيها. . أكرر شكري وتقديري. . المخلص. .

انطونيو : (تلتمع عيناه لحظة فيصوبها في قوة نحـو سانتانيللو) لقد نسيت أن توقع عليها. . فهل تريد التوقيع؟

أرتورو : (بصوت خفيض) نعم.

فابيو يقدم له الرسالة فيوقع عليها.

انطونيو : هل معك دفتر الشيكات؟

أرتورو : هاهو. .

انطونيو : اكتبه باسم السيدة أرميدا بـركانو. (أرتورو يكتب الشيك ويقطعه مـن الدفتر ثم يقدمـه لانطونيو)سلمه لـزوجتي يادكتور.

فابيو : حاضر. (يضع الشيك في جيبه)

انطونيو : تفضلـوا. . كلوا واشربـوا. . (ينثنـي على نفسه في بـطء ويضغـط ذراعـه الأيسر على بطنـه فتـزوغ عينـاه وتميـل رأسه).

الجميع : دون انطونيو.

أوه كوتزو : هددوني يادون انطونيو.

انطونيو : أعرف هذا (يستأنف السير) .

أوه كوتزو : (في إلحاح) أتتركني هكذا يادون انطونيو؟

فابيو : اتركه، ماذا تريد منه؟

أوه كوتزو : هات يدك أقبلها .

انطونيو : هات يدك أقبلها .

انطونيو : (بعد وقفة قصيرة يبتسم ساخرا ويتماسك ليقول) كلا . . يدي لا . . (يخرج أخيرا مستندا إلى فابيو) .

أوه نازوني : أنا لست مقتنعا أبدا بحالة دون انطونيو.

زوجته : لقد ذبل وجهه مرة واحدة .

أوه نايت : لا تنسوا أن سنه كبير.

لويجي : دون انطونيو قوي الجسم .

بالوميللو : (إلى أوه نايت) اعطني هذه الزجاجة .

أوه نايت : (يقدمها له) الدجاج لذيذ .

أوه نازوني : أنا استطيع أن آكل دجاجة بأكملها وكأني لم آكل شيئا.

فتشنزا : السلاطة ياأبي.

(يبدؤون في تناول الطعام ويتبادلون الحديث في مرح. فابيو يعود مطأطأ الرأس، ويتجه إلى المائدة نحو مقعد دون انطونيو. يقف وينظر إلى الجالسين في ازدراء، ويقوم بتحليلهم الواحد تلو الآخر كأنه يراهم جميعا للمرة الأولى. بعد وقفة طويلة يعم خلالها الصمت التام المشوب بقلق الانتظار يعلن بصوت خفيض).

فابيو : دون انطونيو مات!

الجميع يتبادلون النظرات في إحباط وحسرة.

أوه نازوني : مسكين يادون انطونيو.

زوجته : أمات بالقلب؟

فابيو : بالضبط مات بالقلب. فقد كان له قلب كبير به باب صغير كلما أتى أحد ليدق عليه انفتح بلا تأخير.

أوه نايت : إن أمثال انطونيو بركانو من الرجال لن يراهم أحد بعد الآن.

فابيو : لقد بقيت إلى جواره خمسة وثلاثين عاما أحببته خلالها وعرفت قدره. ولا أحد يتصور مقدار الألم الذي أشعر

به في هـذه اللحظة. والآن جاء دوركم أنتـم في الكلام. (أرتـورو لا ينبس بكلمـة) دون أرتورو. . تكلـم (إلى أوه كوتـزو) إذن تكلم أنت. (أوه كـوتزو يطأطـىء رأسه ولا يفتـح فمه) ألم تصـح وتقول دون انطـونيو راعينـا. دون انطونيو راعي نابولي كلها؟ (يقترب منه ويطبق على رقبته) فلماذا لا تتكلـم الآن؟

أوه كوتزو : وماذا أقول؟ أنا لا أعرف شيئا.

فابيو : ألا تعرف شيئـا؟ وأنت يـادون أرتورو. . ألا تعـرف شيئا أيضا؟ الظـاهر أنكم اعتـدتـم أن ترسلـــوا ضمائركـــم دائما إلى المغسلة. . ولستـم وحدكـم في هذا بـل الجميع وبلا استثنـاء من الكبير إلى أصغـر صغير. فهل لي بعـد هذا أن أنفـذ وصية دون انطـونيو؟ مـن أجل إنقـاذ من؟ نذلين يخافان قول الحقيقة؟ . . حقيرين يفضلان الكذب والنفـاق والتهـديـد والابتزاز . شيء مـريـح للجميـع أن يموت انطـونيو بـركانـو بالسكتـة القلبية بعـد أن أمضى حياته كلها يحاصر الجرائم والجنايـات. لقد كان الأجدر به أن يعيشها لنفسه كما سأعيش أنـا ما بقي لي من أيام. لن أرحـل. . سأبقى هنـا. (يتجه إلى التليفـون ويطلب رقما يرد عليه) هالو. . اطلب من فضلـك عزبة بركانو في ترسينيـو. الرقـم ٣١٤٠٢١ شكـرا (يضع السماعـة على التليفون ويخرج الشيـك من جيبه ويسلمـه لسانتـانيللو)

خـذ هـذا واعطـه لأرملتـه إذا أردت أن تقـوم بـواجبـك (يلتفـت إلى أوه كـوتـزو) وأنـت ستتكلـم إذا شئـت (إلى الجميع) وأنتـم ستحكون مـارأيتم الليلـة وماسمتعـم إذا أردتـم. أما أنـا فسأكتـب شهادة الـوفاة كما يمليهـا علي ضميري. وسيهب أبناء دون انطـونيو ويهب أقارب دون أرتـورو والرفـاق ورفـاق الـرفاق والأصـدقـاء والحماة.. مذبحـة.. حرب.. دمار.. ولكـن هذا أفضـل، فربما خرجـت من هذا الخراب دنيـا كالتي كـان يحلم بها دون انطونيو.. دنيا أقل استدارة وأكثر استقامة وسأبدأ أنا.. سـأكتب شهـادة الوفـاة الحقيقيـة وأوقع عليهـا باسمـي ولقبي.. فـابيو ديلـلا راجوني.. وافعلـوا ما تشـاؤون. اقتلوني. اذبحـوني، ولكن لـن أحرم نفسي مـن السعادة وأنا أذيلها بعبارة تحت مسئوليتي.

(يجلـس أمـام الآلـة الكـاتبـة ويشرع في كتـابـة شهـادة الوفاة).

النهاية

صدر من هذه السلسلة

العنوان	المؤلف
١ ـ سمك عسير الهضم	تأليف: مانويل جاليتش
٢ ـ القبرة (جان دارك)	تأليف: جان انوي
٣ ـ البرج	تأليف: هال انوي
٤ ـ عاصفة الرعد	تأليف: تساويو
٥ ـ الخادم الأخرس ـ التشكيلة أو عرض الأزياء	تأليف: هارولد بنتر
٦ ـ الشيطانة البيضاء	تأليف: جون ويستر
٧ ـ الاسكندر المقدوني أو قصة مغامرة	تأليف: تبرانس راتيجان
٨ ـ سباق الملوك	تأليف: تبرانس راتيجان
٩ ـ استعدوا لركوب الطائرة وغيرها	تأليف: جون مورتيمر
١٠ ـ النيازك	تأليف: فريدريش دورينهات
١١ ـ دراما اللامعقول	تأليف: يونسكو ـ داموف ـ أرابال البي
١٢ ـ مس جوليا ـ الأب	تأليف: أوجست سترندبرج
١٣ ـ عطيل يعود	تأليف: نيقوس كازندزاكي
١٤ ـ أنشودة أنجولا	تأليف: بيتر فايس
١٥ ـ تواضعت فظفرت	تأليف: أوليفر جولد سميث
١٦ ـ مدرسة الزوجات ـ نقد مدرسة الزوجات ـ ارتجالية فرساي	تأليف: موليير
١٧ ـ عسكر ولصوص أونيد كيللي	تأليف: دوجلاس سيتوارت
١٨ ـ العين بالعين	تأليف: وليم شكسبير
١٩ ـ الطريق إلى دمشق ـ ثلاثية	تأليف: أوجست سترندبرج
٢٠ ـ ١٤ يوليو	تأليف: رومان رولان
٢١ ـ شجرة التوت	تأليف: انجس ويلسون
٢٢ ـ روس أولرانس العرب	تأليف: تيرانس راتجان
٢٣ ـ حلاق أشبيلية	تأليف: كارون دي بومارشيه
٢٤ ـ هاملت	تأليف: وليم شكسبير
٢٥ ـ الحياة الشخصية	تأليف: نويل كوارد
٢٦ ـ نساء تراخيس	تأليف: سوفوكل
٢٧ ـ رجل الله ـ القلوب النهمة	تأليف: جبرييل مارسل
٢٨ ـ ليلة ساهرة من ليالي الربيع	تأليف: انريكي خارديل بونثلا

٢٩ ـ الأقوى ـ الرباط ـ الجرائم ـ موسيقى الشبح	تأليف : أوجست ستريندبرج
٣٠ ـ اصطياد الشمس	تأليف : بيتر شافر
٣١ ـ حكاية فاسكو ـ السيد نويل	تأليف : جورج شحادة
٣٢ ـ انتصار حورس	تأليف : هـ. و. فيرمان
٣٣ ـ بيوت الأرامل ـ العابث	تأليف : جورج برنارد شو
٣٤ ـ ثلاث مسرحيات طليعية ـ قرافة السيارات ـ فاندو وليز ـ الشجرة المقدسة	تأليف : فرناندو أرابال
٣٥ ـ أوديب الملك ـ أوديب في كولون ـ اليكترا	تأليف : سوفوكل
٣٦ ـ اليكترا ـ لن تقع حرب طروادة	تأليف : جان جيرودو
٣٧ ـ المغنية الصلعاء ـ الدرس ـ جاك أو الامتثال ـ المستقبل في البيض ـ الكراسي	تأليف : يوجين يونسكو
٣٨ ـ مسرحيات إذاعية	تأليف : كوبل تشيرشل ـ شارب مانج
٣٩ ـ روما لم تعد في روما ـ المحراب المضيء أو (مصباح النعش)	تأليف : جبرييل مارسل
٤٠ ـ شيطان الغابة ـ الخال فانيا	تأليف : أنطون تشيخوف
٤١ ـ مهاجر بريسبان ـ البنفسج	تأليف : جورج شحادة
٤٢ ـ ديانا والمثال ـ الحياة عطاء ـ لذة الأمانة	تأليف : لويجي بيرندلو
٤٣ ـ ستيفن «د» ـ منفيون	تأليف : جيمس جويس
٤٤ ـ الغرماء ـ الأميرة البيضاء ـ عيد الفصح	تأليف : أوجست ستريندبرج
٤٥ ـ أنتيجونه ـ أجاكس ـ فيلوكتيت	تأليف : سوفوكل
٤٦ ـ سدوم وعمورة ـ مجنونة شايو	تأليف : جان جيرودو
٤٧ ـ ضحايا الواجب ـ مرتجلة الما ـ سفاح بلا كراء	تأليف : يوجين يونسكو
٤٨ ـ طريق القمة ـ العالم المكسور	تأليف : جبرييل مارسل
٤٩ ـ الحلم الأمريكي ـ الطابعان على الآلة	تأليف : البي شيزجال
٥٠ ـ الأرض كروية	تأليف : أرمان سالاكرو
٥١ ـ السلاح والإنسان ـ كانديدا ـ رجل المقادير	تأليف : جورج برنارد شو
٥٢ ـ الحارس	تأليف : هارولد بنتر

٥٣ ـ ابن أمية أو ثورة المورسكيين تأليف: مارتنيس دي لاروزا
٥٤ ـ مأساة كريولانس تأليف: وليم شكسبير
٥٥ ـ القصة المزدوجة للدكتور بالمي تأليف: أنطونيو بويرو باييخو
٥٦ ـ الكترا ـ أورستيس تأليف: يوربيديس
٥٧ ـ هرناني تأليف: فيكتور هيجو
٥٨ ـ المستنيرون تأليف: ليو تولستوي
٥٩ ـ سجاناريل ـ المتحذلقات المضحكات ـ مدرسة الأزواج ـ الطبيب الطائر ـ غيرة الباربوييه تأليف: موليير
٦٠ ـ الطريق إلى روما تأليف: روبرت شيروود
٦١ ـ المهرجون ـ قصة فلادلفيا تأليف: فيليب باري
٦٢ ـ قصة حياة تأليف: ماكس فريش
٦٣ ـ أوبرا الصعلوك تأليف: جون جي
٦٤ ـ الابن الطبيعي تأليف: دنيس ديدرو
٦٥ ـ رقصة الموت ـ الطريق الكبير تأليف: أوجست سترندبرج
٦٦ ـ أيام العمر ـ سكان الكهف تأليف: وليم ساروبان
٦٧ ـ العارض ـ بيرينيس المصرية تأليف: أندريه شديد
٦٨ ـ المعصرة ـ أداء الأدوار ـ أبوزهرة بفمه تأليف: لويجي بيرندلو
٦٩ ـ حالة طوارىء تأليف: ألبير كامي
٧٠ ـ حياة جالليو ـ طبول في الليل تأليف: برتولت برشت
٧١ ـ غرفة المعيشة تأليف: جراهام جرين
٧٢ ـ المستأجر الجديد ـ اللوحة ـ الخرتيت تأليف: يوجين يونسكو
٧٣ ـ السفر ـ سهرة الأمثال تأليف: جورج شحادة
٧٤ ـ نجونا بأعجوبة تأليف: ثورنتون وايلدو
٧٥ ـ تلميذ الشيطان ـ هداية القبطان براسباوند تأليف: جورج برنارد شو
٧٦ ـ الملك لير تأليف: وليم شكسبير
٧٧ ـ الطريق تأليف: وول شوينكا
٧٨ ـ عزيزي مارات المسكين تأليف: إلكسي أربورف
٧٩ ـ زفاف زبيدة تأليف: هوجو فون هومانزتال
٨٠ ـ مياه بابل ـ رقصة العريف تأليف: جون آردن
٨١ ـ روبسبير تأليف: رومان رولان
٨٢ ـ أوديب تأليف: سنكا
٨٣ ـ ظمأ ـ عبودية ـ ضباب ـ مبحرون شرقا إلى كارديف ـ في المنطقة ـ بدر على البحر الكاريبي تأليف: يوجين اونيل

٨٤ ـ فرسان المائدة المستديرة ـ الآباء الأشقياء	تأليف : جان كوكتو
٨٥ ـ تعلم الفرنسية بلا دموع ـ الممر المضىء	تأليف : تيرانس راتيجان
٨٦ ـ العرس الدموي	تأليف : فديريكو غرسيا لوركا
٨٧ ـ الحياة حلم	كالدرون دي لاباركا
٨٨ ـ يوليوس قيصر	تأليف : وليم شكسبير
٨٩ ـ الفينيقيات ـ المستجيرات	تأليف : يوربيديس
٩٠ ـ لكل عالم هفوة	تأليف : الكسندر استروفسكي
٩١ ـ ظل الوادي ـ الراكبون إلى البحر ـ زفاف السمكري ـ بئر القديسين	تأليف : جون ميلنجتون سنج
٩٢ ـ فتى الغرب المدلل ـ ديردرا فتاة الأحزان ـ عندما غاب القمر	تأليف : جون ميلنجتون سنج
٩٣ ـ كلهم أبنائي ـ الثمن	تأليف : آرثر ميللر
٩٤ ـ أوبرا القروش الثلاثة ـ لوكولوس ـ بعل	تأليف : برتولت برشت
٩٥ ـ تيمون الأثيني	تأليف : وليم شكسبير
٩٦ ـ خادم سيدين	تأليف : كارلو جولدوني
٩٧ ـ رحلة السيد بريشون	تأليف : أوجين لابيش
٩٨ ـ فتاة في سن الزواج ـ مشاجرة رباعية ـ تخريف ثنائي ـ الثغرة ـ لعبة الموت	تأليف : يوجين يونسكو
٩٩ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ـ كل شيخ له طريقة ـ الليلة نرتجل	تأليف : لويجي بيرندلو
١٠٠ ـ انتحار الحبيبين في سونيزاكي ـ معارك كوكسينجا	تأليف : تشيكا ماتسبو
١٠١ ـ وراء الأفق ـ أنا كريستي	تأليف : يوجين أونيل
١٠٢ ـ الحرية المغلوبة ـ صعود البطل	تأليف : جون آردن
١٠٣ ـ مأساة عطيل	تأليف : وليم شكسبير
١٠٤ ـ الطلبة المشاغبون ـ قبل يوم الاثنين الموعود ـ الليلة يوم الجمعة	تأليف : جانز كوبر ـ كولين فينيو
١٠٥ ـ حرم سعادة الوزير ـ الدكتور	تأليف : برانيسلاف نوشيتش
١٠٦ ـ القمر في النهر الأصفر	تأليف : دنيسن جونستون
١٠٧ ـ بينما تسطع الشمس ـ المهرجون	تأليف : تيرانس راتيجان
١٠٨ ـ الحصان المغمى عليه ـ الشوكة	تأليف : فرانسواز ساجان
١٠٩ ـ الصنوبرة المجتثة ـ انتحار الحبيبين في اميجيما	تأليف : تشيكاماتسو

١١٠ ـ الأم الشجاعة ـ السيد بنتلا وخادمه ماتي	تأليف : برتولت برشت
١١١ ـ الغضب ـ الملك يموت ـ العطش والجوع	تأليف : يوجين يونسكو
١١٢ ـ العاصفة	تأليف: وليم شكسبير
١١٣ ـ هكذاالدنيا تسير	تأليف: وليم كونجريف
١١٤ ـ الدراما الثورية الإسبانية ـ فصيلة على طريق الموت ـ النطحة ـ الكمامة	تأليف: ألفونسو ساستري
١١٥ ـ مرحلة الواقعية الأولى ـ رغبة تحت شجر الدردار	تأليف : يوجين أونيل
١١٦ ـ الآلة الجهنمية	تأليف: جان كوكتو
١١٧ ـ جيتس فون برلشجن	تأليف: يوهان فلفجلنج جيته
١١٨ ـ مأساة طيبة أو الشقيقان فيدر	تأليف: جان راسين
١١٩ ـ ليوكاديا	تأليف: جان انوي
١٢٠ـ الشر يستطير ـ الصابرون	تأليف: جاك أوديبرتي
١٢١ـ مضيفة النزلاء	تأليف: جاك أوديبرتي
١٢٢ ـ أسطورة دون كيشوت ١٩٦٨	تأليف: بويرو باييغو
١٢٣ ـ حلم العقل	تأليف: بويرو باييغو
١٢٤ ـ مكبث	تأليف: وليم شكسبير
١٢٥ ـ القيثارة الحديدية	تأليف: جوزيف أوكنرو
١٢٦ ـ عائلتي ـ الأشباح	تأليف : ادواردو دي فيليبو
١٢٧ ـ الزملاء الثلاثة	تأليف: جيمس بروم لين
١٢٨ ـ ممثل الشعب	تأليف: برانيسلاف نوفيتس
١٢٩ ـ الناشزون	تأليف : آرثر ميللر
١٣٠ ـ العائلة ـ خيال مريض	تأليف: إيفان سرجيفتش ـ فوجنيف
١٣١ ـ الكرز المزهر	تأليف : روبرت بولت
١٣٢ ـ توركواتو تاسو	تأليف : يوهان فلفجانج جيته
١٣٣ ـ مشهد في الطريق	تأليف : المررايس
١٣٤ ـ حبا بحب	تأليف: وليم كونجريف
١٣٥ ـ تحيا الملكة	تأليف: روبرت بولت
١٣٦ ـ لورانز الشو	تأليف: الفريد دي موسيه
١٣٧ ـ الإمبراطور جونز ـ الغوريلا	تأليف : يوجين أونيل
١٣٨ ـ هرقل فوق جبل أويتا	تأليف : سينيكا

١٣٩ ـ دنيا زوال — تأليف: مورس هارت ـ جورج كوفمان
١٤٠ ـ ميليت ـ السيد — تأليف: لير كورني
١٤١ ـ قفزة في الخلاء أو ـ العجوز المراهق — تأليف: دونا ماكونا
١٤٢ ـ المستر دولار — تأليف: برانسيلاف نوشيتس
١٤٣ ـ زوجة كريح — تأليف: جورج كيلي
١٤٤ ـ التطلع إلى المصيف ـ مغامرات المصيف ـ العودة من المصيف — تأليف: كارلو جولدوني
١٤٥ ـ اللصوص — تأليف: فريدرش شلر
١٤٦ ـ ثلاث قبعات كوبا — تأليف: ميجيل ميورا
١٤٧ ـ القلب المحطم — تأليف: جون فورد
١٤٨ ـ جريمة قتل في الكاتدرائية — تأليف: ت. س. إليوت
١٤٩ ـ حفل كوكتيل — تأليف: ت. س. إليوت
١٥٠ ـ نقيب كوبينيك — تأليف: كارل توكماير
١٥١ ـ الآلة الكبير براون — تأليف: يوجين أونيل
١٥٢ ـ مختارات من المسرح الافريقي
ـ الخادم — تأليف: فرديناند أويونو
ـ الزنزانة — تأليف: هارولد كمل
١٥٣ ـ شهر في القرية — تأليف: إيفان تورجينيف
١٥٤ ـ الجدة الأولى — تأليف: فرانس جريليا وتسر
١٥٥ ـ المرحوم — تأليف: برانيسلاف نوشيتس
١٥٦ ـ النمر والحصان — تأليف: روبرت بولت
١٥٧ ـ حملة الدكتوراه — تأليف: موريل سبارك
١٥٨ ـ فلهلم تل ١٨٠٤ — تأليف: فريدرش شلر
١٥٩ ـ عيد الميلاد في بيت كوبيللو — تأليف: ادواردو دي فيليبو
١٦٠ ـ إنسان روسوم الآلي — تأليف: كاريل تشابيك
١٦١ ـ أول من صنع الخمر ـ ليلة تبكي الملائكة — تأليف: تولستوي
١٦٢ ـ زواج لوترو هاديك — تأليف: بيتر ليرسوف
١٦٣ ـ سلطان الظلام — تأليف: جول رومان
١٦٤ ـ الأعزب — تأليف: إيفان تورجينيف
١٦٥ ـ الآنسة روزيتا العانس أو لغة الزهور — تأليف: فديريكو غريسيه لوركا
١٦٦ ـ افيجينيا في أوليس ـ افيجينيافي تاوريس — تأليف: يوربيديس
١٦٧ ـ أندرو ماخي ـ الطروادیات — تأليف: يوربيديس

١٦٨ـ سابفو	تأليف : فرانس جزيليارتسر
١٦٩ ـ أصوات الأعماق	تأليف : إدواردو دي فيليبو
١٧٠ ـ أبوالهول الحي	تأليف : رجب تشوسيا
١٧١ ـ الريفية	تأليف : إيفان تورجينيف
١٧٢ ـ الآلة الحاسبة	تأليف : المرل . رايس
١٧٣ ـ الناسك الأسود	تأليف : جيمس نجوجي
ـ ولد للموت	تأليف : سام توليا موهيكا
ـ الخروج	تأليف : توم أومارا
١٧٤ ـ مصرع كاسبر هاوزر	تأليف : ديتر فورته
١٧٥ ـ الغابة	تأليف : الكسندر استروفسكي
١٧٦ ـ الدكتاتور	تأليف : جول رومان
١٧٧ ـ خاتمان من أجل سيدة	تأليف : أنطونيو جالا
١٧٨ ـ انحراف في قصر العدالة	تأليف : أوجويتي
١٧٩ ـ أغسطس من أجل الشعب	تأليف : نيجل دنيس
١٨٠ ـ عابدات باخوس	تأليف : يوربيديس
١٨١ ـ ايون	تأليف : يوربيديس
١٨٢ ـ هيبوليتوس	تأليف : يوربيديس
١٨٣ ـ مارسيل بانيول	تأليف : طوباز
١٨٤ ـ عمود النار ـ الكلايدوسكوب ـ	تأليف : راي برادبوري
نفير الضباب	
١٨٥ ـ جريمة في جزيرة الماعز	تأليف : أوجويتي
١٨٦ ـ ميديا	تأليف : بيير كورني
١٨٧ ـ الفتى المذهب	تأليف : كليفوره أوديتس
١٨٨ ـ عصر الجليد	تأليف : تانكرد دورست
١٨٩ ـ الكذاب	تأليف : بيير كورني
١٩٠ ـ العدالة	تأليف : جون جولزود ذي
١٩١ ـ أوبو ملكا	تأليف : الفريد جاري
١٩٢ ـ أوبو عبدا	تأليف : الفريد جاري
١٩٣ ـ أوبو فوق التل ـ أوبو زوجا مخدوعا	تأليف : الفريد جاري
١٩٤ ـ ما ثمن المجد	تأليف : ماكسويل أندرسون
١٩٥ ـ نجمة أشبيلية	تأليف : لوبي دي بيجا
١٩٦ ـ وحش طوروس	تأليف : عزيز نسين
١٩٧ ـ افعل شيئا يامت	تأليف : عزيز نسين
١٩٨ ـ المتعاملون	تأليف : كوبيناسكي

١٩٩ ـ هرج ومرج في المنزل	تأليف : كويسي كادي
٢٠٠ ـ الجزء الأول من حكاية الملك هنري الرابع	تأليف : وليم شكسبير
٢٠١ ـ الأشباح	هنريك إبسن
٢٠٢ ـ البطة البرية	تأليف : هنريك إبسن
٢٠٣ ـ أعمدة المجتمع	تأليف : هنريك أبسن
٢٠٤ ـ نابولي مليونيرة	تأليف : ادواردو دي فيليبو
٢٠٥ ـ عطلة الإسكافي	تأليف : توماس دكر
٢٠٦ ـ الحبل المتهدل أو أغنية القطار الشبح	تأليف : فرناندو أرابال
٢٠٧ ـ ماريوس	تأليف : مارسيل نانيول
٢٠٨ ـ جثة حية	تأليف : تولستوي
٢٠٩ ـ السكين الكبير	تأليف : كيلفورد أودتيس
٢١٠ ـ الأرض الحرام	تأليف : هارولد بنتر
٢١١ ـ مذنبون بلا ذنب	تأليف : الكسندر استروفسكي
٢١٢ ـ رحلة النهار الطويلة خلال الليل	تأليف : يوجين أونيل
٢١٣ ـ سيدات متقاعدات	تأليف : ادوارد بيرسي وريجينالد دنهام
٢١٤ ـ الهارب	تأليف : جون جولزوورذي
٢١٥ ـ السحب ـ ١	تأليف : اريستوفانيس
٢١٦ ـ السحب ـ ٢	تأليف : اريستوفانيس
٢١٧ ـ مجانين واختصاصيون	تأليف : وول سوينكا
٢١٨ ـ الموت وفارس الملك	تأليف : وول سوينكا
٢١٩ ـ لون بشرتنا	تأليف : ثيلستينو جورستيثا
٢٢٠ ـ توركاريه	تأليف : آلان رينيه لوساج
٢٢١ ـ السيد دي ساد	تأليف : يوكيو ميشيما
٢٢٢ ـ الأيام الخوالي	تأليف : هارولد بنتر
٢٢٣ ـ الآلية	تأليف : صوفي تريدويل
٢٢٤ ـ شروق الشمس	تأليف : تساويوي
٢٢٥ ـ الحياة المديدة للملك أوزوالد ـ المؤامرة	تأليف : فيليمير لوكيتش
٢٢٦ ـ العاصفة الرعدية	تأليف : الكسندر استروفسكي
٢٢٧ ـ الضوء يسطع في الظلام	تأليف : ليون تولستوي
٢٢٨ ـ سيدة الفجر	تأليف : اليخاندرو كاسونا
٢٢٩ ـ منحنى خطر	تأليف : ج . ب . بريستلي
٢٣٠ ـ توراندوت	تأليف : فريدريك شيلر
٢٣١ ـ الجمعية الأدبية	تأليف : هنري أفوري

ـ جواهر المعبد	تأليف : جيمس اين هنشو
٢٣٢ ـ فاوست ـ الجزء الأول ـ المقدمة	تأليف : جيته
٢٣٣ ـ فاوست ـ الجزء الثاني ـ نص مسرحي	تأليف : جيته
٢٣٤ ـ فاوست ـ الجزء الثالث ـ نص مسرحي	تأليف : جيته
٢٣٥ ـ القفص ـ الانتحار	تأليف : ماريو فراتي
٢٣٦ ـ ملكة الليل في بحر حجري	تأليف : يان سولوفيتش
٢٣٧ ـ افتتاحية الهادىء	تأليف : جون ويدمان
٢٣٨ ـ كازانوفا	تأليف : جييوم أبولينير
٢٣٩ ـ نهدا تريزياس ـ لون الزمن	تأليف : جييوم أبولينير
٢٤٠ ـ وظيفة مريحة	تأليف : السكندر استروفسكي
٢٤١ ـ مطعم القردة الحية	تأليف : غونكور ديلمان
٢٤٢ ـ الخزان العظيم	تأليف : بيتر ترسون
٢٤٣ ـ كنت هنا من قبل	تأليف : ج . ب . بريستلي
٢٤٤ ـ بيت آل روزمر	تأليف : هنريك إبسن
٢٤٥ ـ حورية من البحر	تأليف : هنريك إبسن
٢٤٦ ـ أيولف الصغير	تأليف : هنريك إبسن
٢٤٧ ـ بيركليس	تأليف : وليم شكسبير
٢٤٨ ـ حرية المدينة	تأليف : براين فرايل
٢٤٩ ـ بنات تراخيس	تأليف : سوفوكليس
٢٥٠ ـ المرأة ـ اليقظ دائما	تأليف : جواد فهمي باشكوت
٢٥١ ـ البيت الذي شيده سويفت	تأليف : غريغوري غورين
٢٥٢ ـ ميدان بيركلي	تأليف : جون بولدرستون
٢٥٣ ـ مؤامرة الإمبراطورة	تأليف : إلكسي تالستوي
٢٥٤ ـ قضية روبرت أوبينهايمو	تأليف : هاينز كيبهارت
٢٥٥ ـ نساء لهن ماض	تأليف : ديميتر ديموف
٢٥٦ ـ هيكابي	تأليف : يوربيديس
٢٥٧ ـ الناووس أو التابوت الحجري	تأليف : فلاجيمير جوبريف
٢٥٨ ـ نهاية اللعبة	تأليف : صمويل بيكيت
٢٥٩ ـ سيمبلين	تأليف : وليم شكسبير
٢٦٠ ـ وداع في يونيو	تأليف : الكسندر فامبيلوف
٢٦١ ـ النبي المقنع	تأليف : عبدالكريم الخطابي
٢٦٢ ـ بلا لبس ـ دماء آل بامبيرغ	تأليف : جون أوزبورن
٢٦٣ ـ الرجل المنسي	تأليف : ناظم حكمت
٢٦٤ ـ باولو وفرانتشيسكا	تأليف : ستيفن فيليبس

٢٦٥ ـ ليالي الغضب — تأليف : أرمان مالاكرد
٢٦٦ ـ لا — تأليف : ماكس أوب
٢٦٧ ـ حمام روماني — تأليف : ستانسلان ستراتييف
٢٦٨ ـ المفتش — تأليف : نيقولاي غوغول
٢٦٩ ـ الرجل الأحزن — تأليف : بيرج زيتونتيان
٢٧٠/ ٢٧١ـ في انتظار جودو — تأليف : صمويل بيكيت
ـ الرحلة الجانبية — تأليف : مارتن فالسر
٢٧٢/ ٢٧٣ـ في سبيل الحرية — تأليف : جوهر مراد
ـ صحيفة الشيخ شرزين — تأليف : بهرام بيضائي
٢٧٤/ ٢٧٥ـ عندما نبعث نحن الموتى — تأليف : هنريك إبسن
ـ غرائب عندليب — تأليف : تينسي ويليامز
٢٧٦/ ٢٧٧ـ الجزيرة القرمزية — تأليف : ميخائيل بولغاكوف
ـ بوريس جودونوف — تأليف : ألكسندر بوشكين
٢٧٨/ ٢٧٩ـ المؤامرة والحب — تأليف : فريدريش فون شلر
ـ لا مزاح في الحب — تأليف : ألفريد دي موسيه
٢٨٠/ ٢٨١ـ سترة من المخملين — تأليف : ستانيسلاف ستراتييف
ـ شارلوتا ـ عائشة — تأليف : شحابلوق عيسى
٢٨٢/ ٢٨٣ـ شارع دوران — تأليف : آرمان سالاكرو
ـ اقتسام الظهيرة — تأليف : بول كلوديل
٢٨٤/ ٢٨٥ـ العائلة الحزينة — تأليف : برانيسلاف نوشيتش
ـ في عرض البحر

قسيمة اشتراك



البيان	سلسلة المسرح العالمي		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	دك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم:
العنوان:
اسم المطبوعة: مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل: نقداً / شيك رقم:
التوقيع: التاريخ: / / ١٩م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي 13100

دولة الكويت

طبع في مطابع دار السياسة

العَـقد

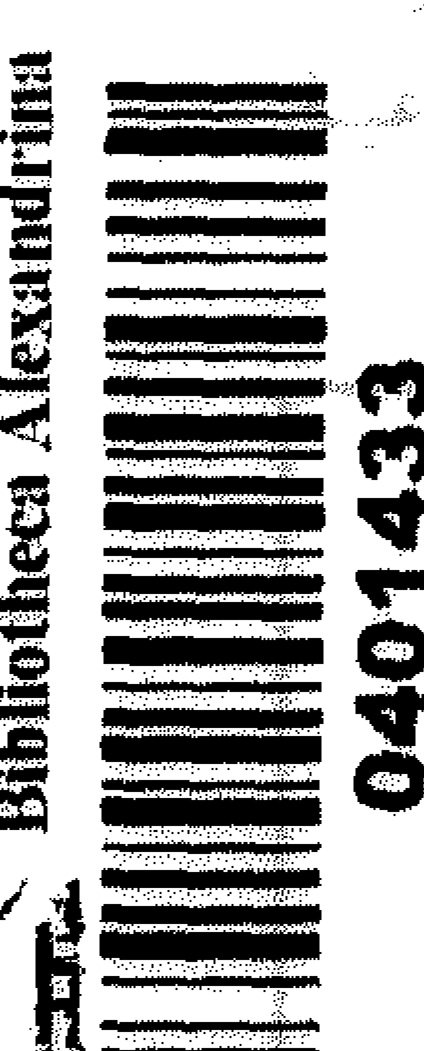
قضية مسرحية العقد قضية إنسانية تسيطر على أجوائها حيلة ماكرة محكمة التدبير يستحيل تصديقها عقلانيـا أو روحانيا ولكنها تنتشر انتشارا واسعا بين الناس، فهي تعزف على الأوتـار النفسية والمتغيرات الاجتماعية الجامحة فيسهل معها التعلق بشباك الأوهام والوقوع في أحابيل النصب والاحتيال.

وتقوم المسرحية على محوريـن أساسيين: محور المال والخداع ومحور التحاب والموت. والعلاقـة في المحور الأول علاقـة انتهازيـة متبادلة تقـوم على ابتكار أساليـب المكر والخداع للسلـب والنهب، وتقوم في المحـور الثاني على تـرقيع عـلاقات التراحـم خـوفا مـن الموت وطمعا في مضـاعفـة العمر، والمحـوران متداخلان ويدوران في إطار النزعات البشريـة والعلاقات الإنسانية وارتباطهما بالروح المادية والحياة الوجدانية.

عمدة حي سانيتا

لاشك أن للعـدالة مـؤسساتها الشرعيـة والرسميـة في كافـة المجتمعات، ولاشك أيضا أنها تقـوم أساسا على دساتير وقوانين توحـد بين الناس، وتنص على كفالة الحقوق وضمان وصولها لأصحابها ومستحقيها.

ولكـن بعض الأقـوياء لا يتـورعون عـن التـلاعب بـالقوانين وتسخيرهـا لصـالحهم فيتسببـون في إيجاد الظلـم، والظلـم يولـد التمـرد ويفجـر عدالـة الضعفاء التي تسير جنبا إلى جنـب مع العدالة الشرعية. ولذلـك فإن المؤلف يوجـه من خـلال شخصية بطـل المسرحية دعـوة إلى المسئولين لـلاقتراب من الشعب ومحاولـة تفهمه ومعالجة مـا يتعرض له مـن جراح. وفي نفس الـوقت يـوجه نـداء إلى المجتمـع الإنسـاني للتمسك بـالقيـم الأخـلاقية والاجـ... والدينية.



سعر النسخة:

الكويت ودول الخليج	٥٠٠ فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان